تاريخ صعدة

الجزء الأول

خالد أحمد صالح السفياني



تاريخ صعدة

(الجزء الأول)



تاريخ صعدة

(الجزء الأول)

خالد أحمد صالح السفياني



بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع بدار الكتب صنعاء ٣٩٦ / ٢٠٠٣

الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤م

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي

أرقام هواتف المؤلف
ت(٠٧٥١٤٤٢٢) سيار(٧١٨٣٠٩٧٣) (٧١٤٠٥٠٧٥)

التنفيذ الطباعي: مركز عبادي للدراسات والنشر

الإهداء

إلى وطني الغالي

الذي رضعت من أثدائه

حب الأرض

وينابيع العلم

وفنون المعرفة

وإلى عشاق الحضارة

والباحثين في دواوين العصور الغابرة

ومحبي التاريخ

إلى كل قارئ يبحث عن نقطه ضوء

أقدم كتابي المتواضع هذا

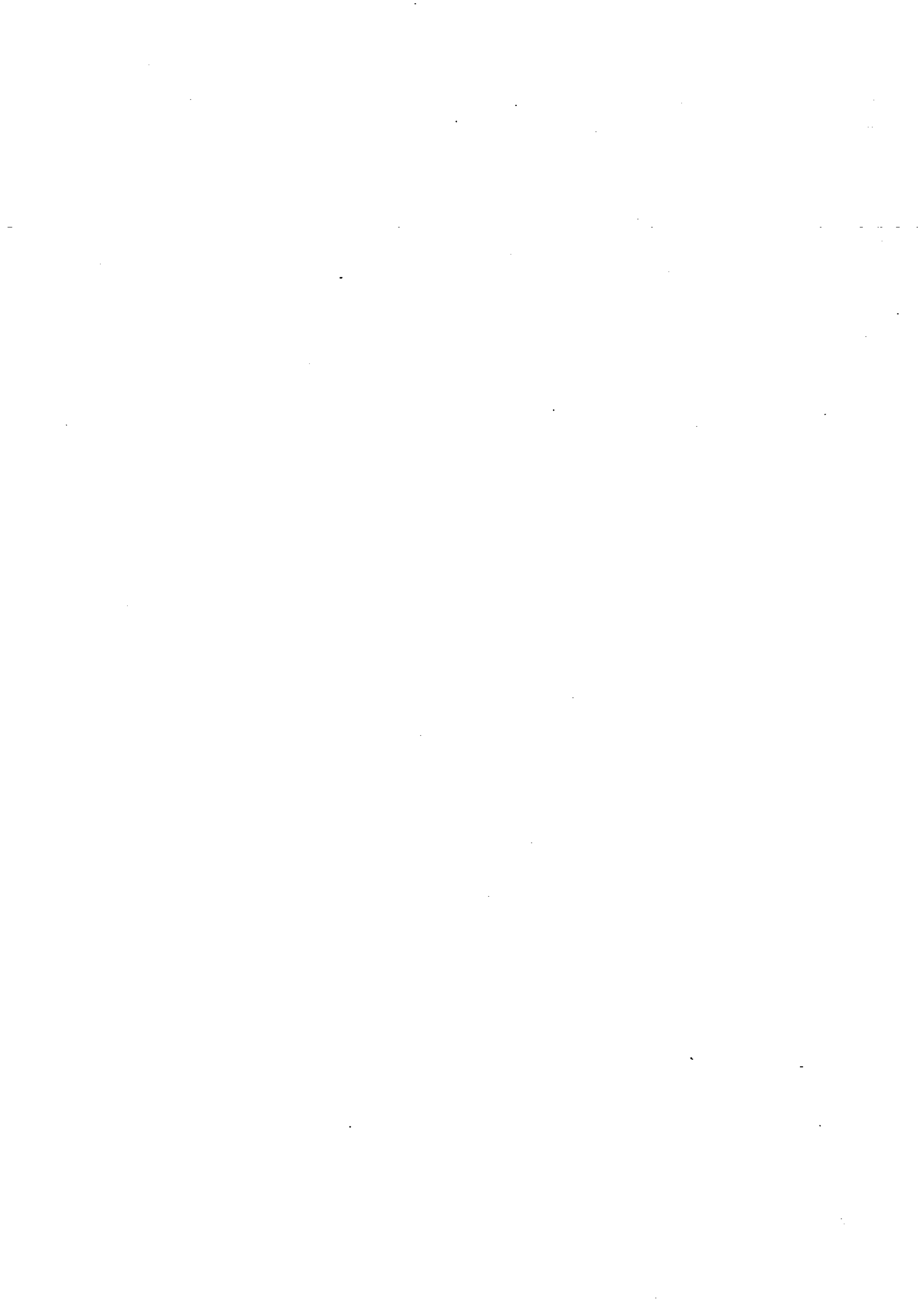
((تاريخ صعده))

ملتمساً العذر

مدركاً

أن الكمال ليس إلا للمولى سبحانه

المؤلف



مقدمة الكتاب

ظل طيف صعده يطاردني منذ الصبا وظلت زيارتها أمنيةً وحلماً يراودني طوال سنوات كاملة شعرت فيها أن هناك شيئاً يجاذبني إليها وحنين لا أدري ما هي بواعثه وأسبابه إلا أنني أحس برغبة شديدة لزيارتها والتعرف عليها منذ وقت مبكر.

وأثناء الدراسة العسكرية في كلية الطيران والدفاع الجوي ٨٥-١٩٨٨م، تعرفت على عدد من الزملاء الذين دعوني لزيارة صعده وهممت بذلك ولم تتح الفرصة وكانت مفاجأتي بانتقالي إلى صعده عام ٨٩م بعد عام واحد من التخرج مبعث ارتياح وسرور وسعادة لا توصف.

وخلال أكثر من إثني عشر عاماً من ١٩٨٩م-٢٠٠٢م، مرت كالبرق عشتها في هذه المحافظة وتعرفت على مناطقها وقراها وخالطت أهلها واطلعت على تاريخها وحاضرها وعرفت مكنون جمالها ومحاسنها وخصوصياتها أدركت أن حنيني وشوقي إليها لم تبدده الأيام ولم تنل منه السنوات الطوال التي تخطت عقد زمني كامل وأجد نفسي عند كل غياب قصير أحن إلى ربوعها ومساجدها ومآذنها وقلاعها الضاربة في القدم ودورها المنيفة المصنوعة من الطين وخصوصياتها الفريدة التي منحتها التميز والتفرد بين مناطق ومدن اليمن السعيد. ولا أستغرب مطلقاً عندما أجد الكثير من الناس الذين عاشوا فيها فتره من الزمن يشتاقون لرؤيتها وزيارتها والطواف في إحيائها وربوعها وتناول بعض ثمار أشجار الرمان والبرتقال التي تجود بها صعده كواحدة من أبرز مناطق إنتاج الفاكهه في اليمن.

عوامل عدة تجذب المرء إلى صعده وتحبب إقامته فيها.. الهدوء والأرض الخيره وخصوصية الطبيعه والحياة والكرم العربي الأصيل وأصالة الناس ورحابة صدورهم وسماحة قلوبهم وعبق التاريخ الذي يفوح من قلب المناطق الزاخرة بالحياة وتتصاعد نفحاته من الأطلال والمعالم والآثار والنقوش وروائح أشجار البرتقال.

وتاريخ اليمن الطويل منذ القدم يشير بجلاء ووضوح أن صعده ظلت مسرحاً للحضارات المتعاقبة وعمقاً اقتصادياً وميداناً للصراع السياسي في اليمن الطبيعي لعب أهلها أدواراً متميزة في التاريخ القديم وعصور الإسلام حيث كانت صعده ميداناً سياسياً وتجارياً للدولة الحميريه وكانت قبائل (خولان بن عامر) التي تضم سحار وجماعه ورازح وساقين وحيدان قاعدة عسكرية للدولة الحميريه وشهدت صعده أحداثاً متباينة مختلفة الصور والأشكال على مدى قرون طويله من الزمن أكدت حضورها المبكر على مختلف الأصعده.

وقد ظلت فكرة تأليف هذا الكتاب الذي بين أيديكم هاجساً يراودني منذ أكثر من سبع سنوات كامله فشرعت آنذاك في تقسيم أبوابه وفصوله والبدء في كتابة بعض أجزائه إلا أن ظروف الحياة وتكاليفها حتمت تأجيله وغض الطرف عنه حتى حين، لأجد أنه قد عاودني الحنين إلى تأليف هذا الكتاب الشامل عن ((تاريخ صعده)) التي لم تحظ بالإهتمام وتدوين تاريخها العريق كغيرها من المدن اليمنيه التي كتب عنها الأوائل تواريخ مستقله كـ(تاريخ مدينة صنعاء) للرازي و(تاريخ عدن) لبا مخرمه و(تاريخ زبيد) لعماره و(تاريخ حضرموت) لليافعي وكمثيلاتها من المدن العربيه والإسلامية كـ(تاريخ بغداد) لإبن الخطيب البغدادي و(تاريخ غرناطه) لإبن الخطيب الأندلسي و(تاريخ حماه) للصابوني و(تاريخ طرابلس الغرب) للطرابلسي و(تاريخ الكوفه) للبراقي و(تاريخ دمشق) لإبن عساكر و(تاريخ الموصل) لإبن

إياس و(تاريخ الموصل) لسليمان الصائغ وغير ذلك.

وكانت (صعده) حريه بكتابة تاريخها العريق إلا أن هذا لم يتم رغم جحافل العلماء والمؤرخين الذين أنجبتهم أو تخرجوا منها على مدى قرون مضت فكان عليّ الشروع في هذا العمل المتواضع لتحقيق هذا الهدف النبيل.

وبعد جهد جهيد وبحث وتدقيق ومقارنه المراجع ببعضها في المعلومات والمضامين وجمع المعلومات والبيانات والنزول الميداني المتكرر للمناطق والعزل والمديريات ولم شتات الفوائد والشوارد المتناثره في بطون الكتب والنصوص التاريخية وأفواه وذاكرة أرباب الأدب وبالإستعانة ببعض الفضلاء من العلماء والأدباء والمؤرخين شرعت في تصنيف هذا الكتاب حتى إستكماله ليعكس جهداً غير عادي مع إيماني بقصوره وعجزه التام عن تدوين تاريخ هذة المنطقة التي ظلت مسرحاً للأحداث وتميزت بحضور سياسي مبكر وشكلت إمتداداً لحضارات عريقة إزدهرت لكني ألتمس العذر عن هذا القصور وأظن أنني قد قدمت شيئاً جديداً للقارئ وشيئاً جديراً بالقراءة لذوي المشارب على اختلاف اهتماماتهم ومستوياتهم محاولاً قدر الإمكان تجاوز محاور الخلاف والكتابه بإنصاف غير أبه برضى فئة أو جماعة أو سخط أخرى، محكماً في ذلك الضمير ومتحرياً الدقه والصدق في المنقول والمشاهدة والمأخوذ، وقد عمدت إلى تصنيف هذا الكتاب بأسلوب وشكل جديد يتلاءم مع احتياج القارئ ليجد كلاً بغيته من معارف متنوعة من تاريخ وأدب ومعالم وآثار وصناعات وفنون وتراجم وعادات وتقاليد لتعطي القارئ صوره حيه وافيه مدركاً أن الكمال ليس إلا للمولي سبحانه وبرغم ما تكبدته من متاعب ومصاعب وإنقطاع فتره التصنيف لهذا الكتاب إلا أنني أشعر بالغبطه وأنا أراه جاهزاً للطبع مستشعراً أنني قد قمت بواجب عظيم يقدره العارفون وفي طليعتهم القارئ اللبيب.

ولا يسعني في نهاية هذه المقدمة إلا أن أشكر الله سبحانه على عونه وتوفيقه وأن أتقدم بالشكر الجم والتقدير اللامحدود لكل من أسهم ودعم من الشخصيات الوطنية والاجتماعية من أجل طبع هذا الكتاب وإخراجه إلى النور ليجد ذاته بين يدي القارئ وقد قيل (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

المؤلف /

خالد أحمد السفياني

العاشر من ذي القعدة سنة ١٤٢٢هـ

الموافق ٢٤/يناير/٢٠٠٢م

الباب الأول

صعده جغرافياً

- المساحة والسكان
- التقسيم الجغرافي
- التقسيم الإداري والقبلي

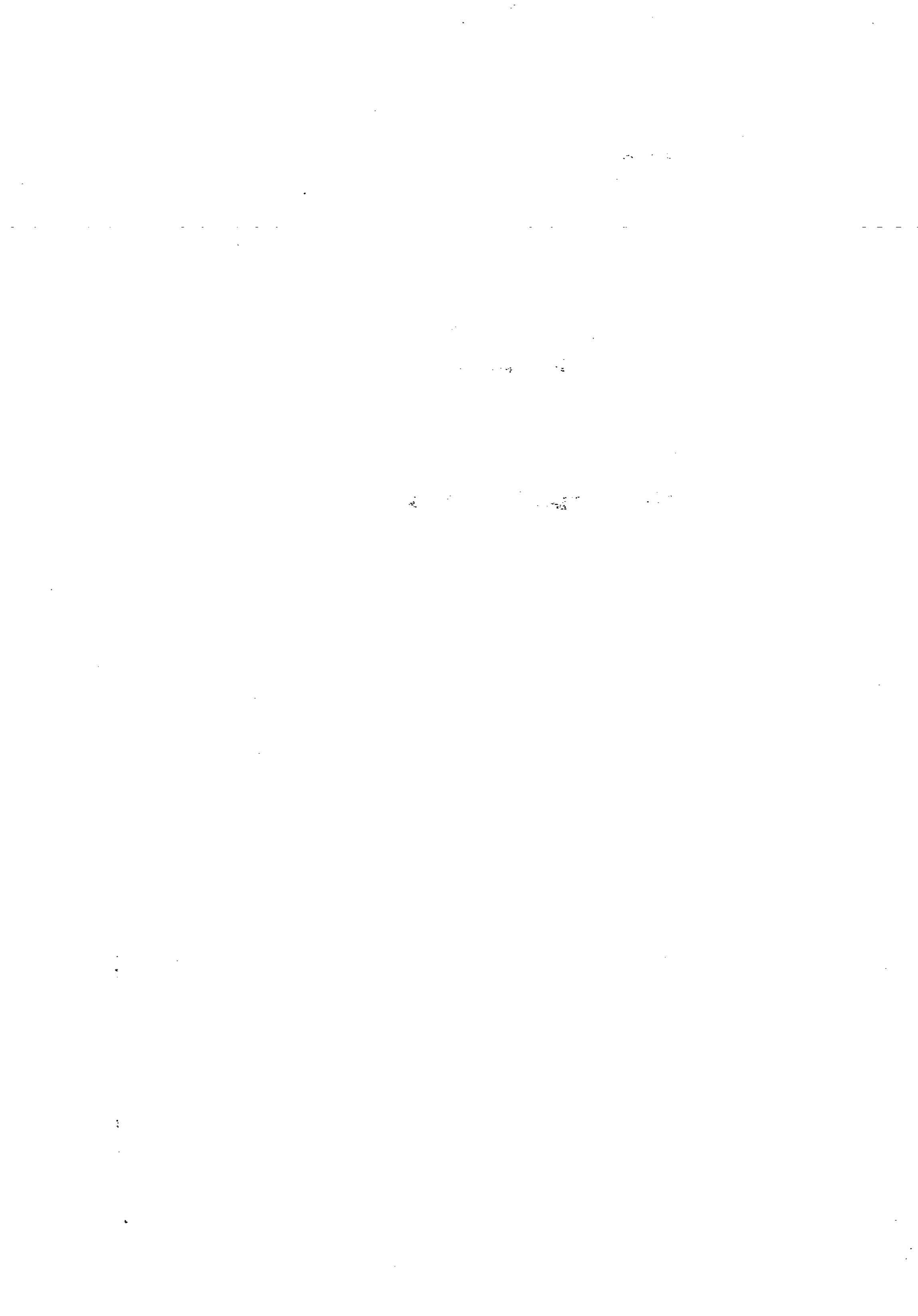
١ـ خولان عامر

٢ـ جماعه

٣ـ همدان

٤ـ صعده

٥ـ رازح



الموقع والمساحة والسكان:-

تقع محافظة صعده في شمال اليمن يحدها من الجنوب محافظة عمران ومن الجنوب الغربي محافظة حجة ومن الغرب جيزان[١] وحرض ومن الشمال نجران وظهران الجنوب ومن الشرق امتداد الربع الخالي ومن الجنوب الشرقي محافظة الجوف.

وتبلغ مساحتها (٢٩٠٠٠كم) وتتكون من ١٥ مديريه[٢] في (٥) قضوات.

وتقع (مدينة صعده) عاصمة المحافظة التي تبعد عن العاصمة بـ(٢٤٢) كم شمالاً في قلب هذه المديريات التي تشكل طوقاً دائرياً على عاصمة المحافظة فمن الشرق والجنوب قضاء همدان بن زيد (كتاف البقع، الصفراء، الحشوة) ومن الشمال قضاء جماعة (مجز، قطابر، باقم، مبنه) ومن الجنوب الغربي قضاء سحار (سحار، صعده) ومن الغرب قضاء خولان بن عامر (ساقين، حيدان، الظاهر) وتضم مديريات المحافظة (١٢٣عزله ومركزاً) و(١٣٩٠ قرية) و(٤١٧٨ محلاً تابعاً) تقطنها (٩٧,٩٠١ أسرة) في (١٠٠,٠٠٠ مسكن) بينما قدر عدد السكان في التعداد العام للسكان والمساكن عام ١٩٩٤م بـ (٤٨١,٦١٧نسمة) منهم (٢٤٨,٧٩٩ذكور) و(٢٣٢,٨١٨إناث) بينما بلغ عدد السكان عام ١٩٨٦م (٣٢٣,١٠٠نسمة)[٣].

ويبلغ عدد السكان (الحضر) بـ(٥٧,٠٠٣ نسمة) وفق تعداد ٩٤م بينما بلغ عدد سكان الحضر في تعداد ١٩٨٦م بـ(٣٣,٨٥٣نسمة) أي أن معدل النمو في الحضر ٥,٨٥%.

---

(١) جيزان: من مناطق المخلاف السليماني وكذلك نجران وظهران الجنوب وتتبع المملكة العربية السعودية بعد توقيع إتفاقيه الحدود في ٢٠٠٠/٦/١٢م.

(٢) أعتبرها التعداد السكاني ١٤ مديرية فقط وأدرج صعده ضمن مديرية سحار.

(٣) التعداد السكاني العام ٨٦، ١٩٩٤م مكتب الإحصاء بصعده.

أما سكان الريف فيقدر عددهم بـ (٤٢٤,٦١٤نسمة) وفق تعداد ٩٤م بينما بلغ عددهم في تعداد ١٩٨٦م بـ (٢٨٩,٢٥٧ نسمة) بمعدل نمو (٤,٣١%).

وتبلغ نسبه سكان الريف من إجمالي السكان (٧٠%) إذا ما أخذنا في الاعتبار الهجرات الداخلية الأخيرة بعد قيام عدد من المدن الجديدة الناشئة في قاع صعده ورازح وبلاد خولان بن عامر.

وتتميز صعده بتركيب عمري فتي حيث لا يزيد العمر الوسيط للسكان عن ١٥ سنه الذي يبلغ (٥٢%) من إجمالي السكان للجنسين ويبلغ نسبه السكان عمر ٦٥سنة.فأكثر قرابة (٣,٢%) والذي يجعل من الفئة العمرية والعاملة المنتجة (١٥-٦٥ سنة) مقدارها (٢٤,٧%) أي أن نسبه الإعالة الحقيقية تبلغ (٢٥٨,٨٤%) أي أن كل ١٠٠ شخص من العاملين يعيلون (٢٥٩) شخص[١].

التقسيم الجغرافي:

تنقسم محافظة صعده من حيث التضاريس إلى ٣ أقسام[٢] وهي:

١- المناطق الهضبية الوسطي: وهي عبارة عن منطقة هضبية تمتد من الجنوب باتجاه الشمال بين سلسلتي الجبال الغربية والسهول الشرقية وهي أخصب مناطق الإنتاج الزراعي حيث تتشكل من عدد من الأودية الزراعية الخصبة كـ(وادي مذاب، عكوان، نشور، دماج، آل سالم، سروم والنقعه، العقيق، أتيس، العبدين ...الخ) وبها قاع صعده الخصيب. وتتخلل هذه المناطق جبال شاهقة الارتفاع في الجنوب والوسط والشمال كجبال (المفلوق) (بني عوير) (براش) (عنم) (وتران)[٣] (عزان) (بن تيرك) (همدان)[٤] (مرع) ويميل الطقس في هذه المنطقة إلى الإعتدال صيفاً والبرد شتاءً.

(١) مكتب الإحصاء بصعده.

(٢) في (النشرة الإحصائية السنوية لعام ٢٠٠٠م الصادرة من مكتب الإحصاء بصعده قسمت التضاريس إلى خمسة أقسام.

(٣) وتران: جبل مرتفع قرب وادي رُبيع شمال صعِده وقد ذكره المؤرخون بأنه جبل براش وهذا خطأ إذ أن جبل (وتران) يعرف باسمة حتى اليوم في وادي ربيع سحار و (براش) بوادي دماج بالصفراء.

(٤) جبل همدان: يطل على نجران.

الطقس في هذه المنطقة إلى الإعتدال صيفاً والبرد شتاءً.

٢- المرتفعات الجبلية: تشكل هذه المرتفعات الجبلية امتداداً لجبال السراه وهي سلسلة جبلية يتراوح ارتفاعها من (٢٠٠٠-٢٨٠٠م) عن سطح البحر على طول امتداد القاطع الغربي للمحافظة تحاذي للهضبة الوسطى وتبدأ من مناطق حيدان وساقين باتجاه الشمال حتى رازح ومجز وقطابر ومنبه وتتخللها الكثير من الأودية الزراعية الخصبة كـ(وادي بدر) غمر (وادي فوط) (وادي خين) (وادي الحبال) ساقين و(وادي زبّيد) حيدان و(وادي حنبه) قطابر و(يسنم) باقم و(وادي خلب) و(ووادي لية) في الظاهر و(وادي عسايه) مجز و(وادي صبر) سحار، وعلى سفوحها الغربية والجنوبية أقيمت المدرجات الزراعية والمروج الخضراء ذات الكثافة السكانية الهائلة كـ (مران) و(ولد عياش) (ولد نوار) (طلان) بحيدان، و(الوقيشين) بساقين و(بركان) و(النظير) و(الشوارق) و(بني ربيعه) برازح ومناطق (بطين) و(القهر) و(آل عمر) و(آل مشيخ) منبه وغيرها.

ومن جبالها الشامخة المنيفة (جبل العر) منبه، (جبل غيلان ٢٧٧٩كم) رازح (جبل المفتاح٢٢٠٠كم) و(جبل النوعة ٢٨٣٧كم) و(جبل مران) حيدان، و(جبل كتفا) قطابر. وهي منطقة غابات وتتميز مناطق المرتفعات الغربية بمناخ عليل ومناظر خلابة ساحرة وجبال تعانق السحب وطقسها معتدل صيفاً بارد شتاء تسقط على بعضها الأمطار طوال العام ويصل معدل سقوط الأمطار إلى أكثر من (٨٠٠ م/م).

وتنتهي هذه المرتفعات الغربية بسهول تهامة في الجزء الجنوبي الغربي في مناطق (شداء والحصامة) و(الملاحيظ وذويب طلان) والقريبة من ساحل البحر الأحمر بـ (٣٥كم) وتتميز بارتفاع درجة حرارتها صيفاً واعتدال مناخها شتاءً إلا أنها تعد مناطق موبوءة كثيرة الأمراض والأوبئة كالملاريا وأمراض الجلد.

المناطق الصحراوية الشرقية:

السهوب الصحراوية الشرقية وتعرف بـ (الرمله) وتمتد من الجنوب إلى الشمال محاذية المناطق الهضبية الوسطى من ناحية الشرق وتغطي مناطقها الغرود الرملية المتحركة لتشكل امتداداً للربع الخالي وتتصل بعدد من الأودية الزراعية المجاورة لها غرباً كـ(وادي أتيس) (وادي العقيق) و(وادي املح) و(وادي رهوان) وتصب فيها. وقد نشأت في هذه المناطق تجمعات سكانية كبيرة وحركة زراعية مزدهرة محصورة بين (العطفين) و(أبرق المجزع) وفي شمالها يوجد منفذ (البقع) الحدودي وتمتد هذه الرمال شمالاً حتى نجران.

التقسيم الإداري والقبلي:

تنقسم محافظة صعده إدارياً إلى ٥ قضوات و١٥ مديرية و١٢٣ عزلة ومركزاً و١٣٩٠ قرية و٤١٧٨ تابعاً كما تنقسم قبلياً إلى أربع قبائل رئيسية هي (همدان، جماعه، خولان، سحار) بينما التقسيم التاريخي لهذه القبائل أقتصر على (همدان) وتضم قبائل وايلة بن شاكر ودهمه، و(خولان) وتضم سحار وحيدان وساقين وعقارب شدا والظاهر ورازح وكذا جماعة التي وتضم باقم، وقطابر، ومجز، ومنبه[1].

ويتمثل التقسيم الإداري والقبلي في التالي:-

قضاء خولان عامر:

أكبر قضوات صعده ويشتمل على مديريات (ساقين، حيدان، الظاهر) وتمتد مناطق هذه المديريات في المرتفعات الغربية وسفوحها (الجزء الجنوبي)

---

(١) كانت قضوات (خولان) (جماعه) (سحار) رازح) ضمن خولان على ضوء الإنتماء القبلي لها وكانت همدان بن زيد تضم عشرات القبائل مابين صنعاء وصعده فاقتصرت التسمية اليوم على قبائل شاكر وهي (وايلة) و(دهمه) والتي تبسط نفوذها على القاطع الشرقي من محافظة صعده بينما قبائل خولان عامر تسيطر على القاطع الأوسط والقاطع الغربي من صعده.

وتمتد حتى السهوب التهامية الحدودية ومركز القضاء (ساقين) ولخولان بن عامر تاريخ عريق ودور عظيم في الجاهلية والإسلام، وكانت تشمل قضاء جماعة وقضاء صعده وسحار ورازح وحرض وعبس..[١] وخولان تنسب إلى خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعه[٢] بن مالك بن حمير.

يقول المثلم بن قرط البلوي[٣]:-

الم تر أن الحي كانوا بغبطه	بمأرب إذ كانو يحلوها معا
"بلى" و"هراء" و"خولان"اخوة	لعمرو بن حاف فرع من قد تفرعا.
أقام بها خولان بعد إبن أمة	فأثرى لعمري في البلاد وأوسعا

... قال نشوان بن سعيد.." خولان قبيلة من اليمن وهم من ولد خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة قال فيهم جميل بن معمر:

وخولان تردي بالقنا وبليها	إليّ فمن مثلي إذ الناس الفوا[٤]

.. وقال شاعر خولان:-

أيها السائل عن أنسابنا	نحن "خولان بن عمرو بن قضاعه"
نحن من حمير في ذروتها	ولنا "المرباع" منها و" الرباعه"

والربيعه: حي من اليمن من قضاعة من ولد الربيعة بن سعد بن خولان ينسب إليهم ربيعي[٥] وقد خرجت خولان العالية إلى جبال شرقي صنعاء وبقي

(١) حرض: المنطقة الحدودية الواقعة في السهول التهامية الشمالية لليمن وحرض بن خولان وكذلك عبس بن خولان المنتخبات ٦٨.

(٢) قضاعة: قضاعة بن مالك بن حمير نقل الهمداني عن ابن منبه أن قبر قضاعة أكتشف في اليمن أيام الملك الحميري عمرو ذي الأذعار وفيه عمود أخضر كتب عليه بالمسند (هذا قبر قضاعة بن مالك بن حمير) الإعلام٥/١٩٩، طرفة الأصحاب١٣،٥٥ ورد النص في الإكليل ٥٦/٨، وفي الأغصان ٤٧٥ (قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك).

(٣) منتخبات من أخبار اليمن (٩-١٠).

(٤) المصدر السابق (٢٥).

(٥) المصدر السابق(٤٠).

سائرها في مأرب حتى خرجوا بعد ذلك إلى ناحية صعده وجاء في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صلى على السكاسك والسكون وعلى خولان[١].

وجاء في "معجم البلدان" لياقوت الحموي: " خولان من مخاليف اليمن منسوب إلى خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير[٢].

وقد وفدت خولان على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شعبان من السنة ١٠هـ وهم عشرة وكان لهم صنم اسمه (عم أنس) كانوا يعبدونه ويحتكمون إليه فيتكلم هدموه بعد عودتهم من المدينة. وفي خولان كانت النار التي تعبدها اليمن وقد فتح مخلاف خولان سنة ١٣هـ أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣].

وقد اشتركت خولان في معركتي القادسية واليرموك ونزل كثيرون منهم الشام ولعب آخرون دوراً مهماً بين اليمنيين الذين اشتركوا في فتح مصر والأندلس وكانت لهم خطة بالفسطاط ويتربعون في قرى اهناس والبهساء والقبس وهم أصحاب مصلى خولان الشهيرة. كانوا كثيرين بمصر وعلى شواهد القبور أسماء عدد ضخم منهم في القرن الثالث الهجري بصورة خاصة

(١) المنتخبات لنشوان بن سعيد / ٧٦. وفي مصادر أخرى "وعلى خولان العالية".
(٢) ومن خولان أبي مسلم عبدالله بن ذويب الخولاني أول من أسلم من أهل اليمن سماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم (عبدالله) كما في الأصابة وهو الذي أحرقه الأسود العنسي بالنار وعندما مر على النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وعرف أنه عبدالله بن ثواب أعتنقه وبكى ثم ذهب وأجلسه فيما بينه وبين أبي بكر وقال (الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم عليه السلام) معجم بلدان اليمن وقبائلها للحجري/٣١٣.
ومن فضلاء خولان شرحبيل بن مسلم الخولاني وأبو إدريس الخولاني ومحمد بن حرب الحمصي وأبو المغيرة عبد القدوس بن حجاج الخولاني وردت ترجمة الأخير في تذكرة الحفاظ للذهبي ومن خولان أبو عفان عثمان بن الحكم بن الفقيه بن علقمه الجماعي الخولاني ترجمة أبن مخرمة، معجم بلدان اليمن وقبائلهم للحجري /٣١٥. أنظر باب الاعلام الباب الثامن.
(٣) هكذا ذكر الحجري وبامطرف وغيره من المؤرخين أن هذا الصنم كان يتكلم والله أعلم.

ومذكورون بكثرة في أوراق البردي وكان عمرو بن قزحم الخولاني أحد القادة العظام في جيش عمرو بن العاص واحد الذين اشتركوا في تخطيط الفسطاط ومن كبار الفاتحين بالأندلس السمح بن مالك الخولاني وكانت لهم في مصر قيادة الشعر وتسمى خولان بن عمرو بن الحاف بـ "قضاعة الصغرى"[(١)].

ومن بطون خولان (رازح،سحار، الازمع، هاني، رشوان، سعد، يحيى).

تنقسم خولان بن عامر إلى قبائل وعشائر عديدة في إطار قسمين عظيمين هما (الاحلاف) و(الجهوز). فالحلفي (شعب حي والنوعة ووادي الحبال وبني بحر، اليمن وعروجر هي) والجهوزى (الخوالد) وأهل ساقين وأهل حضر (صبرى طلاني) والكرب ومران وآلت فاضل وآلت اليمن[(٢)].

وقد أشار الحجري أن من الحلفي (شعب حي) , (بني ذويب) و (زُبيد) و(بني بحر) ومن الجهوزي (ولد عياش، جهوز الشعاف، مران[(٣)]).

وتتقسم خولان بن عامر إدارياً إلى:-

١- مديرية حيدان:-

مديرية واسعة غرب صعده على بعد (٦٠كم) تتصل من الشمال بمديرية ساقين وتمتد غرباً حتى مديرية الظاهر ومن الجنوب حتى بكيل المير (محافظة حجة) وهي ذات كثافة سكانية هائلة زاخرة بالآثار والمعالم التاريخية وتتقسم قبلياً إلى (أحلاف وجهوز) في إطار التقسيم القبلي لقبائل خولان عامر.

تتكون مديرية حيدان من (١٢ عزله) و(٩٠ قرية) و(٦١٤محلاً تابعاً)[(٤)].

ويقدر عدد سكانها وفق التعداد العام للمساكن والسكان ١٩٩٤م

---

(١) جامع المهاجرين ١٩٩/٤٥٠.

(٢) الأغصان في مشجر أنساب عدنان وقحطان، ٤٧٩/٤٨٠.

(٣) مجموع الحجري / ٤٧٦.

(٤) اعتبرت كثير من القرى في حيدان محلات في نظر مسجلي التعداد العام لعدم وجود إطار ثابت وصحيح يمكن على ضوءة تحديد (القرية) و(المحله).

بـــ(٤٥٧٥٧نسمة) يمثلون (٦٨٣٤ أسرة) تقطن (٦٧٧٣ مسكن).

ومن أهم العزل والمناطق المشهورة في مديرية حيدان (مدينـــة حيـدان، ووادي زبيد، الفدين، جبل زبيد، مران، ولد عياش، وادي فوط، ذويب العليـــا، ذويب السفلى[١]، ولد نوار) ومن جبالها المشهورة (المفتـــاح، زبيـد، طـــلان، مران، جبل عياش) وهي جبال ذات مدرجات زراعيه خصبه تنتج أجود أنواع البن والحبوب ومن أهم المناطق التاريخية فيها (حيـــدان، المشـــهد[٢]، قريـــة نشوان[٣]، محنكه، والهجر والتي كان بها عدد كبير من الحرفيين اليهود حتـــى تم هجرتهم إلى إسرائيل).

وتنسب حيدان إلى (حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة) ومن أبنائـــه (مهرة[٤]) و(بني مجيد[٥]، الازمع[٦]) قال جميل بن معمر العذري:

وملحاء من حيدان صيـــدٍ رجالهـــا إذا حشدت كادت على الناس تضعـــف[٧]

ومن القبائل التاريخية الشهيرة التي سكنت حيدان بنو شهاب بن العـــاقل[٨]

---

(١) ذويب السفلى: منطقة منخفضة جنوب حيدان حارة كثيرة الأوبئة وبها جبل طلان الشامخ.

(٢) المشهد: مشهد الإمام المتوكل علي الله أحمد بن سليمان (٥٠٠-٥٦٦هـ) قرية بها مسجد يسمى (المشهد).

(٣) قرية نشوان: قريه نشوان بن سعيد وكانت تسمى سابقاً (القامة) وبها دار وجامع القاضي نشوان بـــن سـعيد الحميري المتوفي سنة ٥٧٣هــ.

(٤) مهرة: سكنوا في المنطقة الشرقية من اليمن.

(٥) بني مجيد: سكان موزع والوازعيه وشرعب وباب المندب و (مجيد بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مـــالك بن حمير جد جاهلي سكن بنيه باب المندب والمخاء ومن قراهم الواقدية لرؤسائهم والمنارة والحروبه وموزع والرواغ والملحة ومنهم بنو المسيح سكنوا العميرة (الإعلام ٢٨١/٥ صفة جزيرة العـــرب ٥٣، ٧٩، ٨٧، ٩٧) قـــال صـــاحب التـــاج ٤٩٦/٢ وممن أخلت به النساب من قضاعة مجيد بن حيدان وهموا فأدخلوهم في بطون الأشاعر لقرب الدار من الدار.

(٦) الازمع: الأزمع بن حيدان بن عمرو بن الحاف القضاعي من ولده (مران) ويقال إن الازمع بن خولان بن عمرو بـــن الحاف.

(٧) منتخبات من أخبار اليمن /٣٠.

(٨) بنو شهاب: حي من اليمن نسبه إلى شهاب بن العاقل بن ربيعة بن وهب بن الحارث الأكبر بن معاويه بن كندة ونساب حمير تقول شهاب بن العاقل بن الازمع بن خولان بن عمرو بن الحاف قال عبد الخـــالق بـــن أبي الطلح الشهابي:

وأنا مـــن قضاعـــة في ذراهـــا لنا من مجدها الحـــظ الجزيـــل
وحمـــير جدنـــا وبـــه تسـامي فروع والفروع لهـــا أصـــول
نعـــد تبابعـــا سبعين منـــا إذا مـــا عـــد مكرمـــة قبيـــل

المنتخبات من أخبار اليمن /٥٨.

وزبّيد[١] ومران[٢] ومناطقها ما بين وسحه[٣] وحتى أسفل جبل الرعاء[٤] منطقة غنية جداً بآثارها الحميرية القديمة ومعالمها الإسلامية الهامة وكانت مقام للإمام المتوكل أحمد بن سليمان بن المطهر والقاضي المؤرخ الإمام / نشوان بن سعيد الحميري.

٣- مديرية ساقين:-

تقع غرب صعده على بعد (٣٠كم) وتتصل من الناحية الشرقية بمديريتي سحار ومجز ومن الجنوب بمديرية حيدان ومن الشمال مجز ومن الغرب مديريتا غمر ورازح وقد ظلت لفترات زمنية طويلة مركزاً لناظرة الشام (محافظ اللواء).

تتكون مديرية ساقين من (٢١ عزلة) و(٢٥٦ قرية) و(١٤٦محلاً تابعاً)[٥] ويقدر عدد سكانها وفق التعداد العام للمساكن والسكان ١٩٩٤م بـ(٤٠٥٦٩ نسمة) يمثلها (٦٢٦٧ اسرة) تقطن (٥٩٨٩ مسكن) ومن عزلها الهامة (بني بحر[٦]، الخوالد، وادي الحبال، عرو، الشعف، مدينة ساقين، الغجار، الكرب)

(١) زُبيد: زبيد من خولان من ولد زُبيد بن الخيار بن الفاحش بن حرب وينسب إليهم فارس اليمن وشاعرها عمرو بن معد كرب الزبيدي ومشائخ زبيد آل الشويع المنتخبات /٤٥ وسيرد بحث في الباب السادس عن حقيقة نسب عمرو بن معد كرب.

(٢) مران: مران بن الازمع بن خولان ومران قبيله كبيره من حيدان اليوم من مشائخها آل غثاية وآل الحربي.

(٣) وسحة: في شمال مدينة (حيدان) وهي القرية التي أوفدت زكاتها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (انظر الباب السابع المعالم التاريخية – القرى القديمة).

(٤) جبل الرعاء: جبل شاهق منيف يطل على السهل التهامي في الغرب ويعرف اليوم باسم جبل ولد عياش وهو جبل مليء بالمدرجات الزراعية الخضراء وأهل بالسكان وبه مأثر كثيرة والرعاء بن مران بن الازمع بن حيدان.

(٥) التعداد العام ١٩٩٤م والملحوظ تزايد عدد العزل والقرى عن الواقع وقله المحلات التابعة والذي يعني عدم وجود إطارات وحدود ثابته للتشكيلات الإدارية الصغرى (العزلة، القرية، المحلة).

(٦) بني بحر: بني بحر بن خولان بن عمرو بن الحاف من قضاعة ينسب إليها الشاعر الفارس زكريا بن شكيل البحري وكان من أبطال خولان في زمنه من شعره:

يرمين أفئدة تقدمها	ولو قتلت أيكرم قاتلا مقتول
فقسيها أجفانها وسهامها	حدقاتها ولحاظهن نصول

١٠٤ مجموع الحجري.

ومن أهم أوديتها الخصبه (وادي خير، فوط، الممجع).

تتبع ساقين خولان عامر إدارياً وقبلياً وتاريخياً وتنقسم قبلياً وفق التقسيم الكبير لقبائل خولان[١]، وهي منطقة زاخرة بالمعالم الآثريه والتاريخية وبها اقيم في العصر الحميري (قصر تضراع) الشهير الذي قال فيه الحارث بن عمرو الخولاني:

لنا الدار من تضراع باق رسومها بها كان أولاد الحماة الخضارم

وبها أقيم سد ساقين القديم الذي ظل باقياً حتى نهاية القرن الثاني الهجري وهدمة إبراهيم بن موسى العلوي الملقب بـ(الجزار) داعيه إبن طباطبا عند دخوله صعده على رأس ٢٠٠هـ وكان هذا السد يروي الوديان المجاورة،

من مناطقها الأثرية الكاملة (عرو، ثمامه، مدينه ساقين، بني بحر[٢]) وعلى طول امتداد المديرية شيدت المنارات القديمة المتسلسلة على نسق واحد في القمم الجبلية من الشمال إلى الجنوب.

٣- مديرية الظاهر:

ثالث مديريات قضاء خولان عامر تقع في إطار السهول التهامية الشمالية لليمن وتمتد من أسفل جبال مران وعياش وطلان بحيدان في الشرق متصلة بمناطق حرض وبكيل المير من الجنوب ومن الشمال مديرية شداء أما من الغرب فتتصل بمناطق الخوبة ومجدعة من جيزان[٣].. تبعد عن صعده (٩٥كم) غرباً وترتبط بخط مواصلات هام هو الخط الدائري الشمالي (صعده-

---

(١) في التقسيم الكبير لقبائل خولان عامر تأتي من ساقين (شعب حي، النوعة، وادي الحبال، بني بحر) في عداد الاحلاف (حلفي) وتأتي (الخوالد، ساقين، الكرب) من الجهوز (جهوزي)، الاغصان/ ٤٧٩-٤٨٠.

(٢) (الباب السابع باب المعالم الأثرية والتاريخية) لمعرفة المزيد عن هذه المواقع التاريخية.

(٣) جيزان: من مناطق المخلاف السليماني في تهامة وقد أصبحت بمقتضى إتفاقية الحدود اليمنية-السعودية ٢٠٠٠/٦/١٢م جزءاً من الأراضي السعودية.

حرض) من مناطقها الهامة (الملاحيظ[١]) مركز المديريه و(الحصامة) سوق تجارية و(المنزاله) و(غافرة) ومن أوديتها المشهورة (وادي لية، وادي خلب[٢]) ومساقطها من جبال مران وجنوب رازح وجبال الظاهر الشمالية.

تتكون الظاهر من (عزلتين[٣]) و(٢٦ قرية) و(٤٠٦ محلاً تابعاً) ويسكنها (١٤٥٩٠ نسمة) يمثلون (٢٥٦٠ أسرة) تقطن (٢٥٩١ مسكن) وفقاً للتعداد العام للمساكن والسكان عام ١٩٩٤م.

والظاهر في إطار التقسيم القبلي الكبير لقبائل خولان في (حلف اليمن) من الأحلاف[٤]، وبلاد الظاهر تسكنها قبائل من خولان و(الملاحيظ) السوق التجارية الأولى لمديرية خولان عامر[٥].

قضاء جماعة:

قضاء واسع تسكنه قبيلة شهيرة من خولان عامر هم (جماعة بن سعد[٦] بن خولان بن عمرو بن الحاف القضاعي مركزها الإداري (مجز) وتتبعها

---

(١) الملاحيظ: مركز المديريه وقد طغى هذا الاسم على اسم المديرية فيقال (مديرية الملاحيط) وقد سميت المشاحيط عندما قتل علي بن الفضل قرابه (٤٠٠) عذراء من نساء الحصيب فيها) صفة جزيرة العرب ١٩٩-١٣٢، والاسم الغالب عليها (الملا-حيط) لإحاطة الجيوش بها من كل إتجاة ولا نعرف تاريخ هذه الحادثة إلا أن الاسم ظل قائما حتى غلبت علية في السنوات الأخيرة تسمية (الملاحيظ).

(٢) وادي خلب: واد مشهور من أودية تهامة شمالي حرض وماتاة من بلاد بني بحر بن خولان ومن غمر في بلاد رازح (مجموع الحجري٣٠٩).

(٣) عزلتين: الظاهر مكونه من أربع عزل هي (الملاحيظ، الحصامة، المنزاله، غافرة) إلا إننا حبذنا نقل مضمون التعداد العام ١٩٩٤م نصا.

(٤) الاغصان مشجر أنساب عدنان وقحطان ٤٧٩، وحلف اليمن يتبع في الداعي الكبير (الأحلاف).

(٥) سوق تجارية: ونظراً للحركة التجارية المزدهرة توافدت الكثير من قبائل مستباء ووشحة وكشر وغيرها من مناطق حجة فاستوطنوا الملاحيظ منذ عشرات السنين.

(٦) جماعة: بنو جماعة بضم الجيم وفتح الميم بطن من خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة من مشاهيرهم في التاريخ عفان بن عثمان إبن الحكم بن الفقية بن أحمد بن الفقية عمر بن إسماعيل بن علقمة الجماعي الخولاني ترجمه إبن مخرمة في تاريخ ثغر عدن.

وذكر المقحفي في معجم البلدان والقبائل اليمنية أن بني الجماعي في العدين (بيت باشا) وبني (علي بن سعد) بالحجرية أستوطنوا هذه المناطق بعد هجرتهم إليها في القرن ١١هـ وكانت جماعة جزء من خولان فأضحت اليوم قضاء مستقل.

مديريات (باقم، قطابر، منبه، مجز) وهي المديريات الشمالية الوسطى والغربية من محافظة صعده والمتصلة من الجهة الشمالية بمناطق عسير في المخلاف السليماني ويحد جماعة من الشرق همدان ومن الجنوب سحار وغمر وساقين وتطل من ناحية الغرب على جيزان.

تنقسم جماعة قبلياً إلى حلفي ونصري.

١- الحلفي: بني سويد، بنو عباد (آل محمد) ثم (آل أحمد)، المعاريف، أهل مجز، قطابر، آل جابر، آل ثابت، سفال فلله.

٢- النصري: بنو حذيفه، الت الربيع، بنو شنيف، يسنم وأهل منبه، ولد عمرو، آل قراد، بنو خطاب[١] ويعد آل مقيت[٢] مرد قبلي (شيخ مشائخ قبائل خولان عامر حتى اليوم) وقد لعبت قبائل جماعة دور بارز وهام عبر القرون المتلاحقة وقامت في مناطقها حياة مزدهرة هي الأقدم في مناطق صعده ولا زالت المعالم الأثرية القديمة من نقوش بخط المسند وحصون وقلاع وحصون ودور ومعابد شواهد باقيه لم يغيرها تقادم الزمن ومن أهمها (مدينة أم ليلى) و(دور حنبه) و(قصور المحاما) و(دفا).

وفي العصر الإسلامي شكلت بلاد جماعة إحدى ركائز الدولة الزيدية التي امتدت قرابة (١٠ قرون) وانطلقت منها دعوات كثيرة من الأئمة من القرن التاسع إلى الرابع عشر الهجري فقامت المدن ونشئت الهجر القديمة والمساجد التاريخية التي مثلت منارات إشعاع ديني وفكري قرون كاملة من الزمن.

وتشتهر قبائل جماعة بالشكيمة والمراس وشدة البأس وقد خاضت في

---

(١) مجموعة بلدان وقبائل اليمنية ٤٧٦.

(٢) انتهت إليهم رئاسة خولان بن عامر برمتها بعد جدهم (المخوزق) حيث كانت من شروط رئاسة خولان عامر قديما القفز من إرتفاع عال على رمح منصوب فكان جدال مقيت أول من قفز على الرمح حتى تخزق فسمي (المخوزق) وأسندت لأبنائه وأحفاده الرئاسة على البلاد الخولانية ويعد الشيخ حسن محمد مقيت اليوم الشيخ المرد لقبائل خولان عامر.

القرن الأخير حربين في (مجلمة) و(شيحاط) ضد قوات إبن عايض وآل سعود. وفي النصف الأول للقرن العشرين توافدت القبائل الجماعية على صنعاء لإطلاق شيخهم وهم يرددون "واشيخنا ابن مقيت في حبس الدول... هو عاريا صبه جماعه، إن كان مولانا أطلقه ساعة نصل. والا دخلنا نخرجه والموت ساعة". تنقسم جماعة إدارياً إلى أربع مديريات هي:-

١- مديرية مجز (جماعه):

في قلب قضاء جماعة تقع مديرية مجز الممتدة من قاع صعده الخصيب باتجاه الغرب حتى وادي بدر غمر ويحدها من الشرق الصفراء من همدان ومن الشمال باقم وقطابر ومن الجنوب بلاد سحار وساقين. وكانت تسمى حتى وقت قريب (مديرية جماعه) باعتبارها مركز القضاء ومن أهم مناطقها (المعاريف، بني عباد، آل جابر، بني سويد، بني حذيفة، بني شنيف، آلت الربيع، ولد عمر، مجز) مركز المديرية وأهم مدنها (ضحيان). يقدر عدد سكانها وفق التعداد العام للسكان والمساكن ١٩٩٤م (٣٧٦١٥ نسمة) يمثلون (٥٥٨٧ أسرة) تقطن (٥٢٩٩ مسكن) في (٤٨ قرية) و(٢٤٢ محلاً تابعاً) في (١٢ عزلة).

ومن أبرز معالمها الجغرافية (وادي الحجر، وادي عسايه، شعب الحماطى) وجبلها المشهور (خنفعر).

وتزخر مديرية مجز بعدد من المناطق الأثرية والتاريخية الهامة منها (مدينة ضحيان[1]) و(هجرة رغافة[2]) و(فلله والخزائن[3]).

(١) مدينة ضيحان: فرع من هجرة فللة اسسها الإمام علي بن المؤيد بن جبريل في القرن التاسع الهجري وأضحت اليوم مدينة عامرة. (انظر المعالم التاريخية – المدن القديمة).

(٢) هجرة رغافة: إحدى الهجرات العلمية القديمة منها برز عدد من الائمة والعلماء الإعلام أمثال الإمام الحسن بن بدر الدين وأخيه الحسين بن بدر الدين والحسن بن أحمد الجلال، (القرى التاريخية – باب المعالم الأثرية).

(٣) فلله: القرية المشهورة احدى الهجر العلمية القديمة أنجبت أكثر من ١٢ إماماً من ائمة الزيديه وبها عدد من المساجد القديمة من القرنين ٨،٩هـ ومشاهد عدد من الائمة والعلماء الأعلام، (القرى التاريخية – باب المعالم الأثرية).

وتنقسم قبلياً إلى حلفي ونصري في إطار التقسيم القبلـــي الكبـــير لقبـــائل جماعة. فمن النصري (بنو حذيفة، بنو شنيف، الت الربيع) ومن الحلفي (بنـــي سويد، وبنو عباد، آل محمد ثم المعاريف وأهل مجز وآل جابر وسفال فلله)[1].

٣- مديرية باقم:-

في أقصى شمال اليمن تقع مديرية باقم التي ترتبط بصعده بخط اسفلتي نفذ عام ١٩٨٢م بطول ٨٠كم وهي مديريه غنية بخيراتها وآثارها واسعة المساحة تشكلها عدد من المناطق الهامة منها (مدينة باقم، سحار الشام، القهر، يســـنم، علب، بيتي معالي، آل قراد، القطينات، المعاين) ومن أهم معالمها الجغرافيـــه (جبل مرع[2]، مندبة، أبواب الحديد[3]، جبل شيحاط، جبـــل أم ليلـــى المدينـــة الأثرية الهامة والحصن الشهير الذي أعتصمت فيه قبائل خولان عـــامر عنـــد غزو أبرهه لمكة قبل الإسلام) و(وادي سروم) وبه خط عبور الملك المتـــوج أسعد الكامل والمعروف بـــ(طريق أسعد الكامل). ووفق التعداد العام للمســـاكن والسكان يبلغ عدد سكان باقم (٢٠٣٦١ نسمة) يمثلون (٢١٨٤ أسرة) تقطـــن (٢١٨٨ مسكن) في (٧ عزل) و(٦٥ قرية) و(١٤٨ محلاً تابعاً) ويحـــد بـــاقم غرباً قطابر ومجز ومن الشرق همدان (الصفـــراء) ومـــن الشـــمال ظـــهران الجنوب.

وفي إطار التقسيم القبلي لقبـــائل جماعـــة فـــإن مديريـــة بـــاقم أغلبـــها (نصري[4]).

---

(١) مجموعة بلدان وقبائل اليمن للحجري /٤٧٦.

(٢) جبل مرع: جبل شاهق منيف يشرف على مدينة باقم ومناطق خشبه ويسنم وغيرها ويذكر الأســـتاذ العلامة / حسين محمد حيدر أنه من مرع تنظر مناطق ظهران الجنوب.

(٣) أبواب الحديد: الجبال المحيطة بمدينة باقم وتدعى بـــ(أبواب الحديد) وتأخذ شكلاً بديعـــاً ومميـــز في الشكل واللون وكأنها جبال منحوتة أو مرسومة بريشة فنان فسبحان الخالق البديع.

(٤) نصرى: الشق الأول من التقسيم القبلي لقبائل جماعة والثاني (حلفي) وقد سبق الإشارة إليه.

٣- مديرية قطابر:-

في قلب قضاء جماعة وشمال غرب صعده بـ ٧٠ كم تقع مديريه قطابر التي يربطها بصعده الخط الدائري الشمالي (صعده-حرض).

تنقسم إلى عزل (يسنم الأعلى[1]، آل عبدل، حنبه، خاشر، آل قصبان، آل ثابت، وقطابر مركز المديرية) تطل على عدة مناطق في عسير منها (بني مالك، آل يحيى، آل تليد) وبها (جبل كتفا) الشاهق وبه احراش وغابات تطل على منطقة آل يحيى غرباً وتمر السحب من تحت هذا الجبل الشاهق وتضم قطابر (٥ عزل) و(٤٦قرية) و(٢٣٠ محلاً تابعاً) يسكنها (٣١٠٨١ نسمة) يمثلون (٣٤٠٢أسرة) يقطنون (٣٢٠٩ مسكناً) وفق التعداد العام للمساكن والسكان١٩٩٤م.

وقطابر مديرية غنية بتاريخها وآثارها العظيمة وفي شمالها (وادي حنبه) التي وصل إليها الملك الحميري (شمر يرعش) وبها مأثر ما تزال في حنبه ودفا و(قطابر) مركز المديرية أقدم الهجر الإسلامية في اليمن وكانت تسمى قديماً (هجرة آل يحيى بن يحيى[2]) الذي من نسله عدد من الائمة والحكام العظام منهم الإمام الهادي علي بن المؤيد بن جبريل في القرن الثامن الهجري (وقد تفرعت من هذه الهجرة كثير من الهجر) وبها (قملاً) التي أقام بها عدد من العلماء الكبار من آل معرف وآل أبو الرجال في القرنين السابع والثامن الهجري.

ومن أبرز رجالها اليوم القاضي الفاضل الألمعي/ صلاح بن حسين الاعجم عضو اللجنه العامة أول محافظي لحج بعد الوحدة والأستاذ / قاسم أحمد الاعجم وزير الاوقاف والإرشاد السابق وحالياً وزير الدولة عضو مجلس الوزراء.

---

(١) يسنم الأعلى: تتبع مديرية قطابر أما يسنم الأسفل فتتبع إدارياً باقم.

(٢) آل يحيى بن يحيى: من أحفاد (الإمام المنتصر) محمد بن (الإمام المختار) القاسم بن (الإمام الناصر) أحمد بن (الإمام الهادي) يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي.

يحد قطابر من الجنوب والشرق مديريتا باقم ومنبه ومن الشمال والغرب آل عبدل وآل تليد وآل يحيى. وفي التقسيم القبلي فقطابر (حلفي) ومنهم (أهل حنبه ويسنم) (نصرى).

٤- مديرية منبه:-

مديرية واسعة مترامية الأطراف في الركن الشمالي الغربي لليمن تبعد عن صعده بـ ٩٠كم وهي منطقة خيرة وخصبة تجود فيها الزراعة ويحترف غالب سكانها الرعي وبها عادات وتقاليد قديمة جداً ولهجتها أقرب إلى الحميرية[١] ومن عزلها (آل خولي، بطين، خميس منبه مركز المديرية، آل مشيخ، آل عمر، آل عياش، آل طارق، آل مقنع) وبها مدينة قديمة جداً لم يتبق منها شيء هي مدينة (جاوي) ومن أشهر جبالها المنيفة جبل (العر) الشاهق الذي تتناثر في أحضانه وسفوحه (٥٠%) من قرى المديرية و(جبل شوذان) وفي قمته الشاهقة مجموعة دور حميرية قديمة لم تعد مسكونة وفي هذه المنطقة عدد من الحكايات والاساطير[٢] وتشتهر منبه بزراعة البن والحبوب بأنواعها وتعتمد على مياه الأمطار ومن الظواهر السلبية في المديرية مشكلة غلاء المهور حيث يصل المهر إلى ما يزيد عن نصف مليون ريال وحتى مليون ريال ومن ٣٠,٠٠٠ ريال (ماري تريزا) إلى ٤٠,٠٠٠ ريال (ماري تريزا) وكذا مشكلة الثارات القبلية كما لا يختن الطفل إلا بعد بلوغ سن العشرين سنة نظراً لعادات متأصلة ووجود الثارات ولا يجوز أخذ الثأر ممن يختن بعد والغريب في الأمر أنه عند ختان الشاب يجتمع مئات من رجال القبيلة يحيطون به ويختن على مرأى ومسمع منهم دون أن يتفوه باي ألم رغم أن عملية الختان تتم بصورة بدائية.

---

(١) أقرب إلى الحميرية: لهجه منبه مشوبه بلغة حمير تضيف حروف النونٍ إلى الافعال فتقال (تشاء ضربن) بدل (تشاء ضرب) وتختزل بعض حروف الأسماء فتنطق (علم حسه) بدلاً من (علي حسين).

(٢) الأساطير: في منطقة آل مشيخ يعتقد السكان أن عبلة ملكة الجن وعند حدوث خطب يقول المشيخي (أخو عبلة) ويعتبروها مكانة إحترام وتقديس الناس.

ورجال منبه أوفياء أصحاب حمية ونخوة ومروءة وكرم بـــهم يضـــرب المثل وتتكون من (١٣ عزلة) و(٥٠ قريـــة) و(٧٤٧محـــلاً تابعـــاً) يســـكنها (٢٤٧٦٥نسمة) يمثلون (٣٩٠٥أسرة) تقطن (٤٠٦٩ مسكن[١]).

يحد منبه من الشمال فيفا وبني مالك[٢] ومن الغرب قبائل قيـــس[٣] ومـــن الجنوب مديريه غمر ومن الشرق مجز جماعة.

قضـــاء رازح:

أخصب وأجمل والطف قضوات محافظة صعده ورازح هو إبن خـــولان بن عامر، قال جميل بن معمر:

بشهباء يزجيهـــا رازح[٤] كـــأنها إذا ما بدت موج من البحر مردف

ويتكون القضاء من مديريات ثلاث خصبة غنية الخـــيرات هـــي (رازح، شداء، غمر). وتمتد مديريات قضاء رازح من المرتفعات الجبلية الغربية حتـــى السهوب التهامية في شداء وجميعها اليوم ذات إتصال حدودي مع مناطق أمارة جيزان (جنوب المملكة العربية السعودية) وتحيط بها مديريات قضائي خـــولان وجماعة من الشمال والشرق والجنوب.

وينقسم قضاء رازح إلى مديريات ثلاث هي:-

١- مديرية رازح:

أهم وأخصب وأوسع مديريات القضاء تتناثر قراها ومناطقها علـــى قمـــة

---

(١) التعداد العام للسكان والمساكن ١٩٩٤م، النشرة الاحصائية السنوية لعام ٢٠٠٠م مكتب الإحصاء بعصده.

(٢) فيفا وبني مالك: من مناطق عسير بالمخلاف السليماني وقد أضحت هذه المناطق تابعة للمملكة العربيـــة السعودية بموجب إتفاقية الحدود بين البلدين في ١٢/٦/٢٠٠٠م.

(٣) قبائل قيس: سعودية أيضاً بمقتضى اتفاقية الحدود وبينها وبين قبائل منبه ثارات قديمة وحروب قبلية.

(٤) رازح: ترجمة نشوان بن سعيد فقال: رجل من قضاعة أخو قصي بن كلاب القرشي من أمـــه، نصـــر رازح قصياً على خزاعة بقبائل قضاعة حتى أخرجوا من مكة وسكنها قصي وجمع بها قريش وكانوا متفرقين فسمى (مجمعا) "شمس العلوم: ٢/ ٥٢٣".

وأحضان وسفوح جبل رازح المنيف الذي يطل على جيزان ومن أهم عزلها (بني ربيعة، بني معين[1]، الشوارق، بركان[2]، بني صياح، "النظير" المدينة الأهلة بالسكان، الازد، آل عطيف، القلعة). ومن أهم جبالها (جبل حرم الشاهق) وكان يسمى قديماً بـ(جبل غيلان) و(جبل الحبرة) و(جبل الحجلة) و(جبل الازد) وتتقسم رازح قبلياً إلى (حلفي) (جهوزي) (غمري) ومن الحلف (نظيري، ازدي، شارقي) ومن الجهوز (منبهي، بركاني، معيني[3]) ومن أشهر معالمها التاريخية (قلعة غمار) وتسمى اليوم قلعة رازح مركز المديرية وبها القلعة ومسجد الناصر المقبور به عدد من مشاهير العلماء الأعلام كذا (حصن حرم، حصن الدامغ، حصن غيلان) ويقول في صفة جزيرة العرب أن الحصين مدينة أسفل الدامغ عمرت في القرن الـ١١هـ وهو يعني بها (مدينة النظير) اليوم[4].

يحد رازح من الشرق غمر وساقين ومن الجنوب شداء ومن الشمال منبه ومن الغرب (أبو عريش) ومناطق من جيزان. ويقدر عدد سكان مديرية رازح (٤٧,٦٨٣نسمة) يمثلون (٦,٢٥٨أسرة) تقطن (٥,٩٥٦ مسكناً) في (١٦عزلة) و(١٣٩ قرية) و(٥٠٢ محلاً تابعاً) حسب التعداد العام للسكان والمساكن ١٩٩٤م.

٣- مديرية غمر (وادي بدر):-

إحدى مديريات قضاء رازح وتقع في السهل الشرقي لجبل رازح الشاهق ممتدة باتجاه الشرق لتتصل بوادي خير ساقين ووادي عساية من مجز ومن

(١) بني معين: من بني معين رازح بن خولان برز منها العلامة الصوفي الكبير/ مدافع بن أحمد بن محمد المعيني الخولاني سنة ٧هـ.

(٢) بركان: أسفل رازح منطقة عامرة خصبة كثيرة الخيرات ومن قبائلها القديمة (قشيب) التي ينسب إليها الشاعر / عبدالرحمن بن أحمد القشيبي.

(٣) مجموع بلدان وقبائل اليمن ٤٧٧.

(٤) ولعل (مدينة الحصين) غير النظير وهي موجودة في القاطع التهامي في صبيا من بلاد جيزان وهذا نتاج اختلاط (الدامغ) و(الدافع) كونهما في خط واحد والدافع هو إبن صباء بن حرب.

الجنوب تحدها مناطق من ساقين ومن الشمال مناطق جنوب منبه ومن الغرب تطل على مناطق من جيزان في غور المشواة، وهي منطقة جبلية يشطرها إلى نصفين وادي من أخصب أودية اليمن يعرف بـ(وادي بدر) الذي يرتبط من الناحية الشرقية بمجموعة أودية عظيمة تصب فيه عبر ممر مائي كبير في مضيق جبلي طويل يعرف بـ(الحاجبين). وتجتمع هذه السيول في (وادي بدر) ثم تتجه نحو الغور ومنها إلى مناطق جيزان المجاورة.. وهي مديرية حدودية.

وتنقسم مديرية غمر إلى (٤ عزل) و (٦٣ قرية) و(٧٨ محلاً تابعاً) ويسكنها (١١٧٦٩ نسمة) يمثلون(١٧٦٤أسرة) تقطن (١٧٣٤مسكن) ومركز المديرية (وادي بدر).

٣- مديرية شداء:-

مديرية صغيرة في أسفل جبل رازح الشاهق من الناحية الجنوبية ويحدها من الجنوب مديرية الظاهر ومن الشمال والشرق رازح ومن الغرب مناطق من جيزان وتتصل إتصالاً مباشراً بالحدود اليمنية - السعودية في (المشنق) ومن مناطقها (الضيعة) مركز المديرية و (جبل شداء، المشاف). وتقع غالبية مناطقها في السهوب التهامية الغربية بإستثناء جبل شداء وقد سكن شداء أبناء عقارب بن خولان بن عامر وداعيها القبلي (عقارب) ضمن (الجهوز) في الداعي الكبير لقبائل خولان عامر.

تتكون شداء من (٢عزل) و(٤١ قرية) و(١٣٤ محلاً تابعاً) ويسكنها (٨٩٧٧نسمه) يمثلون (١١٢٦٩أسرة) تقطن في (١٢٧١ مسكن) وفق إحصائيات التعداد العام للمساكن والسكان ١٩٩٤م.

قضاء صعدة:

يشكل قلب محافظة صعده ويحتل موقع جغرافي هام في أخصب مناطق اليمن حيث يمتد من أطراف ساقين الشرقية وأطراف آل عمار إلى مديرية

مجز شمالاً فارضاً سيطرته على قاع صعده الخصيب[1] ويتشكل القضاء من مديرية صعدة جنوب القاع ومديرية سحار التي تحيط بصعده من كل الاتجاهات لتأخذ جزءاً كبيراً من القاع الواسع والأودية والجبال المحيطة بالقاع من الجهتين الغربية والجنوبية.

وقضاء صعدة غني بخيراته ومأثرة وتاريخه العريق وقد وصل إليه عدد من ملوك حمير وفيه أقام الوالي الحميري نوال بن عتيك مولى سيف بن ذي يزن[2]وقد ظلت هذه الرقعة الجغرافية مسرحاً للأحداث السياسية المتواصلة منذ القدم فشهدت إحراق قاع صعده على يد الحميريين ودخول القائد العلوي إبراهيم الجزار صعدة سنة ٢٠٠هـ وصراعات الأئمة عبر عشرة قرون كاملة. وينقسم القضاء إلى:-

١- مديرية صعدة: تشمل مدينة صعده وضواحيها ورجبان.

وتقع مدينة صعده في قلب القضاء تحيط بها المناطق من مختلف الاتجاهات وقد شيدت مع قدوم الإمام الهادي إلى صعدة من جبل الرس بالمدينة المنورة ليؤسس الدولة الهدوية سنة ٢٨٤هـ. وتعد صعدة[3] من الهجر

---

(١) قاع صعدة: ويسمى الحقل قال ياقوت في معجم البلدان " والحقل من بلاد خولان من نواحي صعده قال الهمداني إن خولان قتلت فيه أخا العباس بن مرداس السلمي فقال:

فمن مبلغ عوف بن عمرو ... ويعلي بن سعد من ثؤ رير أسللة
بأبي سأرمي الحقل يوما بغارة ... لها منكب حاني تدوي زلازلة
أقام بدار الغدر من شر منزل ... وخلي بياض الحق تزهي خمائله

أنتهى كلام ياقوت (مجموع الحجري ٢٧٨).

(٢) نوال بن عتيك: مولى سيف بن ذي يزن والي صعدة آنذاك أقام في (حصن تلمص) وكان يلقب بنازع الاكتاف، انظر (المدن التاريخية - باب المعالم الأثرية من هذا الكتاب).

(٣) قال الحجري في المجموع "صعده مدينة مشهورة شمالي صنعاء تبعد عنها سبع مراحل وهي أم قرى خولان بن عمرو وصعده مخلاف باليمن بينه وصنعاء ستون فرسخاً وبينه وخيوان ١٦ فرسخاً وقال الحسن بن محمد المهلبي" صعده مدينة عامرة أهلة يقصدها التجار من كل بلد وبها مدابغ الأدم وجلود البقر التي للنعال وهي خصبه كثيرة الخير في الأقليم الثاني عرضها ١٦ وإليها ينسب أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن مسلم البطال الصعدي نزل المصيصة بالأندلس حسب قول ياقوت " المجموع ٤٦٧، انظر (مدينة صعده الباب السابع المعالم التاريخية والأثرية).

الإسلامية الهامة في اليمن وإليها توافد الطلاب والعلماء من سائر جهات اليمن ومن خارج اليمن فأستوطنوها وكان الأكيليين (بنو أكيل[١]) من الربيعة (سحار) هم أصحاب صعده حتى نهاية القرن الـ٣هـ. وقد ظلت مركز إشعاع علمي وفكري هام وعاصمة للدولة الزيدية لقرون كاملة من الزمن. ومن أهم مناطق مديرية صعده (هجرة رحبان) وقد أضحت مدينة أهلة بالسكان.

اما موقع مديرية صعده ففي قلب محافظة صعده في القاع الخصيب وتحيط بها مديرية سحار (ثاني مديريات القضاء) من كل إتجاة.

٢- مديرية سحار: أكبر مديريات محافظة صعده وأكثرها كثافة سكانية وهي مديرية غنية بالخيرات والموارد مرهوبة الجانب لعبت دور بارز في الجاهلية والإسلام وكانت تسمى (الربيعة بن سعد[٢]) وتنسب إلى صحار بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

وتنقسم سحار قبلياً إلى (مالك، كليب[٣]) ومن مناطقها الهامة جبل بني عوير والعبدين وأحماء الطلح وولد مسعود وعلاف والابقور والازقول والمهاذر وبني معاذ. وتضم سحار (١١عزلة) و(١٢٣قرية) و(٢٩٧محلاً تابعاً) يسكنها (١٨٨١٥نسمه) تمثل (١٥٩٩٤أسرة) تقطن (١٥٩٠١ مسكن) وفق تعداد عام ١٩٩٤م.

---

(١) بنو أكيل: الأكيليين سادة الربيعه وقد سكنوا صعده وقال الحجري في المجموع ٤٦٨ أن صعده سكنها الكلبيون من الربيعة بن سعد الأكبر بن خولان" والصحيح الأكيليين أما الكلبيون فهم سكان وادي علاف ويسمون "كليب" الفرع الثاني من سحار.

(٢) الربيعه: حي من اليمن من قضاعة من ولد الربيعه بن سعد بن خولان. قال الشاعر:

أيها السائل عن إنسابنا ... نحن خولان بن عمرو بن قضاعة
نحن من حمير في ذروتها ... ولنا المربـاع منها والرباعة

منتخبات من أخبار اليمن / ٤٠.

(٣) كليب ومالك: أبناء صحار بن خولان ومالك تتكون من (الطلح، ولد مسعود، بني معاذ، بني عوير، المهاذر) وكليب عامر وعمير من ولد عامر (علاف، الابقور، الت مجزب) وولد عمير (الازقول، فروة، العبدين).

وتشتمل مديرية سحار على عدد من الأودية الخصبة منها:

(وادي علاف)[1] قال عنه الهمداني خير أوديه خـولان وأكرمـها خـيراً واعناباً وماشية وهو لبني كليب، و(الخانق) و(رحبان) و(وادي ربيع)[2] و(وادي صبر)[3] وتأتي مساقط هذه الأودية من بلاد خولان عامر ساقين ومن أعـالي الصفراء وتجتمع جميعها في وادي (عكوان) الصفراء لتصب جميعاً فـي وادي نجران ومن جبالها المشهورة (جبل ابذر) لبني عوير و(عنم[4]).

وفي أرض سحار قامت مدينة (جماع) القديمة و(تلمص) صعده الأولـى وبها عدد من الحصون والقلاع القديمة كالعبلاء وحصن العشه وابذر والسنارة وفيها اقيم سد الخانق الشهير الذي هدمه إبراهيم العلوي سنة ٢٠٠هـ ولعبت قبائل سحار دوراً هاماً في قيام دولة الهادي إلا أنها ما لبثت أن انقلبت علـى ولده الناصر أحمد بن يحيى بن الحسين وهزمته في (مصنعة كتفـا) و(يـوم الباطن) فكان ذلك إيذاناً بنهاية الدولة الهدوية..و(اكيل) رؤوساء الربيعـه بـن سعد ومن أهم مناطق سحار (حقل صعده) الذي تتمركز جل قبائلها فـي قلبـه واطرافة وهو حقل خصيب من أهم حقول اليمن ذكره الشعراء والملوك ومنـهم الملك الحارث الرائش الذي قال في قصيدة مشهورة له:

---

(١) وادي علاف: ينسب إلى ريان بن خولان بن عمرو بن الحاف من خير أودية اليمن تجتمع مياهه كما قال الهمداني بالفقارة من أسفل البطن ثم إلى بلاد سابقة من همدان ثم إلى نجران. وقال نشوان بن سعيد في المنتخبات علاف اسم رجل من قضاعة تنسب إليه الرحال العلافيه وهو ربان بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وبه سمي وادي علاف باليمن من ناحيه صعده قال النابغة:

شعب العلافيات بـين فروجـهم والمحصنـات عـوازب الاطـهار

(٢) وادي ربيع: في الشمال الشرقي لصعده يصب ماؤه في وادي نشور ثم إلى نجران.

(٣)وفي صبر يقول محمد بن ابان الخنفري:

وفي صبر لنـا شـاد المعـالي أبـو نـا ذو المهابـه والجـلال

وقد سكن وادي صبر (العلاقم) أبنا علقمة بن مالك بن مطرق بن معمر الوادعي الهمداني جـد جـاهلي (الإعلام للزركلي) ج٥ /٢٦٤ الإكليل ج١٠/٧٩-٨٠.

(٤) عنم: جبل شاهق به حصن اثري وينسب إلى ذو عنمه ملك من ملوك حمير واسمه مالك بن حلل بـن يعفر بن عمرو بن ديسع بن السبب بن شرحبيل، وولده العنميون وجد على قـبره كتابـات بالمسـند، المنتخبات/ ٧٨..

فنطحنهم طحـــن الرحـــاء بثقالهـــا

بجيش يضيق الحقـــل عنـــه وحضـــبر

كما ذكره علقمة في داليته التي أوردها الهمداني في صفة جزيرة العـــرب يحكي مسير حمير فقال:

فلما بطنا السهل من تحـــت بهـــتر

وأسفر من ضوء الصبـــاح عمـــود

سلكنا بها السهل ســـهل ســـحامة

لهـــا ذمـــل مـــن تحتنـــا وسميـــد

ومن عظماء رجالات سحار القيل اليماني: محمد بن أبان الخنفـــري فـــي القرن الثاني الهجري يحدها من الشمال مجز جماعة، ومن الغرب ساقين ومـــن الشرق والجنوب مديرية الصفراء ومديرية حرف سفيان.

قضاء همدان بن زيد:

يشكل هذا القضاء القاطع الشرقي لمحافظة صعده ويمتد من جنوب وشرق مدينة صعده إلى العطفين والبقع شرقاً وإلى نجران شمالاً وسفيان جنوباً وهـــو قضاء واسع كثير الخيرات كثير الأودية من أوديته المشهورة (الفرع، دمـــاج، مذاب، أملح، العقيق، العطفين، مرر، آل سالم) إلا أن حجم الكثافة الســـكانية لا تتناسب مع ترامي وسعة مناطقه ويتكون من ثلاث مديريات هي (الصفـــراء) ويطلق عليها همدان (وكتاف البقع) بلاد وايلة بن شاكر[1] و(الحشوة) وغالبيـــة سكان الحشوة والصفراء هم من أولاد دهمة[2] بن شاكر وهمدان أشهر قبـــائل اليمن من ولد همدان بن مالك بن زيد بن أوسله بن ربيعة بن النبت بن مـــالك

(١) وايلة: وايلة بن شاكر بن ربيعة من الدعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل.

(٢) دهمة: أخت وايلة ومن قبائلها (العمالسة، آل عمار، آل سليمان، ذو غيلان، أهل برط والمهاشمة وبنو نوف) الحجري المجموع /٤٣٩.

بن زيد بن كهلان بن سباء وكانت مساكنهم بين صنعاء وصعده[1].

ولهمدان تاريخ عظيم في الإسلام أسلمت جميعاً عند قدوم الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بكتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما وصل كتاب الإمام علي بإسلام همدان أنثنى صلى الله عليه وآله وسلم ساجداً ثم رفع راسة وقال: السلام على همدان. وقال صلى الله عليه وسلم: (نعم الحي همدان ما أسرعها إلى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد الإسلام) أخرجة أبن سعد في طبقاته[2].

١- مديرية الصفراء:-

مديرية تأخذ شكل مستطيل يمتد من سفيان جنوباً حتى وادي نجران شمالاً وتداعى قبلياً همدان ومن مناطقها الهامة (آل عمار، وادعة[3]) وتمتاز بوجود عدد من الأودية الخصبة ذات الشهرة الذائعة كـ (وادي دماج[4]، وادي مذاب، وادي نشور[5]، وادي عكون، وادي كنا) وتعد (الصفراء) مركز المديرية ويوجد بالمديرية معالم أثرية ونقوش في نشور ومذاب، وفي آل عمار قلعة الصفراء وكانت مركز المديرية بعد الثورة.

---

(١) قبائل همدان كثيرة وقد خلدها الإمام/ علي بن ابي طالب في قصيدته بقوله:

ونـاديت فيـهم دعـوة فأجـابني ... فـوارس مـن همـدان غـير لئـام
فـوارس ليسـوا في العجـاج بعـزل ... غداة الوغـى مـن شـاكر وشـبام
ومن أرحب الشـم المطـاعين بالقنـا ... ونهـم وأحيـاء السـبيع ويـام
ووادعـة الأبطـال يخشـى مصالهـا ... بكـل صقيـل في اليديـن حسـام

انظر (الباب الثامن، الحياة السياسية – صعده في العصر الإسلامي).

(٢) مجموع بلدان اليمن وقبائلها. للحجري /٧٥٣/٧٥٦.

(٣) وادعة: من بني معمر بن الحارث بن سعد بن همدان كانوا يسمون في الجاهلية (عصارة المسك) منهم مسروق بن الأجدع الهمداني ومن مشاهيرهم أبو الحصين محمد بن الحسين الوادعي القاضي الكوفي ٩٩٦هـ (جامع المهاجرين ٦٣٦).

(٤) وادي دماج: وادي مشهور ينزل من شرق جبل السنارة ومن مشارق جبل براش وجنوب ظفار وكهلان ويلتقي مع وادي العبدين في مضيق الخانق.

(٥) وادي نشور ووادي عكوان: من أجمل أودية صعده وهي أودية واسعة غنية بالخيرات وفي عكوان تلتقي سيول كثيرة من أودية صعده وهمدان لتصب في نجران.

تضم مديرية الصفراء (٧عزل) و (٥٩قرية) و (٣٠٦محلاً تابعاً) وبلـــغ عدد سكانها عـــام ٩٤م (٣٧٧١٧نســمة) يمثلــون(٥٣٠٢أســرة) يقطنــون (٥٢٤٢مسكناً).

تتخذ مديرية الصفراء شكل مستطيل في قلب المحافظة من الجنوب حتــى أقصى الشمال ويحدها من الغرب مديرية سحار ومجز وباقم ومــن الجنــوب سفيان ومن الشرق كتاف البقع (بلاد وايلة) ومن الشمال نجران.

وتنسب مديرية الصفراء إلى همدان وتسمى في الأغلب (مديرية همــدان) حتى الآن وقبائلها من دهمه بن شاكر ووادعه.

وهذه المديرية زاخرة بالأثار الحميرية القديمة وكانت الكثير من مناطقــها إمتداداً لصعده الأولى التي نشئت في سفح جبل تلمص وأمتدت إلى جبل أظفــر شمال العشاش وقد شكلت هذه المديرية واحدة من أهم القلاع الحصينة لأمــراء بيت حميد الدين وبها دارت أشد المعارك الفاصلة بين الملكية والجمهورية فــي مناطق (كدم، أم عيسى) حتى عام ١٩٧٠م.

٣- مديرية الحشوة:-

أصغر مديريات قضاء همدان بن زيد وتقع جنوب القضاء إبتداء من وادي العقيق حتى عضله وتسكنها قبائل العمالسة وتتصل بمناطق برط في الجــوف من الشرق وبها (وادي هوان) الرحب في الرملة ومن أخصب وأجمل مناطقها (وادي العقيق، وادي أملح، موجا).

تضم الحشوة (٤عـــزل) و(٤٣قريــة) و(١١٥ محـــلاً تابعـــاً) يســكنها (١٠٤٤١نسمة) تمثل (١٦١٢ أسرة) تقطن (١٦٣٠مسكن) وهي من النواحــي المنسية التي هي ضحية التقسيم الإداري الخاطئ الغير متوازن إذ لا تتجــاوز مناطقها وعدد سكانها نسبه ١٥-٢٠% من مديرية كتاف البقع المجاورة.

٣- كتاف البقع:-

أوسع مديريات محافظة صعده حيث تشكل أغلب مناطق القاطع الشرقي للمحافظة وتمتد من (العشاش)[١] في الغرب إلى البقع شرقاً ومركزها (كتاف)[٢] ويسكنها أولاد وأيلة بن شاكر[٣].

وتتقسم مناطقها قبلياً إلى (آل حسين، آل مقبل، آل أبو جبارة، المقاش) من وايله و(آل سالم) من دهمة ومن أوديتها المشهورة (وادي الفرع، وادي آل أبو جبارة، وادي العطفين، وادي املح، وادي العقيق، وادي اتيس، وادي مرر) ومن أهم مناطقها (كتاف) مركز المديرية و(منطقة البقع) منفذ حدودي بري و(العطفين) ومن جبالها أظفر وابن تيرك وهمدان والعشه وميهر، كما تضم مديرية كتاف البقع منطقة (آل سالم) في دهمة متاخمة لمديرية الصفراء، ومن أوديتها (وادي غرير) من مناطقها (البرقة، غرير) وفي آل سالم معالم أثرية منها حصن العيقالي قرب البرقة وحصن برغ في السهلين، أما في وايلة بن شاكر فهناك معالم أثرية منها (الفحلوين، جبل ميهر، خط قنا التاريخي) الذي يقطع المديرية من سلبان حتى العشاش.

وتضم كتاف البقع (٧عزل) و(٥٩ قرية) و(٣٠٦محلاً تابعاً) يسكنها (٣٣٩٢٣نسمة) تمثل (٤٩٦٣أسرة) تقطن (٤٧٨٩مسكناً) وتنسب إلى وايلة ودهمة بني شاكر من همدان بن مالك بن زيد. وتنقسم وايلة قبلياً إلى (جباري، مقبلى، مقشي).

وتنقسم آل سالم إلى (آل محمد، آل علي)[٤].

---

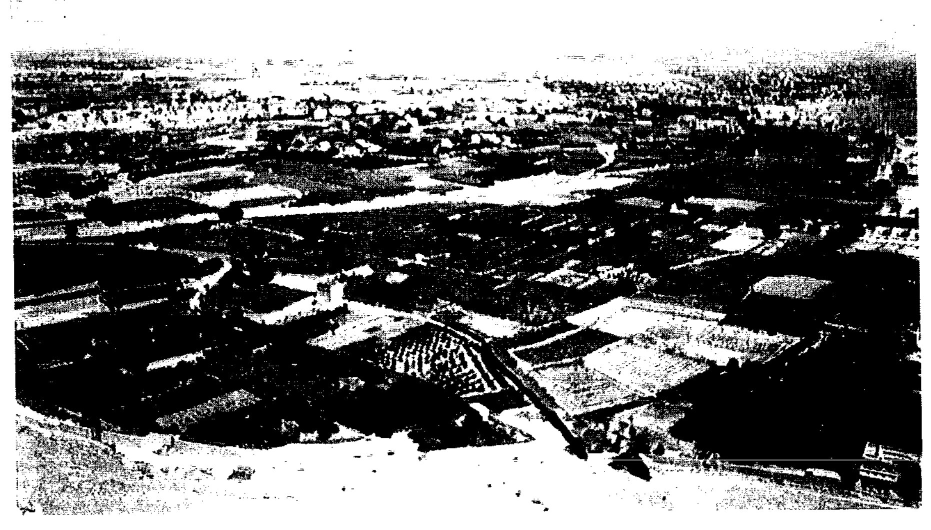
(١) العشاش: هضبة كبرى في همدان بن زيد بين صعده ونجران تكثر فيها الأشجار الحراجية الغير مثمرة.
(٢) كتاف: بن كريم بن الدعام.
(٣) وايلة بن شاكر: وآيلة بن شاكر بن جشم بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن الصعب بن دومان بن بكيل.
(٤) آل محمد منها (المقاحمة، ذو حسين، ذو كليب) آل علي منها (ذو فرج، ذو عيسى). ذكر لي ذلك الشيخ/ محمد عبدالله دعكم السالمي.

المديرية	العزل	القرى	عدد المحلات	عدد المساكن	عدد الأسر	عدد السكان الذكور	عدد السكان الإناث	هجرات	إجمالي السكان
١- باقم	٧	٦٥	١٤٨	٢١٨٨	٢١٨٤	١٠٧٧٠	٩٤٨٦	١٠٥	٢٠٣٦١
٢- قطابر	٥	٤٦	٢٣٠	٣٢٠٩	٣٤٠٢	١٦٤٦٦	١٤٥١٠	١٠٥	٣١٠٨١
٣- منبه	١٣	٥٠	٧٤٧	٤٠٦٩	٣٩٠٥	١٢٧٤٥	١١٩٢٢	٩٨	٢٤٧٦٥
٤- غمر	٤	٦٣	٧٨	١٧٣٤	١٧٦٤	٦١٥٨	٥٥٦٤	٤٧	١١٧٦٩
٥- رازح	١٦	١٣٩	٥٥٢	٥٩٥٦	٦٢٥٨	٢٣٨٠٨	٢٣٦٥٥	٢٢٠	٤٧٦٨٣
٦- شداء	٢	٤١	١٣٤	١٢٧١	١٢٦٩	٤٦٧٦	٤٢٠٧	٩٤	٨٩٧٧
٧- الظاهر	٢	٢٦	٤٠٦	٢٥٩١	٢٥٦٠	٨٠٢٣	٦٥٢٤	٤٣	١٤٥٩٠
٨- حيدان	١٢	٩٠	٦١٤	٦٧٧٣	٦٨٣٤	٢٣٢٣٢	٢٢٤١٧	١٠٨	٤٥٧٥٧
٩- ساقين	٢١	٢٥٦	١٤٦	٥٩٨٩	٦٢٦٧	٢٠٤٨٥	١٩٩٨٢	١٠٢	٤٠٥٦٩
١٠-مجز	١٢	٤٨	٢٤٢	٥٢٩٩	٥٥٨٧	١٩٠٠٩	١٨٥٦٩	٣٧	٣٧٦١٥
١١-سحار	١١	١٢٣	٢٩٧	١٥٩٠١	١٥٩٩٤	٦١٥٣٥	٥٦٧٣٧	٥٤٣	١١٨٨١٥
١٢-الصفراء	٧	٩٠	٢١٣	٥٢٤٢	٥٣٠٢	١٩٢٧٠	١٨٠٧٢	٣٧٥	٣٧٧١٧
١٣-الحشوة	٤	٤٣	١١٥	١٦٣٠	١٦١٢	٥٣٠٢	٥٠٣٤	٦٥	١٠٤٤١
١٤-كتاف	٧	٥٩	٣٠٦	٤٧٨٩	٤٩٦٣	١٧٣٢٠	١٦٠٩٩	٥٠٤	٣٣٩٢٣
الإجمالي	١٢٣	١١٣٩	٤١٧٨	٤١٧٨٠	٦٧٩٠١	٢٤٨٧٩٩	٢٣٢٨١٨	٢٤٤٦	





مدينة صعدة (مركز قضاء صعده وسحار)



قاع صعده المسمى (صعيد صعده)



وادي آل ابو جبارة مديرية كتاف البقع



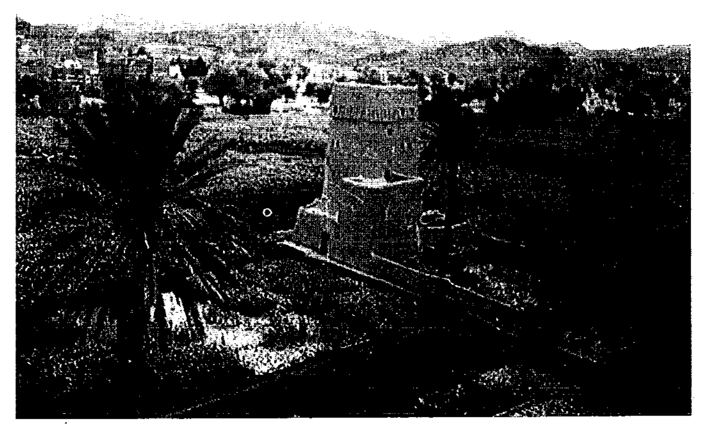
وادي غرير في آل سالم- كتاب البقع



جبل رازح الأخضر مركز قضاء رازح



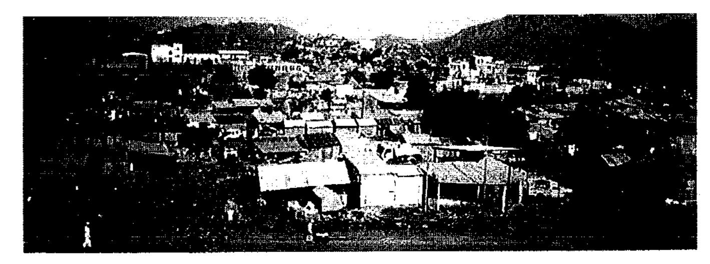
منطقة فى ساقين - بلاد خولان عامر



وادي عكوان - مديرية الصفراء قضاء همدان بني زيد



سحار الشام مديرية باقم - قضاء جماعة



الملاحيط - مديرية الظاهر- خولان



أحدى عزل مديرية غمر

الباب الثاني

الحياة السياسية في صعده



الفصل الأول

العصر القديم

شكلت صعده منذ القدم لبنة هامة في الحياة السياسية ولعبت قبائلــها أدواراً سياسية مهمة عبر تاريخ اليمن الطويل حيث ظلــت قــاعدة حربيــة وعمــق إستراتيجي للدولة الحميرية ومخزون بشري واقتصادي شكلت فيه قبائل همدان وخولان بن عامر ركيزة انطلاق الدولة.

ومع بزوغ فجر الإسلام كانت قبائل خولان بن عامر وهمدان بن زيد فــي طليعة القبائل اليمنية التي أعلنت إسلامها في وقت مبكر فــي السـنة ٩هــــ ودفعت بالزكاة إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبرغــم بعــض حالات الردة التي قامت بها بعض القبائل الخولانية بعد وفاة الرسول صلــى الله عليه وآله وسلم (١١هـ) إلا أنها جددت إسلامها في عهد الخليفة الراشد أبــو بكر الصديق (١٢هـ) وبصوره أقوى فهاجرت الكثير من قبائل الربيعة وسـعد بن سعد وبني حمرة بن سعد والشهابيين وبقية بطون خولان ومن شاكر ويــام إلى العاصمة الجديدة (المدينة) ومنها انطلقت في الفتوحات الإسلامية إلى الشام ومصر وفارس والأندلس فأستوطنت في البلدان المفتوحة في إطار تجمعــات كبيره عرفوا بها.

وبعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان [٢٣-٣٥هـ] وحــدوث الفتنــه نهضت القبائل الهمدانيه والخولانية لمناصرة البيت النبوي ومثلت إلى جــانب القبائل اليمنية الأخرى القوة الأساسية الهامة التي لعبت دوراً واضحاً وجلياً في

الفتنه حتى مقتل الحسين بن علي (ع) على أرض كربلاء في عاشوراء سنة ٦١هـ والذي خلق بدوره تركيزاً واضحاً من الدولة الأموية على القبائل اليمنية وخلق صراعاً بين القحطانيين من اليمن والقيسية النجدية منذ بداية خلافة معاوية سنة (٤٠هـ وحتى سقوط الدولة الأموية في عهد الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد (الحمار) سنة (١٣٢هـ).

وبرغم قيام الدولة العباسية في عهد ١٣٢هـ على يد أبي العباس السفاح إلا أن العباسيين وجهوا لليمن ولاه أمعنوا في التنكيل والقتل ومنهم معن بن زائدة الشيباني سنة ١٤٠هـ وقصة مقتل الغالبي على يد معن بن زائدة معروفه والذي بدوره دفع القيل اليماني محمد أبان الخنفري الصعدي إلى الثورة على معن بن زائدة أدى إلى عودته إلى بغداد وفي ظل إستمرارية مناصبة العباسين العداء للقبائل اليمنية ومنها الخولانية والهمدانيه على وجه الخصوص ظل التمرد قائم على الخليفة العباسي وفي رأس ٢٠٠هـ وصلت جيوش إبن طباطبا بقيادة القائد / إبراهيم بن موسى العلوي الملقب بالجزار الذي دخل صعده وأحرق قاع الحقل (صعيد صعده). وخرب سد الخانق الشهير وسد ساقين وأمام اساليب القمع هذه راودت القبائل القضاعية فكرة الانفصال عن الدولة العباسية فأستغلت ضعف الخلفاء الذين جاؤا بعد المعتصم ليعلنوا الانفصال بعد أن أرسلت القبائل وفودها لدعوة إمام هاشمي ليصل إلى صعده الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي سنة ٢٨٤هـ ولتبايعه قبائل همدان وخولان عامر والربيعه سحار ليقيموا بذلك دعائم الدولة الزيدية الهدوية أولى الدويلات اليمنية المستقلة عن الخلافات العباسيه (٢٨٤هـ) والتي شكلت نواة سياسية لقيام الدويلات الزيدية اليمنية المتلاحقة وكانت صعده مركزاً لدولة الهادي ومنها انطلقت دعوات الأئمة المتعاقبة وقلعه الفكر الزيدي في اليمن الذي امتد بعد ذلك إلى كل أرجاء اليمن وهيأ لقيام مراكز دينيه وفكرية مهمة بعد ذلك كشهاره والإهنوم، ذمار، صنعاء، وقد كان لقبائل خولان وهمدان دوراً كبيراً في مناصرة الإمام الهادي ومساندته في التوسع

وفرض نفوذه على أجزاء كبيره من اليمن بعد أن تمكن من هزيمة القرامطة في عدة مواقع هامة.

وطوال أكثر من عشرة قرون كاملة ظلت مسرحاً للكثير من الأحداث والصراعات السياسية والتنافس على الحكم بين الأئمة أنجبت صعده عدد كبير من الأئمة الذين حكموا اليمن في فترات مختلفة ومثلت قاعدة لانطلاق عدد آخر لدرجة أن مبايعة الكثير من الأئمة في القرن (الثامن الهجري) كانت تتوقف على مبايعة علماء صعده أمثال عبدالله بن الحسن الدواري، بينما كانت بيعة الإمامة مسندة لآل أبي النجم في القرن السادس الهجري ولآل المظفر في القرن العاشر الهجري وآل الغالبي في القرن الثالث عشر الهجري، ويمكن القول أن ثلاثة اعتبارات لعبت دوراً هاماً في صياغة الحياة السياسية وتحديد الأحداث الهامة في صعده خلال العصر الإسلامي وهي:-

١- الترابط القبلي.

٢- الإنتماء المذهبي.

٣- الانتماء السياسي (الولاء للدولة).

أولاً: الترابط القبلي:

تمتع المجتمع الصعدي بترابط قبلي قوي يستمد قدراته من عراقة المجتمع والترابط الأسري القوي حيث تشكل المناطق الشرقية لبني شاكر (دهمة، وايلة) ويام جزء من همدان بن زيد الكبرى كما يشتمل مخلاف خولان على سحار رازح وجماعه وساقين منبه وحيدان ومجز وهذا الترابط الوثيق قاد في داخله هذه القبل إلى النهوض بمهام جسام وأحداث هامة في العصر القديم كما يوجد ترابط بين هاتين القبيلتين وقد ظلت القبيلة هي الإطار القوي الذي يجمع كلمة القبائل ويوحد كلمتها وهو ترابط كتب له الرسوخ عبر القرون وكان لهذا الترابط القبلي دور هام في توحيد الكلمة والحفاظ على المجتمع الصعدي من الإندثار والتمزق والشتات في قلب الصراعات السياسية المتواصلة قرون كاملة

وفي فترات ضعف هيبة الدولة شكلت القبيلة النظـــام القــوي البـــاقي فخلــق حضوراً قوياً للقبائل الخولانيه في العهد الحميري وخلق دور بارز في مناصرة آل البيت واتفاق القبائل الهمدانيه برمتها حول الإمام علي بن أبي طـــالب(ع) ورهطه في وجه الدولة الأموية والعباسية أيضاً ومن دلائل ذلك مناهضة القيل محمد بن أبان الخنفري (١٤٠هـ) للوالي العباسي (معن بن زائدة الشــيباني) بعد قتله للغالبي، وبرغم تقادم الزمن فإن الترابط القبلي الوثيق[١] في المجتمــع الصعدي ما يزال قائماً حتى اليوم صامداً رغم التغيرات الشاملة ومـــا تــزال القبيلة عنوان فخر أبنائها والشيخ[٢] صاحب الكلمة المطاعة المسموعة نــاهيك عن اعتزاز الفرد بقبيلته إنتماءة لها فيقال (السحاري، الجمــاعي، الخولانــي، الرازحي، المنبهي، العماري، الهمداني، الوايلي) وهذا الترابط يقود إلى قيــام القبيلة مع الفرد مقابل ولاءه للقبيلة.

ومن نافلة القول أن الترابط القبلي للمجتمعات الصعدية قد خلــق بعــض أوجه الإنتماء المناطقي والعزلة لدرجة أن صعده تعتبر ذاتها كياناً مستقلاً قائماً في حد ذاته فكانت تسمى حتى وقت قريب (لواء الشام) ولدرجة أن المهاجرين إليها من مختلف أصقاع اليمن يجدون صعوبة بعد عشرات السنين في الإندماج داخل المجتمع فيطلق عليهم مجازاً بـــ(اليمني) بإعتبارة من خارج اللواء بينمــا هم يعدون نفسهم شاميين من باب تصنيف اليمن إلى (شام ويمن) كـــ (شــمال وجنوب) ونتائج هذا الإعتزال دفعت المهاجرين مـــن منـــاطق صعـــده إلـــى محافظات آخرى بالتلقب بالشاميين وما يدلل عليه وجـــود (آل الشــامي) فـــي المناطق الوسطى وصنعاء وغيرها.

(١) الترابط الوثيق الذي تتمتع به مناطق صعدة قاد أحياناً إلى التعصب والخروج على الدولة وشــق عصــا الطاعة وهو ما حدث في خروج الربيعه (سحار) على الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي وخروج خـــولان على شرف الدين بن شمس الدين ومنع الحمزيين للإمام شرف الدين من زيارة قبر الهـــادي أدى إلى معركـــة عنيفه أنتصر فيها شرف الدين. ومساندة القبائل الشاميه للإمام الهادي الحسن بن يحيى القـــاسمي في خروجـــه على الإمام يحيى حميد الدين سنة ١٣٢٤هـــ ومناصرة الشريف الادريسي في عمليـــة التوســـع في اليمـــن ١٣٣١هـــ.

(٢) الشيخ: كبير القبيله المطاع في قومة.

ثانياً: الإنتماء الديني المذهبي:-

ولا يضاهي الإنتماء القبلي أو يقاربة في الأهمية إلا الإنتماء الديني المذهبي فمع دخول القبائل اليمنية في الإسلام ولد الإنتماء المذهبي الشيعي القائم على التشيع في آل البيت والإيمان بأحقية آل البيت بالخلافة وهذا التشيع قاد قبائل همدان بن زيد وخولان عامر إلى مناهضة الدولة الأموية والوقوف الصادق مع البيت النبوي وقد قاد هذا التشيع أيضاً إلى مناهضة العباسيين أيضاً ودعوة الإمام الهادي بن الحسين بن القاسم الرسي من جبل الرس في المدينة إلى اليمن ومبايعته بالإمامة وإقامة أول دولة مستقلة عن الخلافة العباسية سنة (٢٨٤هـ) وكان آل فطيمه من الربيعة سكان العشة الرسميين (سكان يرسم) ركيزة قيام هذه الدولة و إنتصارها وتوسعها إلا أن هذا الإنتماء المذهبي لم يتغلب على الترابط القبلي القوي الذي قاد البرسميين الفطيميين فيما بعد إلى الوقوف في وجه (الإمام الناصر) أحمد بن يحيى بن القاسم وأدى إلى خوض معركة حاسمة انتهت بهزيمة الناصر وسقوط الدولة الهدوية الأولى بعد موقعة (يوم الباطن).

..إلا أن قدوم الإمام الهادي (الهاشمي) وتوليه الإمامة قد كفل التناسل بين الهاشميين الحسنيين والحسينيين وانتشارهم[١] في مختلف مناطق اليمن وتشكيل مجتمعات قويه متعلمة في (شهارة وذمار وصنعاء وصعده وغيرها). لتشكل مؤثراً كبيراً في المجتمعات قادرة على تحديد مسار الأحداث وتوسعت نطاقات المجتمعات الهاشمية في صعده لتحظى بتحالفات قبليه (أنصار) مناصره أسهمت في بروز الكثير من الأئمة وفرض المذهب الزيدي الذي يرى هاشمية النسب من معايير الإمامة وقد تعزز الإنتماء الديني المذهبي بعد وصول الهاشميين إلى اليمن وتناسلهم في المناطق، وتتسم صعده بأنها قلعة من قلاع

(١) توزع الهاشميون إلى مختلف المناطق اليمنية إلاّ أن صعده هي المنطقة الوحيدة التي ولج منها الهاشميين إلى اليمن وإستقروا بها في بداية الأمر في القرن الثالث الهجري.

الزيدية وقاعدة تشيع.

والذي بدوره منح إنتماء المذهب دوراً هاماً في تحديد مسار الأحداث بدليل إنحصار الإمامة على مدى قرون كاملة في آل البيت بإستثناء عدد من الأئمة الذين فرضوا ذاتهم كـ(نشوان بن سعيد الحميري) ولعل هذا الإنتماء القوي أحد أسباب تأخر صعده في الاعتراف بالثورة والقبول بالنظام الجمهوري إلا بعد سنة ١٩٧٠م، فكانت آخر معاقل سقوط الملكية في اليمن أي بعد اعتراف السعودية بالنظام الجمهوري في اليمن.

ثالثاً: الولاء للدولة:-

ظل واقع الولاء للدولة في المجتمعات الصعديه ثالث الاعتبارات العامة في الجياة السياسية اندمجت فيه المجتمعات الصعدية خلال مراحل قوة الدولة شريطة عدم التعارض مع الترابط القبلي والانتماء المذهبي، وعلى مدى قرون وقيام الدول الماضية حرصت هذه الكيانات السياسية على المحافظة على الترابط القبلي والإنتماء المذهبي ضماناً للولاء وتجنباً للصدام.. ويسجل التاريخ حالات كثيرة من خروج القبائل الشامية (صعدة ومناطقها) على الدولة فساندت القبائل الخولانية الأحباش وخلعت طاعة الهادي يحيى بن الحسين (ع) وخذلت المطهر بن شرف الدين في قتال الأتراك وساندت الادريسي ضد الإمام يحيى محمد حميد الدين بعد أن ناهضته سنوات بقيادة الحسن القاسمي.

إلا أن الإنتماء القوي للأرض قد دفع أبناء هذه المناطق إلى الوقوف القوي دفاعاً عن مناطقهم فأستحال على زعماء الدويلات اليمنية المستقلة ضم صعده إلى دولهم التي سيطرت على أرجاء اليمن (كآل رسول، وبني يعفر[١]، وبني نجاح، والصليحيين[٢].. وغيرهم) ولعبت أيضاً دوراً قوياً في مناهضة

(١) بني يعفر: أقاموا دولتهم في بداية القرن الثالث الهجري وحكموا مختلف مناطق اليمن دون صعده التي ظلت بعيدة عن سيطرة آل يعفر تماماً ودارت رحى معارك عدة بين قبائل صعده وآل يعفر.

(٢) الصليحيين: لم يصل نفوذهم إلى صعده التي كان بها آنذاك ائمة أقوياء أمثال أحمد بن سليمان بن المطهر وعبدالله بن حمزة.

الأتراك وقيادة حملات المناهضة ومقاومة الإحتلال التركي لليمن كما إستطاعت قبائل صعده الوقوف في وجه إبن عايض وآل سعود في (مجلمه وشيحاط[١]).

صعده في العصر الحميري:

مثلت صعده في العصر الحميري أهمية كبرى ولعبت القبائل الخولانية والهمدانية دوراً هاماً في الحياة السياسية حيث شكلت قاعدة حربية للدولة الحميرية وبرز عدد من القادة الكبار وأعلام الشعراء الذين دونوا بشعرهم كثير من الأحداث لذلك العصر كما أن صعده ظلت لقرون طويلة همزة وصل للتجار بين جنوب وشمال الجزيرة العربية لموقعها المتوسط على خط القوافل التجارية وأشهرها (خط قنا التاريخي) وأهتم ملوك حمير المتعاقبين بمناطق صعده ويتضح ذلك بوضوح في المدن والسدود والقصور التي شيدوها في قاع الحقل (صعيد صعده) والمنارات الحربية والحصون القديمة التي بنوها على قمم جبال خولان عامر وبلاد جماعه وسحار.

ومن مؤكدات ذلك الكثير من النقوش والآثار التي تزخر بها المناطق كشواهد لذلك العصر القديم ناهيك عن المعالم والآثار التي اندثرت ولم يتبق سوى أحاديثها وما أورده عدد من الملوك الحميريين من إشارات واضحة في قصائدهم إلى هذه المنطقة الهامة يقول الملك الحارث الرائش في وصف تدمير قاع صعدة ومعاقبة القبائل الخولانية التي ساندت الأحباش[٢]:

فنطحنهم طحن الرحا بثقالها

بجيش يضيق الحقل[٣] عنه وحضبر[٤]

(١) مجلمة وشيحاط: موقعين جرتا في حدود باقم أبان الحرب اليمنية السعودية.

(٢) الحارث الرائش: من ملوك حمير المشهورين غزا الأقطار وغنم مغانم عظيمة فوزعها على حمير ويقال أنه رش منها كل بنان.

(٣) الحقل: صعيد صعده القاع الفسيح، وهو من أخصب مناطق اليمن.

(٤) حضبر: موضع شمال صعده ولا نعرف موقعه تماماً.

ويؤرخ الشاعر: علقمة ذو جدن[١] مسير حمير وعبورها من حقل صعده:

فلما بطنا السهل من تحـــت بهـتر

واسفر عن ضـــوء الصبــاح عمـود

سلكنا بها السهل سهل ســـحامه[٢]

لهـا ذيـل مـن تحتنــا وسميــد

ويذكر المؤرخون أن أول قصر مشيد بني في مدينة صعده القديمة[٣] كـان لأحد ملوك حمير.

كما شيد ملوك حمير الكثير من القلاع والحصون والقصور والمنـــارات والدور في مناطق صعده واستوطن بها الولاة المتعاقبين.

يقول الحارث بن عمر الخولاني[٤]:-

وداراً بقيوان[٥] لنـــا كـــان عزهـــا

توارثهـــا نســـل الملــوك القمـــاقم

ويسنم[٦] دار العز من دفـــتي دفـــا

إلى أسفل المعشـــار فـــرع التـــهائم

(١) علقمة ذو جدان: شاعر مشهور يسمى بالنواحة له أشعار في مفاخر حمير وذكـــر مـــاثرهم وأخبـــارهم وتمجيدهم.

(٢) سحامه: موضع شمال صعده قرب الصعيد.

(٣) صعده القديمه: هي التي قامت من سفح تلمص وامتدت حتى جبل اظفر.

(٤) الحارث الخولاني: شاعر جاهلي أكثر شعره في مأثر حمير وأحداثهم في صعده واليمن.

(٥) قيوان: منطقة في قطابر في يسنم الأعلى وقد ذكرها الحجري قرب يسنم جماعة وهو الأقرب للواقع.

(٦) يسنم جماعة: شمال صعده بـــ(٥٥كم) وبها جبل شاهق فيه حصن وآثار إسلامية وحميرية ونقوش بخـــط المسند.

لنا الـــدار مـــن تضـــراع بـــاق[1]
بها كـــان أولاد الحمـــاة الخضـــارم

ويقول:-

بـــدار بكـــهلان لشـــبل أخيـــهم
دعامة عز مـــن تـــلاع الدعـــائم

وقد ذكر المؤرخون أن مدينه صعده القديمة بلد قضاعه من ولد مالك بـــن حمير بن سباء وأن ما حولها من بلاد همدان بن زيد من ولد همدان بن مـــالك بن زيد بن أوسلة بن الربيعةِ بن ثابت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سباء وأن ملوك سباء وحمير وصلوا إلى مدينة صعده ومنـــهم الملـــك العظيـــم: شـــمر يهرعش ونشأ كرب يهامن بن آل شرح يحصب بن يازل بين كما أن اسم هـــذه المدينه (صعده) في النقوش اليمنية القديمة بخط المسند (صعدتم) مـــن خـــلال بعض النصوص التي تذكر أحداث الملك / شمر يهرعش أحد ملوك التبابعـــة العظام في اليمن ومنها (نقش جام ٢١٠٩) والذي قدمه أبو شمر كقربان للآلهـة (المقة) وكذلك في نقش (جام٦٥٨[2]) وتؤكد نقوش قديمه أن صعده موجـــودة كمدينه من فترة ما قبل الميلاد. وأن الاسم القديم لصعده كان (جمـــاع) وبـــها قصر مشيد يرجع بنائه لأحد ملوك حمير قصده رجل من الحجاز من بعـــض ملوك البحر فمر به وهو متعب فاستلقي على ظهره وتأمل إرتفاع القصر فلمـــا أعجبه قال: (لقد صعده.. لقد صعده) فسميت صعده[3] كما أن الملـــك / نشـــأ كرب يهامن بن الشرح بن يحضب بن يازل بين وصل صعده فـــي جيوشـــه

---

(١) تضراع: قرب ساقين وكان بها دار حميري هدمة الجزار العلوي.
(٢) التيحان في ملوك حمير رواية وهب بن منبه وتحقيق مركز الدراسات اليمنية (حديث الشعبي في صحيفـــة الثورة) العدد (١٢٦٠٠)، ١٢ مايو ١٩٩٩م.
(٣) صفة جزيرة العرب/ ١٢٩.

الجبارة قبل ميلاد المسيح[١] وكانت ممتده من سفح جبل تلمص بإتجاه الشـــرق إلى قاعدة جبل أظفر[٢]. و(يرسم) منطقة غربي صعده أستوطنت منذ زمن نشأ كرب الذي وصل مدينة صعده وأمر بحراستها بعد أن استولي عليها.

كما قال في أحد النصوص (ركع شـــرحتم بمـــهجرنا صعـــده) أي أمـــر بشراحتها والشراحة (الحراسة) وكان عند اليرسميين نحو ٣٠٠ حارس وقـــد أرسل الرسل وكانوا يسمونهم المهانتة أو (البهاتنة) وهم ما يطلق عليهم الجنس الوضيع اليوم إلى حيث كانت الحضارة والنضارة في وادي (حنبـــه[٣]، بـــاقم، بيت معالي) وفي تلك الاصقاع كانوا في حصون عالية كما جاء فـــي النـــص الذي سجله شمر يهرعش الذي تولى (٢٧٥-٣٠٠ق.م) ذكر أنه مر بصعـــده وغزى مناطق الشمال من جملتها (دوات) إلا أن بعض المؤرخين حسب قـــول المؤرخ/ حسين الشعبي قالوا أنهم يجهلون هذه المناطق والأماكن التي غزاهـــا شمر يهرعش لأنها موغلة في القدم والشمال، وذكر شمر يهرعش أنـــه قتـــل حول (دوات الشتة)(٥,٠٠٠) رجل من (الأحنوب) من أهل دوات وقد وصـــل إلى صعده التبع اليماني أسعد الكامل[٤] ومر عبر دربه المعروف باسمه حتـــى اليوم والذي يقطع مناطق صعده إلى جزئين ويبـــدأ مـــن خطـــارير[٥] حتـــى الأبقور[٦]وسروم[٧] وينتهي أسفل وادي شجع[٨] في العارضه وفي عهد الملـــك

---

(١) يقدر الشعبي أن الفترة ٢٠ سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام، وقد وصل الملك المذكور لإخضاع تمرد الربيعة.

(٢) جبل أظفر: شرق صعده بـــ (١٥كم) في منطقة العشاش.

(٣) وادي حنبه: في أقصى شمال قطابر ويليها آل ثابت ومن بعدها بني مالك في أمارة عسير وقد ورد ذكرهـــا في النقوش القديمة بأسم (الأحنوب) (نص أم ليلى).

(٤) أسعد الكامل: أشهر وأعظم ملوك حمير وسمي بالكامل لكماله وكان حكيماً وملكاً عظيماً عارفاً بـــالنجوم وقد بشر قومه بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فقال في أحدى قصائدة:

فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزير له وابن عم

(٥) خطارير: موضع شمال العمشية بسفيان وبه جبل مرتفع يحاذي حصن بني عوير.

(٦) الأبقور: من مناطق سحار شمال صعده.

(٧) سروم: وادي في شرق مديرية جماعة يتصل بالصفراء همدان.

(٨) شجع: وادي في نهاية البلاد الجماعية شرق باقم.

بن ذي يزن أقام الوالي الحميري نوال بن عتيك مولى سيف بن ذي يزن في حصن تلمص[١] وكان يلقب بنازع الأكتاف وكان يضرب به المثل في القسوة، يقول الشاعر:

أصبحت توعدني بأمر معضل
حتى كأنك نازع الأكتاف
عبد إبن ذي يزن برأس تلمص
بين الأرائك مسبل الأسجاف

وقد مد الملك سيف بن ذي يزن قبائل خولان بجيوش في حربها مع هوازن وبني سليم ومن المأثر العظيمة التي شيدها نوال بن عتيك سد (الخانق) الشهير وسد (ساقين) اللذان هدمهما داعية إبن طباطبا القائد إبراهيم بن موسى العلوي الملقب بـ (الجزار) سنة ٢٠٠هـ عند دخوله صعده.

صعده وفجر الإسلام:

عندما أشرق نور الإسلام وبدأ شعاعه ينسل ليضوي أرجاء المعموره وأصبح للمسلمين دولة ودار وجيش قوي يذود عن أبناء الإسلام خرج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليدعوا أحياء العرب إلى الدين الحنيف وفي وقت مبكر لبت قبائل خولان بن عامر وهمدان بن زيد دعوة الإسلام فقد أسلمت كثير من القبائل الخولانية عند قدوم الصحابي معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن سنة ٦هـ وأقام مسجد صعده أحد المساجد الشريفة في اليمن التي بنيت في موضع مبرك ناقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي جاء بها معاذ إلى اليمن وهي ثلاثة (مسجد صنعاء، مسجد الجند، مسجد صعده[٢]).

---

(١) حصن تلمص: في قمة جبل تلمص يطل على المدينة القديمة (صعده الأولى).
(٢) الأكليل ج٢/٢٨٩. ج٨/١٣٣.

ويرجح المؤرخون أن أول من أسلم من أهل اليمن رجل يدعى (ذويب[1]) من خولان عامر. وقد أعلنت قبائل خولان بن عامر إسلامها سنة ٩هـ وفي شعبان من السنة ١٠هـ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد خولان مكون من عشرة أشخاص وعند عودتهم قاموا بهدم صنم خولان الشهير (عم أنس) الذي كانوا يعبدونه ويحتكمون إليه وبرغم إرتداد بعض القبائل الخولانية بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن هذه القبائل عادت وجددت إسلامها أيام الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٢هـ، وفي سنة ١٣هـ أيام أمير المؤمنين/ عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم فتح مخلاف خولان[2] أما قبائل همدان بن زيد فلم تجب في بداية الأمر الدعوة إلى الإسلام. وعند قدوم الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أسلمت جميعاً فكتب الإمام/ علي بن أبي طالب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخبره بإسلام همدان وعند وصول الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم خر ساجداً لله ثم رفع رأسة وقال (سلامٌ على همدان) وقال: (نعم الحي همدان ما أسرعها إلى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد الإسلام) أخرجة إبن سعد في طبقاته[3].

وبعد إنتقال الكثير من هذه القبائل إلى المدينة المنورة حاضرة الإسلام آنذاك بدأت هذه القبائل في الإسهام في الحياة الفكرية وبرز عدد كبير من أعلام العلماء والفقهاء والمحدثين في المدينة وفي الأمصار التي شملها الفتح إلى جانب إسهامها في الفتوحات الإسلامية التي بلغت أوجها على جبهتي فارس والروم (الشام) و(العراق) و(مصر) وظلت لبنه هامة في الحياة السياسية حتى مقتل الخليفه الثالث/ عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣٥هـ) وعند تسلم الإمام/ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الخلافة بعد عثمان بن عفان في (١٨

---

(١) ذويب: ما تزال أحدى عزل خولان عامر حتى اليوم معروفه بـ (ذويب) بحيدان.

(٢) مجموع بلدان اليمن وقبائلها للقاضي الحجري/٣١٣.

(٣) المصدر السابق/٧٥٣.

ذي الحجة ٣٥هـ) كانت قبائل خولان وقبائل شاكر (دهمه ووايلة) كغيرها من القبائل اليمنية هي الأقرب وصاحب الولاء الصادق للخليفة الجديد فشكل رموزها الساعد القوي للدولة وتعزز حضورها على المسرح السياسي في الفتنه والخلافات التي طراءت على الدولة وقادت إلى معارك وحروب.

ومن المعروف أن القبائل الهمدانية ساندت وأزرت الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في حروبه ومعاركه مع الخارجين والناكثين للبيعة وخصوصا (موقعة الجمل)سنة ٣٦هـ، لقتال الناكثين للبيعة و(صفين) سنة ٣٧هـ لقتال القاسطين أهل الشام لانهم جاروا عن الحق لعدم المبايعة و(النهروان) سنة ٣٩هـ لقتال المارقين الخوارج[1] ولعبت هذه القبائل دور بارز في تشكيلات قواته وأنصاره فخلدهم الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في قصائده ومنها قصيدة قال فيها:-

ولما رأيت الخيل تقرع بالقنا
فوارسها حمر النحور دوامي
ونادى ابن هند في الكلاع ويحصب
وكندة في لخم وحي جذام[2]
تيممت همدان الذي هم هم
إذا ناب أمراً جنتي وسهامي
وناديت فيهم دعوة فأجابني
فوارس من همدان غير لئام

(١) التحف شرح الزلف للسيد مجد الدين المؤيدي ٤٤/٤٥.
(٢) الكلاع ويحصب وكندة ولخم وجذام: قبائل يمنيه مشهورة وقفت إلى صف معاوية بن أبي سفيان.

فوارس ليسو في العجـــــاج بمعـــزل
غداة الوغي من شـــــاكر[١] وشـــبام

ومن أرحب[٢] الشم المطاعين بالقنـــا
وهم[٣] وأحياء الســـبيع[٤] ويـــام[٥]

ووادعة الأبطـــال يخشـــى مصالهـــا
بكل صقيــــل في الاكـــف حســـام

جـــزى الله همـــدان الجنـــان فـــإنهم
سمام العـــداء في يـــوم كـــل سمـــام

لهم تعرف الرايات عنـــد إختلافـــها
وهـــم بـــدؤا للنـــاس كـــل لحـــام

رجـــال يحبـــون النـــبي ورهطــــة
لهم ســـالف في الدهـــر غـــير أيـــام

هـــم نصرونـــا والســـيوف كأنهـــا
حريـــق تلظـــى في هشـــيم ضـــرام

لهمـــدان أخـــلاق وديـــن يزينـــها
وبـــأس إذا لاقـــوا وحـــد خصـــام

(١) شاكر: شاكر بن نهم بن ربيعه بن مالك بن معاويه بن صعب بن دومان بن بكيل وهي قســـمان وايلـــة ودهمه وهي قبائل معروفه حتى اليوم في شرق اليمن.
(٢) أرحب: قبيله من بكيل شمال صنعاء وأرحب بن الدعام الأكبر بن مالك بن معاويـــه مـــن أعلامـــها في الإسلام مالك بن قيس الأرحبي وعامر الشعبي وغيرهم.
(٣) نهم: نهم بن ربيعه بن مالك وهي قبيله مشهورة شرق صنعاء
(٤) أحياء السبيع: المقصود بها بلاد حاشد بن حشم بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسله بن ربيعـــة ابن الخيار بن زيد بن كهلان بن سباء وتنقسم إلى (صريمي وعصيمي وعذري وخارفي).
(٥) يام: من قبائل همدان وموقعها في نجران ووادعه همدانية في بلاد صعده.

وجد وصدق في الحديـــث ونجـــدة

وعلـــم إذا قـــالوا وطيـــب كـــلام

فلو كنت بواباً علــــى بـــاب جنـــة

لقلت لهمدان إدخلـــوا بســـلام[١]

وبعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على يد عبدالرحمـــن بن ملجم المرادي (٤٠هـ) جددت هذه القبائل برمتـــها ولاءهـــا لآل البيـــت وبايعت الحسين بن علي بالخلافه وآزرته ورغـــم أن ذوي الـــرأي نصحـــوا الحسين بالخروج إلى اليمن والإعتصام بجبالها وحماية رجالها ففيـــها شـــيعته وشيعة أبيه من قبله إلا أنه خالفهم وتوجه إلى العراق فسقط شهيداً في كربـــلاء (٦١هـ) وهزم جيشه وتفرق أصحابه.

ولعل هذا التشيع القوي للقبائل الهمدانية قد قادها فيما بعد إلى الإنضمـــام إلى ثورة المختار الثقفي حيث أنضمت إليه قبائل شبام وشاكر وخارف وأمنـــوا بالكرسي الذي إتخذة المختار للتبرك به مدعياً أنه كرسي علي بن أبي طـــالب كرم الله وجهه قال أعشى همدان:-

شـــهدت عليكـــم أنكـــم ســـبئية

وإني بكم يا شرطه الشـــرك عـــارف

وأقسم مـــا كرســـيكم بســـكينه

وإن كان قد لفت عليـــه اللفـــائف

وإن ليس كالتابوت فينا وإن ســـعت

شـــبام حواليـــه ونهـــد وخـــارف

(١) التحف شرح الزلف/ ٤٦.

وإني أمــرؤ أحببــت آل محمــــد

وتابعت وحيــاً ضمنتــه المصــاحف

وتــابعت عبــد الله لمــا تتــابعت

عليــه قريــش شملــها والغطــارف

وفي ذلك قال المتوكل الليثي أيضاً:-

أبلغ (أبا إســحاق[1]) ان جئتــه

أني بكرســـيكم كـــافرُ

تنزوا (شــبام) حــول أعــواده

وتحمل الوحـــي لــه "شــاكر"

محمــــرة أعينــــهم حولــــه

وكــأهن الحمــص الحــادر[2]

وبتولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة بدأ عــهد الدولــة الأمويــة ســنة (٤٠هـ) ومن بعده أبنائه يزيد ثم معاوية ثم انتقلت الخلافة من البيت السـفياني إلى البيت المرواني بتولي مروان بن الحكم الخلافة ومن بعده عبد الملك بــن مروان وأبناءه وأحفاده حتى (١٣٢هـ) وخلال هذه الفترة الزمنية التي تقــدر بــ(٩٢) عاماً شكلت القبائل اليمنية برمتها كياناً قوياً وصنفــت (بالقحطانيــة) يقابلها (القيسية[3]) من عدنان كانت تقوي شوكتها حيناً وتخمــد حينــاً آخــر خصوصاً في البلدان المفتوحه في مصر وشمال إفريقيه والأندلس إلا أن خلفاء الدولة الأموية منذ بداية عهد معاوية بن أبي سفيان حتى أيام مروان بن محمــد

---

(١) أبا إسحاق: كنيه المختار الثقفي.

(٢) تاريخ الطبري ٨٢/٥-٨٥، مشاهير الخلفاء والأمراء (عبدالملك القائد) لبسام العسلي/٤٧.

(٣) القيسيه: يقصد بها القبائل الحجازيه العدنانيه قال بسام العسلي من مشاهير الخلفاء والأمراء (عبد الملــك القائد) إن ما جابهه عبد الملك على الجبهه الداخلية من صراعات بين القيسيه واليمنيه أكثر خطورة مما جابهــه على جبهه الروم.

(الحمار[١]) بإستثناء الخليفة الراشد/ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ظلوا ينظرون إلى هذه القبائل القحطانية كخطر يهدد الدولة ويتوجب الحذر منهم بإعتبارهم شيعة آل البيت فلم يمكنوهم من المراكز القيادية الحساسة بإستثناء عد من القادة البارزين أمثال السمح بن مالك الخولاني، وعبدالرحمن الغافقي، وأبي حنش الصنعاني، وعنبسة سحيم الكلبي. وحرص الأمويون أيضاً على تعيين ولاة على اليمن أمثال (إبن أرطاه[٢]) والذين أمعنوا في قتل اليمنيين وظلمهم والذي دفع القبائل اليمنية إلى مناهضة هؤلاء الولاة والوصول إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية لمطالبه الخلفاء بإعادة النظر في ولاة اليمن وهو ما يعكسه بوضوح مضمون شكوى سواده بنت الأشتر الهمدانية التي وفدت على معاوية تشكو إبن أرطأه وتطالب الخليفة بالإنصاف في حادثة مشهورة[٣].

.. ولم تكن اليمن أقل حظاً في العصر العباسي الذي بدأ في ١٣٢هـ فقد ولي على اليمن ولاة لا يقلون عسفاً وقسوة عن ولاة بني أمية فولي أمثال (معن بن زائدة الشيباني سنة ١٤٠هـ) والذي أمعن بالتنكيل باليمنيين وكان

---

(١) مروان الحمار: أخر الخلفاء الأمويين (١٣٢هـ) ويسمى الحمار لكثرة حروبه وإخضاعه حركات التمرد ضد الدولة الأموية.

(٢) إبن ارطاه: والي أموي على اليمن في عهد معاوية بن أبي سفيان أمعن في التعذيب والتنكيل باليمنيين وضربت بقسوته الأمثال، قال عنه الذهبي في (تاريخ الإسلام) انه أول جبار دخل اليمن وعسف بأهله وأشار المؤرخون إلى ما ارتكبه من سبي للنساء المسلمات وقتل الطفلين البريئين عبدالرحمن وقثم ابني عبدالله بن عباس، تاريخ الإسلام: ١٤٠/٣، الأعلام: ٥١/٢..

(٣) حادثة مشهورة: جاءت سوادة بنت الأشتر الهمدانية إلى معاوية بن أبي سفيان في دمشق تطالبه إنصافها وقومها من إبن أرطاءة فعاتبها وقال لها أأنت القائل يوم صفين:

شمر كفعل أبيك يابن عماره ... يوم الحروب وملتقي الأقران

وانصر علياً والحسين ورهطة ... وأقصد لهند وإبنها بهوان

فقالت نعم مامثلي من رغب عن الحق وأنشدت:

صلى الإله على قبر تضمنه فيه ... فأصبح فيه العدل مدفونا

قال ومن ذاك قالت علي بن أبي طالب جئت أشكوه عاملة فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إنك تعلم أني لم أمرهم بظلم عبادك وكتب من فوره لقد كثر شاكوك وقل شاكروك فإما إعتدلت وإما إعتزلت قال معاوية: (لمظلم إبن أبي طالب): وأمر لها ولقومها بالانصاف/١٣.

من جرائمه قتل عمرو بن زيد الغالبي من اقيال صعده والذي بدوره دعا القيل اليماني محمد بن أبان الخنفري إلى التصدي لمعن بن زائده وقتاله في المهجره برأس المنضج من بلاد وادعه فاضطر للعودة إلى بغداد.

وبهذه الاحداث ظلت صعده تتطلع إلى الانفصال عن الخلافة العباسية وفي عام ١٩٩هـ قدم صعده إبراهيم العلوي الملقب بـ(الجزار) داعية إبن طباطبا ودخل صعده ومخلاف خولان وأحرق قاع الحقل وهدم الكثير من الدور والقصور وخرب سد الخانق الشهير وسد ساقين في بلاد خولان.

ومع بداية القرن الثالث الهجري كانت قبائل آل فطيمة سكان العشة والأكيليين أبناء الربيعة بن سعد لها زعامة القبائل الصعدية رغم خلافها الطويل منذ منتصف القرن الثاني الهجري إلا أنها لم تتوحد إلا بعد مجئ الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي سنة ٢٨٤هـ لتقيم بذلك دعائم الدولة الزيدية الهادوية.

الدولة الهدوية :

ظلت الدولة العباسية في مراحل القوة تفرض سيادتها على الأقطار العربيه وفي عهد المتوكل جعفر بن المعتصم (٢٣٢-٢٤٧هـ) تزايد دور الأتراك المماليك الذين ظهروا على يد أبيه المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ) فأضحى للأتراك دور هام في تعيين الخلفاء وإسقاطهم وعندما حاول المتوكل تقليص دورهم لجأوا إلى إغتياله بإتفاق مع ولده المنتصر (٢٤٧-٢٤٨هـ) الذي كانت نهايته على أيديهم بعد ستة شهور من خلافته ثم جاء الأتراك بابن عمه المستعين (٢٤٨-٢٥٢هـ) فخلعوه عندما رفض الاستقرار في (سامراء[1]) متنقلاً إلى بغداد ليبايعوا ابن عمه المعتز بالله بن المتوكل(٢٥٢-٢٥٥هـ) فإجتمع خليفتان في آن واحد أحدهم ببغداد والآخر بسامراء وعندما أعلن المستعين خلع نفسه قتلوه وبدأت حياة المعتز بقتل أخيه المؤيد وإدراكاً بخطر

---

(١) سامراء: مدينة في العراق شيدها المعتصم بن هارون الرشيد.

الترك حاول المعتز الإنتقام منهم لأبيه لكنهم سبقوه فأجبروه على خلع نفسه ثم سجنوه وقتلوه ليبايعوا إبن عمه محمد بن الواثق ولقبوه المهتدي(٢٥٥-٢٥٦هـ) ليقاتلوه بعد ذلك ويهزموه وأنتهى الأمر بمقتله ليتولى المعتمد بن المتوكل (٢٥٦-٢٧٩هـ) الخلافة التي كانت صوريه لإنغماس الخليفة في الملذات بينما كانت شئون الخلافة بيد أخيه الموفق طلحة قائد الجيوش الذي توفي بعد أخيه ليتولى ولده المعتضد الخلافة بعد عمه (٢٧٩-٢٨٩هـ) وكان له من القوة ما تمتع به والده وفي عهده ظهرت الدولة الهدوية في اليمن.

هذا على صعيد بغداد مقر الخلافة أما في الأمصار فقد برزت الثورات ونزعات الانفصال في كثير من الأقطار كثورة الزنج (٢٥٥هـ) وثورة القرامطة في العراق بقيادة حمدان قرمط، وأبو سعيد الجنابي القرمطي في البحرين، وأبو عبدالله الشيعي في المغرب (مؤسس الدولة الفاطمية)، وفي اليمن برز علي بن الفضل الخنفري في جنوب اليمن ومنصور اليمن في شماله وقيام دولة اليعفريين على يد يعفر بن عبد الرحيم الحوالي سنة (٢١٤هـ) في شبام كوكبان ليسيطر على صنعاء وعجزت الخلافة في بغداد عن إخضاعه وظهر آل الكرندي ملوك المعافر وإستولى الدعام بن إبراهيم زعيم قبائل بكيل من همدان على صنعاء لينافسه في زعامة همدان الضحاك الحاشدي وفي مخلاف جعفر أقام المناخيين دولتهم برئاسة جعفر بن إبراهيم المناخي وقد فشلت كل محاولات الدويلات اليمنية الناشئة في السيطرة على مناطق صعدة ودارت رحى معارك عنيفة مع القرامطة وآل يعفر.

قيام دولة الهادي

وكانت صعده قبل قدوم الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم إلى اليمن في صراع على أشده بين بني سعد من خولان وعلى رأسهم آل أبي فطيمة والأكيليين من الربيعه وكانت هذه العداوة منذ العصر الأموي وفي (٢٨٤هـ) أرسلت القبائل الخولانية وفوداً من آل فطيمة سكان العشة إلى

الإمام الهادي تطالب بقدومه لليمن ومبايعته الإمامة فكان وصوله في السادس من صفر سنة ٢٨٤هـ فرحبت به قبيلتا بني سعد والربيعة من خولان وجاءت وفود قبائل نجران وهي بنو الحارث وشاكر ووادعة ويام والأحلاف وفي جماد الأخر من نفس العام سار الإمام الهادي إلى وادي نجران بأعداد كبيره من خولان فتلقته قبائل وادعه ويام وشاكر والأحلاف وبايعوه وأصلح بين قبائلهم (همدان وبني الحارث) وعقد صلحاً بين المسلمين وأهل الذمه بنجران، ونصب والياً على نجران عائداً إلى صعده وكان الإمام الهادي قبل مسيرته إلى نجوان قد صالح بين قبائل آل فطيمه والربيعه من خولان بعد أن فشل قواد آل يعفر في المصالحة بينهم فترة طويلة[1]، واختط مدينة صعده عاصمة لدولته وأسس فيها مسجدها الجامع وعقب عودته من نجران بدأ الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم في توسيع نطاق دولته وقاد أول حملة إلى منطقة وشحه[2] والتي يسيطر عليها سلاطين بني يعفر فتمكن من السيطره عليها وولى عليها محمد بن عبد الله العلوي والد مؤلف سيرته ثم توجه بحمله أخرى إلى برط من بلاد همدان في شهر صفر سنة (٢٨٥هـ) وسيطر عليها وأقام عليها عبد العزيز بن مروان البحريني والياً ليتوجه نحو بلاد خيوان وحوث[3] وبطنة حجور والحضن من بلاد وادعه وواصل مسيرته نحو صنعاء ليصل إلى (اثافت، بيت زود)[4] من همدان شمال صنعاء فبايعوه واخرج ولاة الدعام الذي حشد قواته لمواجهة الإمام الهادي إلا أن الفريقين اتفقا على الصلح بعد مراسلات وأقبل الدعام إلى الهادي وحلف له على السمع والطاعه وكان أبو العتاهية أمير صنعاء قد مهد للإمام دخول صنعاء وأقام بها ثم خرج أبو العتاهية إلى شبام معقل اليعفريين وبيت دخار ووجه عماله على المخاليف

---

(١) سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين للعلوي /٣٧، ٦٧.

(٢) يخلط كثير من المؤرخين بين وشحة في حجة ووسحة في صعدة.

(٣) حوث وخيوان مدينتان من بلاد السبيع بن حاشد من همدان وبهما قبرا الجدين الكبيرين حاشد وبكيل وقبر علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي مؤلف سيرة الإمام الهادي.

(٤) اثافت مدينة تاريخية قرب ريدة، وبيت زود من همدان صنعاء.

وتوجه إلى يكلا وبلاد الحداء وعين عليها من الطبريين وسار إلى آنس ودخل بلاد عنس وذمار ومنها منكث فجاءه أبو العشيرة بأن الروية سيد قبائل مذحج بايعه وسار الهادي ومعه إبن الرويه إلى جيشان جنوب اليمن فأقام بها ثلاثة أيام ثم ولى عليها أبا عبدالله الرازي وأرسل أحد الطبريين إلى عدن والياً عليها وسار إلى رداع وبلغت دولته أوجهاً ممتدة من نجران إلى عدن[1] إلا أن الأمور لم تستقر في هذه المخاليف وحدثت ثورات وكان الهادي لا يرى القتال وسيله للولاية وفرض نفوذه فلم يتشبث بالمخاليف التي سيطر عليها فانحصرت دولته أحياناً في صعده.

وبعد عودة الإمام الهادي من نجران في المرة الثانية وصل إلى صعده سنة (٢٨٧هـ) وكان الإكيليون بزعامة أحمد بن عبدالله بن عباد الأكيلي قد أشار على قومه بالخروج على الهادي فجمع أصحابة وتحصن في قرى الإكيليين فاجتمع للهادي خلق عظيم من بني سعد وعسكروا في ساحة اليرسميين ثم حملوا على الإكيليين فطردوهم حتى حازوا دونهم بعض منازلهم فحرقوها وهدموها ثم طلب اليرسميون من الهادي الأمان للإكيليين فآمنهم وجاءوة بعباد الأكيلي ووجوه الربيعه وتخلف أحمد بن عباد ولم يأت وخرج إلى موضع يقال له (علاف) فتحصن به ثم خرج الهادي إلى نجران وجعل على صعده محمد بن عبيد الله العلوي فجمع إبن عباد عليه الجموع فعاد الهادي بعد أن أوقع ببني الحارث بن كعب وبعث إلى محمد بن عبيد الله بالتوجه إلى نجران ليكون عاملاً عليها وعندما عاد الهادي إلى صعده لقيه بنو سعد في عسكر عظيم فسار بهم إلى صعده وعند عودته كانت قبائل من خولان من الربيعة يقال لهم الإكيليون وبنو كليب والمهاذر والعويرات والبحريون وطرفاً من جماعه قد تأهبوا لقتاله وتحصنوا في حصني (علاف) والآخر (الثور) الأعلى وعسكر الهادي بصعده ثم أمر بهدم منازل الإكيليين وقطع أعنابهم بإستثناء من لم يناصبوه العداء ولما علم إبن عباد أن الهادي قد

(١) المصدر السابق / ٨٤، ٨٦، ٨٠.

هدم منازلهم وقطع أعنابهم صرخ بالربيعه فإجتمعت إليه فأعلمهم بما فعل الهادي بهم وأنهم هدف ثاني له فاجتمع رأيهم على الحرب وكان (إكيليين) ولبني عمهم المهاذر أعناب بموضع يقال له (افقين) فخرج إليه الهادي وأمر بقطع أعناب الإكيليين وترك إعناب المهاذر ولم يقطعها وبينما هو عائد إلى صعده تخلف جماعه من أصحابه من بني حي بن سعد بن خولان فإنتظرهم في الوقت الذي جرى فيه قتال بين المتخلفين وجماعه من الإكيليين ولما علم الهادي بذلك عاد وأصحابه وحملت خيل الهادي في بطن الوادي وإنصرف إلى صعده فأقام أياماً ثم خرج إلى (فروة) وبها أعناب للإكيليين فقطعها ثم تقدم بجنده إلى علاف فوقعت موقعة إنهزم فيها الإكيليون ثم أغار جنده على دواب في افقين فأخذوا الخيل والعبيد والغنم وقفلوا إلى صعده عائدين وعند وصولهم قسم الإمام الهادي (ع) الغنائم خمسه أسهم فأخذ الخمس وقسم الباقي ثم أرسل الهادي الصوارخ في بني سعد بن خولان فإجتمعت له جنود من الحيبين والفطيميين وقصد بهم علاف ومعه الهمدانيين والطبريين وحاصر علاف من إتجاهين فبينما الهادي كذلك أتاه محمد بن مصبح البرسمي وأشار عليه ببعض الأمور والتريث إلا أن الهادي أمر أصحابه بصعود الجبل وكان الإكيليون والربيعه قد تحصنوا بحصن لهم يدعى (النميص) فدخل الهادي قرية النميص وهدمها وأحرقت وإنهزم الإكيليون ثم طلب الإكيليون والكلبيين من الهادي الأمان فأمنهم وعفى عنهم بإستثناء إبن عباد الذي خرج بعد ذلك إلى العراق[1].

أما حكاية الإمام الهادي مع القرامطة ففي ذلك الحين كان علي بن الفضل الخنفري القرمطي قد استطاع توسيع دولته وإتجة شمالاً نحو صنعاء ليوقع ببني يعفر بعد أن أوقع بالمناخيين في مخلاف جعفر وسيطر على تهامة وزبيد وعاد إلى المذيخرة ووجه جيوشه بمهاجمة مخاليف اليمن فسيطر على رداع وذمار... وغيرها وهذا ما دفع المناخيين واليعفريين وإبن الروية إلى الإستنجاد بالإمام الهادي ومبايعته وقاد بهم حروب وثلاث حملات على القرامطة وأوقع

(١) المصدر السابق / ١٩٧-٢١٩، ثم أن إبن عباد رجع إلى اليمن وجرت بينه والهادي موقعه في شبام انتهت بقتله فدفن هناك وصلى عليه الإمام الهادي.

بهم في صنعاء وذمار وعدد من المخاليف إلا أن الأمراء المتحالفين سرعان ما إنقلبوا عليه بعد طرده للقرامطة من مخاليفهم والذي بدوره دعا الإمام الهادي أن يطلب من إبنة القاسم بعد إخراجة القرامطة من صنعاء سنة (٢٩٧هـ) بالعودة إلى صعده لكي لا يجتمع عليه حرب القرامطة وبني يعفر في آن واحد ولم يلبث الإمام الهادي أن انتقل إلى رحمة الله في العشرين من ذو الحجة سنة (٢٩٨هـ) بعد جهاد متواصل وحكم عظيم نادر الوجود في ذلك الحين الذي عم فيه الطغيان وسفك الدماء والتكالب على الزعامه وإنتشار الفساد في غالبية مناطق اليمن ولم يكن الإمام الهادي (ع) طامعاً في السلطة وتوسيع نفوذه بقدر رغبته المطلقة في إصلاح أحوال الرعيه وإرساء دعائم العدل والتوحيد بالكلمة والموعظة الحسنه ولولا تلك المبادئ لاستطاع الهادي مد نفوذه إلى عموم اليمن وإقامة دولة مترامية الأطراف ... دولة قوية مستقره.

ما بعد الهادي

بعد انتقال الإمام الهادي إلى جوار ربه سنة (٢٩٨هـ) لم يكن الهادي قد عهد بإمارة الأمامة إلى أحد من أبنائه فبايع الناس إبنه أبا القاسم (محمداً) في غرة محرم ٢٩٩هـ وتلقب بالمرتضى لدين الله، فدانت له صعده وما حولها من بلاد خولان وهمدان ونجران وسار سيرة أبيه في إقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاستتب له الأمر ووجه جيوشه لحرب القرامطه وأنزل بهم هزائم منكره وأزاح خطرهم على البلاد التي كانت تحت يده.

إلا أن عزوفه عن الإمارة ورغبته في التفرغ للعبادة دفعه إلى الإعتزال ورفض عودته إلى الإمارة ليتم مبايعة أخيه (الناصر) أحمد بن يحيى في مسجد الهادي في صفر سنة (٣٠١هـ) وكان المرتضى ممن بايعه وأوصى بإمامته أما المرتضى فقد توفي سنة (٣١٠هـ) بصعده ودفن جوار والده بينما إستمر الإمام الناصر بعد أخيه قرابة (١٥) عاماً في الدعوة والجهاد وإقامة العدل حيث جهز جيشاً من (٣٠) ألف مقاتل دخل به عدن ولاحق القرامطة في المذيخرة واستولى جنده على حصن مدرج الشرف سنة ٣٠٦هـ.

وكانت له حروب ومواقع مع القرامطة أهمها موقعة (نغاش) المشهورة ولكن صرامته وحزمه للأمور أدت إلى الاختلاف مع زعماء القبائل الخولانية وخاصة مع الربيعة فثارت عليه آل فطيمة سكان العشة وتحالفوا مع اليرسميين ليواجهوا الإمام الناصر في (مصنعة كتفا) وفي (يوم الباطن) الذي يعتبر من ايام العرب المشهورة، جرح فيها الناصر وتم الصلح ولم يلبث سوى فترة قصيرة لينتقل إلى جوار ربه سنة ٣٢٥هـ، ودفن جوار أبيه وأخيه عليهم جميعاً رحمه الله.

.. ولم يكن الأئمة الذين جاءوا بعد الناصر (أحمد) بن الهادي أفضل حالاً أو أقوى في الشخصية أو في مساعدة الظروف لهم فقد دعا المنصور[١] (يحيى) بن الإمام الناصر بعد أبيه سنة ٣٢٥هـ واستمر حتى ٣٣٦هـ، ثم خلفه أخوه المختار أبو محمد (القاسم) بن الإمام الناصر الذي أسره الضحاك بن قيس الهمداني غدراً في صفر سنة ٣٤٥هـ وقتل في الأسر غرة شوال نفسه السنة[٢]. وفي صفر سنة ٣٦٨هـ دعا لنفسه الإمام الداعي إلى الله (يوسف الأكبر)[٣] بن المنصور (يحيى) بن الإمام الناصر (أحمد) بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم سنة ٤٠٣هـ لكنه لم يلبث أن تنازل عن الإمامة. ويتضح من ذلك أن هؤلاء الأئمة المتعاقبين من أحفاد الهادي لم يضعوا ملامح سياسية هامة إبان حكمهم وكانوا دون الهادي أو الناصر في كثير من السمات ومقومات الحكم والزعامة والقوة والذي بدوره أسدل الستار على الدولة الهدوية الزيدية الأولى لكنها نهاية ما لبثت أن سجلت لحظات بداية لدولة زيدية قوية وبروز عهد الأئمة الزيدية الذين دام حكمهم لليمن أكثر من ألف سنة تعاقب فيها قرابة (٦٩) إماماً على حكم اليمن.

---

(١) قبره في مشهد الهادي في الساحة الجنوبية لجامع الهادي بصعدة.

(٢) نقل بعد مقتله إلى مشهد جده الإمام الهادي ودفن فيه./ التحف شرح الزلف: ١٩٨/١٩٩.

(٣) التحف/ ١٩٩. وأشار السيد مجد الدين أن دعوته سنة ٣٦٨هـ نقلاً عن (الشفاء) وهو الجد الكبير لكثير من الأئمة العظام الذين حكموا اليمن فيما بعد.

الفصل الثاني

الأئمة الزيدية

آل العياني:

لم تخدم الظروف كثير من الأئمة المتعاقبين بعد الإمام الناصر (أحمد) بن الهادي والذي كان له أثر كبير في ضعف ونهاية الدولة الهدويه التي بدأت في أثرها الدولة الزيديه قوية مع دعوة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني سنة (٣٨٨هـ) في زمن الداعي إلى الله يوسف الأكبر ويقول الوالد العلامة/ مجد الدين بن محمد المؤيدي في التحف[1] (أنه كان بينهما من المعاونه على إقامة الدين وإحياء سنن المرسلين مايشفي صدور المؤمنين).

ويقول الحبشي في مصادره[2] (كان أكثر مكوثه في بلاد خثعم ثم في تباله في أرض اليمن وسار منها داعياً بالإمامه لنفسه فوصل إلى صعده فملكها ثم خرج إلى نجران ثم عاد إلى تباله فخرج أهل صعده فاستعان بحربهم بقبائل همدان ثم كتب إليه أهل صنعاء يستدعونه فسار إليهم وولى عليهم أحد نوابه ووفدت عليه بعض القبائل في اليمن كبني شاور وبني عشب.. وغيرها. وخفقت بين يديه الأعلام وزالت الضغائن التي كانت بين القوم فاستمر حكمه حتى سنة (٣٩٣هـ).

قال عنه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى:-

---

(١) التحف شرح الزلف/٢٠٢ ويقول الزركلي في الأعلام ج٥/١٧٧ أن الإمام القاسم العياني اشتهر في الشام (والارجح في شمال اليمن صعده) وانفذ رسله إلى اليمن سنة ٣٨٨هـ وبويع له ثم رحل إلى الحجاز ودخل اليمن فأستقر في صنعاء حتى توفي وقبره في عيان/ سفيان.

(٢) مصادر الفكر/ ٥٢٤.

والقاسم بن علي المشهور بالـــــــ علم الغزيـــر الواســـع الدفـــات

وبعد وفاة المنصور القاسم بن علي العياني تسلم الحكم بعده ولده الإمـــام المهدي/ الحسين بن القاسم العياني سنة (٣٩٣هـــ) ونازعه فيه الإمام محمد بن القاسم الزيدي وفي عصره تقلص ظل دولة الائمه وأصبح محصوراً بين ناحية الهان وصعده لقوة نفوذ الدولة الزيادية[١] ومن أخباره أنه رحل إلى البون سـنة (٤٠١هـــ) فأجابته حمير وهمدان وتوجه لمحاربة معارضه محمد بن القاســـم الزيدي ووقعت بينهما مقتله تحت صنعاء إنهزم فيها الإمام محمد بـــن القاســم وقتل سنة (٤٠٣هـــ) ولم يصف الأمر فقد نشبت بعدها معارك عديدة أسـفرت أحد المعارك عن مقتله سنة (٤٠٤هـــ) في وادي عرار ومشهده بريده[٢].

والإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني محور خـــلاف بيـــن الزيديـــه والتشكيك في عقيدته وموضع ريبه وحذر عند كثير من علماء اليمن الزيدييـــن قال عنه السيد العلامه / محمد بن إبراهيم الوزير المتوفي سنة (٨٤٠هـــ) فـــي الروض الباسم) في حديثة عن علماء الكلام وأدعائهم الفطنه والذكـــاء، (وقـــد إغتر بهذه الشبهه بعينها الحسين بن القاسم العياني أحد من دعى الإمامة مـــن الزيدية فخرج عن مذهب الزيدية بل من المذاهب الإسلاميه وإدعى أنه أفضـــل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن كلامه أنفع من كلام الله عز وجل وتابعه على ذلك طائفه من مخذولة الزيديه إنقرضت بعد إنتشار)[٣].

ومما لا شك فيه أن ماحيك من تشكيك في عقيدة المهدي الحسين بن القاسم العياني ووالده بخروجهما عن العقيده الإسلاميه لا صحة له يهدف إلى النيـــل منهما وهو ما يؤكده المؤرخ أحمد بن محمد النعمي الشـــرفي المتوفـــي سـنة (١٠٥٥هـــ) الذي ذهب إلى أن ماحيك حول المهدي ووالده من أخبار ملفقـــه

---

(١) الدولة الزيادية: أسسها محمد بن عبدالله زياد في النصف الأول من القرن الثالث الهجري سنة ٢٠٣هـــ وكانت عاصمتها مدينة زبيد. وامتد نفوذها ليشمل كل مناطق اليمن وحتى الحجاز.

(٢)مصادر الفكر / ٥٢٦ (التحف شرح الزلف/٢٠٢).

(٣) الروض الباسم /١٥٨.

وتشكيك يوهم بخروجهما عن الدين الإسلامي هو تلفيق من المؤرخ اليمنـــي/ مسلم اللحجي الذي إهتم بتاريخهما.

.. يقول الشرفي (وما شنع به مسلم اللحجي عليهما وإتهمهما به لا يحــط من رتبتهما ولا يقبله إلا من إنخرط في سلك أعدائهما فــإن شــهرة فضلــهما وكثرة عنايتهما بالدين أوضح الأدله لذوي البصاير).

وقد دفعت هذه الشائعات العلامة/ حميد بن يحيى حميدان إلى تأليف كتــاب مفرد بعنوان (بيان الإشكال فيما يحكى عن المهدي الحسين بن القاسم العيــاني من الأقوال).

والغريب في الأمر أن مثل هذه الشائعات لقت رواجاً بين بعض الزيديــه وهو ما يدحضة العقل فقد جاء حكمهما في فترة إزدهرت بالعلم والفكر وكــان لهما شأن كبير في العلم ويقول السيد العلامة/ مجد الدين المؤيدي فــي سـياق تنزيهه عن هذه التهم أنه ألف ثلاثه وسبعين مؤلفاً وأن الإمام المهدي الحســين بن القاسم العياني كان يشكو من تحريف البعض لكلامه[1].

وأشار العلامة / أحمد بن محمد الشامي في كتابه (تاريخ اليمن الفكــري) أن مصدر هذا التشكيك قد يكون التباس على الإمام المتوكل / أحمد بن سليمان لكثرة أعداءه في ذلك العصر. فأكد السيد العلامة/ مجد الدين بتنزيـــه الإمــام أحمد بن سليمان عن ذلك مشيراً أن الإمام المتوكل / أحمد بن سليمان (ع) قــد صرح في (حقائق المعرفة) بتنزيه الإمام الحسين بن القاسم عن ما نسب إليــه وقطع بعدم صدور الكتاب (مبعث الإلتباس)عنه.

ولم يبرز في صعده أحد من الائمة بعد آل العياني حتى وصــول الإمــام الناصر أبو الفتح بن الحسين بن محمد الديلمي إلى صعده سنة (٤٣٧هــ) قادما من جيلان بالديلم ويقول المؤرخ يحيى بن الحسين (أنه جمع عســكراً ودخــل

---

(١) التحف شرح الزلف /٢٠٣-٢٠٧، مصادر الفكر /٥٢٧.

صعده وسار إلى صنعاء فملكها وجعل مقر إقامته (ذيبين) وإختط حصن ظفار وفي أيامة قوي نفوذ الصليحيين فقاتله علي بن محمد الصليحي وإستمر العراك بينهما حتى تغلب عليه الصليحي فقتله في معركة وقعت في بدمن بلاد عنس[١] سنة (٤٤٤هـ)[٢].

الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان

وفي سنة (٥٣٢هـ) بدأت دعوة الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر في بلاد صعده ونجران والجوف وبايعته بعض قبائل دهمه ثم سار إلى وادي أملح ثم إلى نجران واستبشر بقدومه أهل تلك الناحية.. يقول الحبشي في مصادره: "وفي سنة (٥٤٥هـ) دخل صنعاء فأقبل عليه الناس من كل جهه وقام الشعراء بين يديه بالتهاني وعين على قضاء صنعاء العلامة الشهير جعفر بن أحمد بن عبد السلام المتوفي سنة (٥٧٣هـ) وفي عصره قوي نفوذ دولة بني حاتم ووقعت بينهما بعض المناوشات الحربية"[٣].

ويقول السيد العلامة مجد الدين في (التحف) أجتمع لديه من سلالة الوصي عليه السلام ٣٠٠ رجل من أهل البساله والعلم ومن سائر العلماء ألف وأربع مائة رجل منهم القاضي إسحاق بن عبد الباعث المتوفي سنة (٥٥٥هـ) واستفاض على جميع اليمن وخطب له في ينبع وخيبر وانقادت لأحكام ولايته الجيل والديلم ودخل إلى جهات صعده في قدر (٢٠,٠٠٠) فارس وراجل، وبملاحمة العظام هد اركان الملحدين الطغام ومنها وقعة في اليمن إنجلت عن (٥٠٠) قتيل و (٥٠٠) أسير وكانت خيله في هذه الوقعه (١٨٠٠) فرس سنة (٥٥٢هـ)[٤].

وفي عهده برز شمس العلامة القاضي الإمام/ نشوان بن سعيد الحميري

---

(١) موضع الوقعة نجد الجاح من بلاد رداع بعنس مذحج مخلاف خولان (التحف شرح الزلف/٢١٩).
(٢) غايه الأماني /٢٤٦، ٢٥٠. مصادر الفكر الإسلامي ٥٣١.
(٣) مصادر الفكر ٥٣٤، غاية الآماني /٢٨٥-٣١٨.
(٤) التحف شرح الزلف / ٢٣١.

وأتخذ من صبر والحاضنه مقراً له وتبعه كثيرون وسموا بـ (الفرقه النشوانيه) وقد أبرز كثير من المؤرخين وجود خلاف بين الإمام المتوكل علي الله أحمد بن سليمان وبين القاضي الإمام / نشوان بن سعيد وإتهموا نشوان بالخروج عن مذهب الزيدية في إستغلال واضح لبعض الخلافات وهو ما ينفيه نشوان ذاته في قصيده له منها:-

وذكرت آل محمد ووداهم فرض علينا في الكتاب مؤكد
لا ستعيض بدين زيد غيره ليس النحاس به يقاس العسجد[١]

توفي أحمد بن سليمان في القامة[٢] بحيدان ودفن في مشهده المعروف بإسمه سنة (٥٦٦هـ) كما توفي نشوان بن سعيد على مقربه منه في قريته[٣] المعروفه بإسمه سنة (٥٧٣هـ).

المنصور عبدالله بن حمزة

وفي سنة (٥٨٣هـ) تسلم الإمامه بتكليف من أهل عصره[٤] الإمام المنصور عبدالله بن حمزه بن سليمان بن حمزه وفي بداية دعوته جاءت رسائل من أهل حصن ميتك يطلبونه فأقام بين ظهرانيهم سنتين وثلاثة أشهر وله معارك عديده مع سلاطين بني حاتم الذين قوي نفوذهم في زمن المتوكل أحمد بن سليمان وفي سنة (٥٧٩هـ) وقعت بينه وبين سيف الإسلام طغتكين القادم من مصر إلى اليمن موقعة قتل فيها أخوه الإمام محمد بن حمزة وما زالت الحروب بينهما حتى مات طغتكين سنة (٥٩٣هـ) وتم الصلح بينه وبين

(١) المصدر السابق ٢٣٤.
(٢) إلقامة: من قرى وادي زبيد بحيدان خولان بن عامر.
(٣) نشوان: من قرى زبيد أيضاً وبها داره وجامعه المتواضع وبينه وبين مشهد أحمد بن سليمان نصف كيلو متر فقط.
(٤) إشارة إلى دعوة الإمام عبدالله بن حمزة للأميرين شمس الدين وبدر الدين بالنهوض بالدعوة والإمامة ورفضهما وطلبهما من الإمام المنصور القيام بها وكان الأمير شمس الدين أول من بايعه وقام بدعوته وتفانى في سبيلها.

السلطان علي بن حاتم بعد أن جدد لنفسه الدعوه وقد ألف في سيرته العلامة / علي بن نشوان الحميري كتاباً يتضمن أخباره أسماه (الممدود والمقصور في سيرة الإمام المنصور عبدالله بن حمزه) وكتاباً أخر ألفه أبو فراس بن دغثم أسماه (السيره المنصوريه) وقد إمتد حكمه حتى وفاته سنة (٦١٤هـ) ودفن بظفار وبنهاية عهده ابتدأ عهد الأمراء الحمزيين في صعده الذين تمتعوا بحضور سياسي كبير حتى بداية القرن العاشر وإستطاعوا خلال هذه الفترة الطويلة جعل مدينه صعده قاعدة حكم مستقلة غير خاضعة للائمة الزيديين المتعاقبين حتى زمن الإمام شرف الدين بن شمس الدين[١].

الداعي يحيى بن المحسن:

وعند تولي الإمام المعتضد بالله يحيى بن المحسن بن محفوظ سنة (٦١٤هـ) بعد وفاة الإمام المنصور إستنصر بقوم من شام اليمن فأعانوه بثلاثمائه نفر وأراد الدخول إلى صعده فوجد الأشراف آل حمزة قد سبقوه غليها وصدوه عنها فارتحل إلى شهارة وجمع جيشها لمحاربة الأمير/ محمد بن عبدالله بن حمزة سنة (٦١٥هـ) وثم ضعف شانه وكان ممن أحرز الشروط المعتبره في الإمامه كما يقول المؤرخ زباره قال عنه الإمام المنصور عبدالله بن حمزة (مع الداعي علم أربعه ائمة وقال في رسالة (مع الداعي علوم لا يحتاج إليها الإمام وما نعلم في دار الإسلام أعلم منه) وهو صاحب المقنع في الفقه توفي في شهر رجب سنة (٦٣٦هـ) مشهده بساقين من بلاد خولان عامر[٢].

أحمد بن الحسين أبي طير

وفي سنة (٦٤٦هـ) بث الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين المكنى

---

(١) السيره المنصوريه (أبو فراس بن دغثم)، مصادر الفكر/ ٥٣٨، التحف/ ٢٤١ دفن الإمام المنصور عبدالله بن حمزة أولاً في كوكبان ثم نقل بعد سنة من دفنه إلى حصن ظفار ذيبين.

(٢) ائمة اليمن ١٤٣-١٥١، مصادر الفكر/ ٥٤٧، الأعلام ١٦٣/٨

بأبي طير دعوته في شتى أقطار اليمن وأجابه الأشراف بنو عبدالله بن حمزة ونقضوا صلحهم مع بني رسول فأرسل جنده إلى قرى من همدان ثم توجه لمحاصرة الباطنيه أصحاب حصن شبام فإحتلت جنوده المنطقة مما كان سبباً لتزايد قلق بني رسول أصحاب النفوذ الأقوى في اليمن آنذاك[١].

وهذا ما أدى إلى بدء صراع طويل بين المهدي وسلاطين آل رسول وكانت له معهم وقائع عديدة كوقعه (بيت نعامه[٢]) من حضور سنة (٦٤٧هـ) وبعد مقتل السلطان نور الدين الرسولي من قبل مماليكه في السنه المذكوره توسع الإمام في الإستيلاء على بعض المدن ودخل جنده مدينة صعده ثم إنتقل إلى صنعاء وأخرب ما بها من مآثر بني رسول وقتل في معركة مع خصومه برئاسة الرصاص[٣] ويقول السيد مجد الدين المؤيدي في (التحف) أن الأمير الكبير أحمد بن عبدالله بن حمزة كان له مواقف مناهضه للإمامين (يحيى بن المحسن وأحمد بن الحسين) فقد حالف الملك المظفر ضد الإمام أحمد بن الحسين وكان من المشاركين في قتله في أوائل شهر ربيع الآخر سنة (٦٥٦هـ)، وللأمير الكبير سالف الذكر قصيده في الإمام المهدي أحمد بن الحسين قال فيها:-

أضاء على الإسلام نورك وانطفا	بوجهك ليل الهم وانصدع الفجر
وقد علمت آل النبي محمد	بأنك أنت الفلك إما طغى البحر
ولا عجب إن زادك الله حجة	سماوية ما بعدها للورى عذر
راك لها أهلاً فزدت تواضعاً	فزادك تكبيراً به من له الكبر[٤]

---

(١) التحف ٢٤٩.
(٢) بيت نعامه: قريه من قرى بني مطر بلاد بستان بحضور من مديريات صنعاء.
(٣) مصادر الفكر /٥٤٨، الإعلام ١/١١٤، غاية الآماني ٤٢٩/٤٤٥.
(٤) التحف ٢٥٢/٢٥٣، تاريخ اليمن الفكري ٢/٢١١-٢٢٩.

وللشاعر قاسم بن هتيمل التهامي[1] في إحدى روائع قصائده:-

إذا جئت الغضا ولك السلامة فطارح بالتحيه ريم رامه

إلى قوله:-

إلى المهدي أحمد أرقلت بي براق العدو تحسبها نعامه
إلى من لو وزنت الخلق طراً بظفرٍ منه ما وزنوا قلامه
شبيه سميه خلقاً وخلقاً وهدياً في الطريق وإستقامه
تواضع عن لباس التاج زهداً فصار التاج من خدم العمامه
أبعد قضية التنين[2] يعصى من الثقلين مأموم إمامه

إلى قوله:-

وما عرف المسيح بغير هذا أمعجزة النبوة في الإمامة

الحسن بن بدر الدين:

ومن هجرة رغافه في بلاد جماعه صعده كانت دعوة الإمام المنصور بالله الحسن بن بدر الدين سنة (٦٥٧هـ) فكان من أجل من بايعه من أكابر علماء عصرة العلامة عبدالله بن زيد العنسي وغيره وبث دعوته إلى البلدان ومال عن إمامته فقهاء بلاد الظاهر فسار إلى تهامه فتغافل أهلها عن نصرته وأجابه أهل بلاد المغارب وجبالها فسار إلى المصانع وجاهد فيها ثم خذله أهل تلك الجهات فرجع إلى صعده، توفي سنة (٦٧٠هـ) وعمره أربع وسبعون سنة مشهده وأخويه الأمير/ حسين بن بدر الدين والمختار برغافه بصرح مسجد

(١) بن هتيمل: القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي شاعر المخلاف السليماني في عصره كان كثيراً التنقل ومدح المظفر الرسولي ورجال دولته وأحمد بن الحسين القاسمي الإمام الزيدي المقتول سنة ٦٥٦هـ وبعض اشراف مكة وأمراء المخلاف السليماني توفي ٦٩٦هـ (الإعلام ١٧٨/٥، التحف ٢٥٢).
(٢) التنين: اسم رجل له قدر خمسين سنة يمشي على يدية ورجليه مسح على راسة الإمام المهدي فعاد سوياً وهذه القصة ذكرها سيدي مجد الدين في التحف ٢٥٢.

تاج الدين الإمام الحسن القبلي يليه الأمير الحسين يليه المختار.

وللشاعر قاسم بن هتيمل قصيده في مدح الإمام المنصور الحسن بن بدر الدين قال فيها:-

إن الإمامة صارت من بني حسن	إلى إمامة هاد من بني الهادي
فخم الأصاله مشهور البساله مر	ضي العدالة مثل البدر في النادي
خليفة طابت الدنيا بدولته	فنحن في جُمع منه وأعياد
طود يؤيده من شم ما نسلت	أصلاب يحي بن يحي شم أطواد
كأنه قمر يقضي بصاعقة	في الروع أوبشهاب منه وقاد[1]

وكان الإمام حميدان بن يحيى القاسمي من أحفاد الإمام القاسم العياني قد دعا لنفسه قبل الحسن بن بدر فأستشهد سنة (٦٥٦هـ) ومشهده بذيبين، قال الإمام الواثق بالله المطهر بن محمد المطهر في الأبيات الفخريه:-

أما حميدان من شاد المنار فقد	أحيا همته قولاً لهم بالي

كما دعا لنفسه أيضاً في عقب وفاة المهدي أحمد بن الحسين سنة (٦٥٦هـ) الإمام الناصر يحيى بن محمد السراجي وخان الله في هذا الإمام قبيله من فاهم من قبائل حضور أخذوا فيه مالاً واسلموه إلى بعض الجبابره بصنعاء فأذهبوا بصرة فأنزل الله بالذين غدروا الجذام سنة (٦٦٦هـ) فأقام مدرساً للعلم بعد ذلك حتى وفاته (٦٩٦هـ) وهو الجد الخامس للإمام المنصور بالله محمد بن علي السراجي الآتي ذكره[2].

وبعد وفاة المنصور الحسن بن بدر الدين (٦٧٠هـ) دعا للإمامة إبن أخيه الإمام المهدي لدين الله إبراهيم بن تاج الدين (أحمد) بن الأمير بدر الدين

(١) مصادر الفكر ٥٥٠، غاية الأماني ٤٥٦، التحف ٢٥٩-٢٦٠.
(٢) التحف شرح الزلف ٢٥٨-٢٥٩.

(محمد) بن أحمد بن يحيى بن يحيى في شهر ذي الحجة وقد أسره في بعض حروبه السلطان المظفر يوسف بن عمر الرسولي سنة (٦٧٤هـ) بعد أن انهزم جنده وثبت لوحده وتوفي في السجن في صفر (٦٨٣هـ) مشهده بتعز وأمه زينب بنت الإمام المنصور عبدالله بن حمزة وله قصيده كبيرة يشتكي فيها من هزيمة أصحابه صدرها:-

نوائب الدهر في أفعالها العجب　　　والحرب لفظ ومعنى لفظة الحرب

إلى قوله:-

وقد رمتني صروف الدهر عن كثب　　　بأسهم قاضيات عندها العطب

ومنها:-

ورب يوم يغيب الشمس قسطله　　　فتنقضي الشمس حتى تنقضي القضب
صبرت فيه على البأساء محتسباً　　　لله إذ كان مثلي فيه يحتسب[1]

المظلل بالغمامة:

بعد أسر الإمام إبراهيم بن تاج الدين نهض الإمام المطهر بن يحيى سنة (٦٧٦هـ) ودعا لنفسه فأجابه أعلام اليمن ونبلاءها ووجه رسائل إلى سائر المدن وكان حكمة في أبان نشاط الدولة الرسوليه إلا أنه أستطاع التغلب على بعض البلدان الجبليه ودخل جنده مدينة صعده سنة (٦٨٤هـ) بعد أن أطاعته قبائلها ثم سار مع قائده الأمير داود بن المنصور إلى الجوف وإحتل مدينة الظاهر ثم حاصر الزاهر وفي سنة (٦٨٧هـ) وقع الصلح بينه وبين الملك الرسولي الأشرف وقد تم له الإستيلاء على حصن الزاهر (القفل) وكانت وفاته سنة (٦٩٧هـ) بحصن دروان حجة وهو من عظماء أئمة اليمن لقب بـ(المظلل بالغمامة) لكرامة أكرمه الله في بعض حروبه وإلى ذلك أشار

(١) التحف شرح الزلف ٢٦٢.

صاحب البسامة:-

من ظللته الغمام الغر حائلـــه من دونه وغدت ســتراً لمســتتر

وفي أثرة قام ولده الإمام المهدي لدين الله محمد بن المطهر بن يحيى سنة (٧٠١هـ) بأمر الإمامة وكانت دعوته في هجرة حوث ولما بلغـــت دعوتـه الملك المؤيد الرسولي نهض لحربه فحاصر القبه من بلاد حاشد وظفار ثم عاد إلى صنعاء وفي سنة (٧٠٧هـ) قام المهدي محمد بـن المطـهر بمحـاصرة صنعاء ويوالي الغارات من حين إلى آخر على أجناد المؤيد الرسولي فاستولى على قرن عنتر من بني شهاب سنة (٧٠٧هـ)[١].

ثم هبط صنعاء فحاصرها شهرين حتى وصل المؤيد فأزاحة عنها وفـــي سنة (٧١١هـ) تجهز الإمام المهدي بسته ألف مقاتل وحارب عامل السـلطان الرسولي في بلاد الشرف حتى أسره وإستولى على البلاد ثـم تسـلم حصـن المفتاح من تلك الناحيه ثم عقد صلحاً مع المؤيد الرسولي لمدة عشر سـنوات على أن يكون للمهدي بلاد الشرف الأعلى وبلاد الجبر وماهو تحت يده مـن بلاد حجة وغيرها كبيت ردم وبيت الوشاح وإعطائه (٣٠٠٠) دينار كل سـنه وكان ذلك سنة (٧١٢هـ) إلا أن الصلح لم يتم ففي سنة (٧١٦هـ) أرسـل المهدي جيشاً إلى بلاد الشرف الأعلى وأستفتح حصن العـروس ثـم نـهض لحرب صنعاء فصالحه عاملها وأرسل السلطان الرسولي جيشه بقيادة الأمـير نور الدين إلى حجه فإقتتلا وهزم أتباع السلطان وفي سـنة (٧٢٣هـ) تـم للمهدي الإستيلاء على صنعاء وإزاحة قوات آل رسول عن اليمـن وحـاول الإستيلاء بعد أبين على عدن سنة (٧٢٦هـ) فلم ينجح وكـانت وفاتـه سـنة (٧٢٨هـ) بحصن ذي مرمر ومشهده في العوسجه جـوار الجـامع الكبـير

---

(١) مصادر الفكر ٥٥٨، أئمة اليمن ١٩٥-٢٠٩، الإعلام ج٨/١٦١، التحف شـرح الزلـف ٢٦٤، ويقول السيد مجد الدين أن الإمام المهدي إبراهيم بن تاج الدين قد عرض على الإمام المتوكل المطهر الإمامـة قبله فأبا ولم يعلن الدعوة إلا بعد أسر المهدي إبراهيم بن تاج الدين.

بصنعاء[١].

وإختتم آل المطهر حكمهم بالإمام الواثق بالله المطهر بن محمد بن المطهر في أيام المؤيد بالله يحيى بن حمزة فتخلى عن الإمامه في عصر الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد بن المفضل بن حجاج سنة (٧٥١هـ).

الإمام المؤيد يحيى بن حمزة:

تزامنت دعوة الواثق سنة (٧٢٩هـ) مع دعوة الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي الذي كان بروزه في بلاد صعده والظاهر والشرف ونهض إلى صنعاء في جملة من أعيان عصره من أهل الحل والعقد لمحاربة الإسماعيله في وادي ظهر بهمدان من أعمال صنعاء وكان قائدهم الداعي علي بن إبراهيم الهمداني فوقعت بينهم موقعة عظيمة قتل فيها عدة من القتلى وتواصلت الحرب وأقبلت إلى أقمام التعزيزات من بلاد صعده وظفار وكثرت جيوشه فحرض الناس على الجهاد ثم أنه طال القتال حتى مل الفريقان فجنحا للصلح ثم سار إلى حصن هران المطل على ذمار فأقام به وإشتغل بالتاليف والإصلاح بين الناس والنصح لحكامهم حتى توفي سنة (٧٤٩هـ)[٢].

آل المهدي علي بن المفضل:

ومع حلول عام (٧٥٠هـ) بدأت دولة الإمام المهدي علي بن محمد بن علي بن منصور بن المفضل وأولاده، والتي امتدت قرابه تسعين عاماً بدأت بدعوة المهدي علي بن محمد سنة (٧٥٠هـ) في ثلا وإستطاع أن يسيطر على مناطق صعده وصنعاء وذمار ومابين هذه المدن ودانت له البلاد وأصيب

(١) مصادر الفكر ٥٦٢، البدر الطالع ج٢/٢٧١، أئمة اليمن ٢١٠-٢٢٧، التحف ٢٦٥.
(٢) مصادر الفكر ٥٦٤، أئمة اليمن ٢٢٨-٢٣٥، الطالع ج٢/٣٣١-٣٣٣، ويقول السيد مجد الدين في التحف أن الإمام المؤيد يحيى بن الحمزة عندما بلغت دعوته العلماء قام خطيباً وحث الخلق على مبايعته وأقسم بالله ما يعلم من أمير المؤمنين إلى وقته من هو أعلم منه ومشهده بمدينة ذمار (التحف ٢٧٠-٢٧١).

بالفالج سنة (٧٧٢هـ)[1] فأقعده حتى توفي بعد أن لعب دوراً هاماً على المسرح السياسي وشكلت صعده ركيزة من ركائز حكمه فشيد فيها وزاد من عمارة الهادي وبعد إصابته بالفالج نهض مجموعه من السادة علماء صعده سنة (٧٧٣هـ) إلى ذمار وفي طليعتهم سلطان العلماء في اليمن آنذاك عبدالله بن الحسن الدواري وأجمعوا على مبايعة ولده محمد للإمامه رغم أن المهدي كان له رأي آخر فقبل ما أجمع عليه العلماء وتم قيام الإمام الناصر / محمد بن المهدي علي بن محمد سنة (٩٧٣هـ) فكان من الائمة العظام حامياً لحوزة الدين رافعاً لمنار المسلمين داعياً لشرائع سيد المرسلين عشرين عاماً حتى توفاة الله سنة (٧٩٣هـ)[2].

قال فيه السيد الهادي بن إبراهيم الوزير في البسامة في قصيدة مطلعها "دع عنك ذكر الأربع الأدراس" بقوله:-

واذكر لنا فتح الإمام محمد	بلد الطغام الفرقة الأنجاس
أفنى الإمام الباطنيه عن يد	ومحا رسوم الكفر والأدناس
الناصران من الأئمة دمرا	فوق الثرى والكفر شر أناس
يوماً (نغاش) و(المنقب) البسا	فرق الضلالة ملابس الأبلاس

و(موقعة نغاش) للناصر بن الهادي على القرامطة و(موقعة المنقب) للناصر صلاح الدين بن المهدي على الباطنية، وقد تمكنت خلافة الناصر محمد بن علي الملقب (بصلاح الدين) من الديار اليمنية وعظمت سطوته وكثرت جيوشه وكان له مواقع هامة مع الباطنيه في اليمن وإنتصر على السلطان الرسولي ووقع الصلح من آل حمزة أصحاب صنعاء.

(١) الإمام المهدي علي بن محمد بن مفضل توفي في ربيع الأول سنة ٧٧٤هـ بذمار ونقله ولده الناصر إلى صعده وقبته غرب قبه الإمام الهادي والمسماه (قبة الشريفة فاطمة).

(٢) الإعلام/ ج٧/٣٢٤، البدر الطالع/ ج٢/٢٢٥-٢٢٦، ٣٣١-٣٣٣، التحف/ ٢٦٥-٢٧١، أئمة اليمن/ ٢١٠-٢٢٧، ٢٢٨-٢٣٥، مصادر الفكر/ ٥٦٢-٥٦٤.

وبعد وفاة الناصر صلاح الدين (محمد) بن المهدي (علي) بن محمد قـــام ولده علي بن صلاح الدين سنة (٧٩٣هــ) وأرسل إلى الدواري فـــي صعـــده فوصل إلى صنعاء وأجمع رايه ورأى أرباب دولته على مبايعته كونه ناهضـــاً بأعباء الملك رغم أنه لم يبلغ الحلم[1].

فكان من أعظم أئمة عصره قال عنه الإمام الهادي عز الدين بن الحســـن بن الإمام علي بن جبريل (بلغ من أحكام السياسه وأحكام الرئاسة والإســـتقلال بالنظر في الأمور وحسن المباشرة لها مبلغاً عظيماً لا مطمع وراءه، وقد كانت له العنايات الجليله في المقامات الجميله في حرب ســـلاطين اليمـــن ونهايـــة الإسماعيليه وأملاكهم من المعاقل العظيمة وغيرهم وكان له من الحكمة مـــالم يكن لاحد غيره.

وقد طالت أيامه وعظمت مملكته واتسعت بلاده وتكثر جنده حتى مات في ٢٧ صفر سنة (٨٤٠هــ) ثم خلفه إبنه الناصر محمد ومات بعد أربعين يومـــاً وكان عمه الحسن قد مات فانقطع بموته بيت الإمام المهدي[2] وقد تعـــارضت دعوة الإمام علي بن صلاح مع دعوة الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، أنتهت بأسر المهدى وسجنه ولم يطلق إلا بعد وفاة الإمام علي بن صلاح.

علي بن جبريل:

وفي نهاية عهد الإمام علي بن صلاح الدين سنة (٨٣٦هــ) توجه وفد من علماء صعده إلى هجرة قطابر لمبايعة الإمام الهادي/ علي بـــن المؤيـــد بـــن جبريل الذي وافق على مبايعته أكابر علماء صعده بعد يأسه من خروج الإمـــام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى من حبس الإمام علي بن صلاح فكان ممـــن بايعه السيد الهادي بن إبراهيم الوزير وأخيه محمد والسيد داود بن يحيى بـــن

---

(١) البدر الطالع ج٢/٢٢٥-٢٢٦، الإعلام ج١٧٨/٧، التحف ٢٧٣-٢٧٦.

(٢) التحف/ ٢٨٨ والمنصور علي بن صلاح الدين الناصر محمد صاحب صنعاء أضاف لها في بداية عـــهده صعده فحاصرها سنتين حتى دخلها. الإعلام ٨/٥، البدر الطالع ٤٨٧/١، بلغ المرام ٥٢-٥٣.

الحسين ووالده أحمد والسيد العلامة محمد بن حسن الداعي والقاضي العلامة محمد بن حمزة بن مظفر مؤلف كتاب (البرهان) المشتمل على عشرين فناً من أنواع العلوم توفي (٨٨٠هـ) والسيد أحمد بن أبي الفتح والقاضي العلامة الشهير يوسف بن أحمدبن عثمان صاحب (الثمرات) كما بايعه المهدي أحمد بن يحيى المرتضى بعد خروجه من[1] السجن وقيل في الإمام الهادي علي بن جبريل:-

أمير المؤمنين بقيت فينا على رغم العداء بقاء نوح
ولا زالت تقاد إليك طوعاً رقاب العاصيات في الفتوح

وقال صاحب البسامه:-

قام الإمام على بعد والده وأحمد بعد والهادي على الأثر

وفي سنة (٨٩٦هـ) توفي الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بعد قيامه بأعباء الإمامة أربعين سنة وقبره يماني مسجده الذي أسسه بمهجرة فلله.

وفي أوان البلوغ جاء الإمام الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن المطهر بن يحيى وتكنى بالمنصور وأمه الشريفة مريم بنت الإمام علي بن صلاح فاستقامت دعوته وأقبلت له الأيام وأخضع معارضيه بعد أن أسر أمامين معاً هما صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم والمطهر فأما صلاح فمات في أسره وأما المطهر فخرج من السجن بعد أن نظم توسل في قصيدته المشهورة في مدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من مائه وثلاثين بيتاً مطلعها:-

ماذا أقول وما آتي وما أذر في مدح من ضمنت مدحاً له السور

ثم إنقلبت عليه الأيام وأسره الإمام المطهر ومات في سجنه بكوكبان

(١) التحف شرح الزلف/ ٢٨٥-٢٨٦، الإعلام ٥/٢٧، ملحق البدر ١٨٢.

فطلبت والدته الإذن بنقله إلى صنعاء فأذن لها.

عز الدين بن الحسين:

واختتم القرن التاسع الهجري ببروز الإمام المؤتمن مجدد دين الله في أرض اليمن الهادي عز الدين بن الحسن بن علي بن المؤيد حيث كانت دعوته في ٩ شوال سنة (٨٨٠هـ) يقول عنه السيد مجد الدين المؤيدي في التحف (الإمام المجدد في المائه التاسعه مكن الله بسطته حتى نفذت أحكام الإمامة في مكة المشرفه وما والاها من بعد أرض اليمن وتسارعت إلى إجابة دعوته وإقامة حجة العلماء الجموع وأيده الله بنصره)[١] كان له حضور على المسرح السياسي في اليمن وكانت حياته حافله بالأحداث وكانت واقعة (نسرين[٢]) بين الإمام عز الدين وأمير صعده محمد بن حسين الحمزي نهاية لدعوته.

يقول صاحب (غاية الأماني في أخبار القطر اليماني)، ثم توجه الإمام عليه السلام إلى جهة الحيمة ووصل إليها من أهل حراز وحضور أقوام كثير وتقدم جهة آنس فلبث أياماً ثم رجع إلى الجهة الشامية وأجتمع لديه من جند الشام (صعده) قدر مائه فارس وخمسه عشر ألف راجل مازلوا يحثونه على حرب صعده وأميرها محمد بن الحسين الحمزي فخرج الإمام بتلك الأقوام من فلله إلى صعده فلم يكن بأسرع من هزيمة جند الإمام وقتل منهم عدة من أعيانهم منهم الفاضل أحمد بن محمد الخالدي[٣].

يقول السيد العلامة / عبدالله بن علي بن محمد الوزير المتوفي سنة (١١٤٧هـ) في تتمة البسامه:-

---

(١) دخلت تحت الطاعة الإمام عز الدين بلاد السودة وكحلان والشرفين ثم سار سنة ٨٨٠هـ من صعده إلى مسور المنتاب وظلاع والطويلة والحيمة والشاحذية ودعوه إلى حرب أمير صعده. التحف/ ٢٩٣، الإعلام/ ج٥/٢٣، مصادر الفكر/٥٩٨.

(٢) واقعة نسرين: بين الإمام عز الدين بن الحسن بن علي بن المؤيد وأمير صعده محمد بن حسين الحمزي جرت سنة ٨٨٠هـ في موضع يعرف بنسرين لا يزال معروف حتى الآن شمال صعده ٢كم.

(٣) التحف ٢٩٣، الإعلام ج٥/٢٣، أئمة اليمن ٣٤٤-٣٥٦، مصادر الفكر ٥٩٨.

وفي ابن وهاس الداعي وقائمنا واليحيوي أمام الثار والأثر
قضت بنصر وخذلان فلا عجب فالملك مابين مخذول ومنتصر
أفضت إلى القائم الهادي وقد درجت أقرانه فأفض العدل في البشر
وأظفرت يوم (نسرين) الأمير على جند الإمام وكان الرأي في الحذر

فعاد الإمام عز الدين إلى بلاده فلله وأقام بها حتى توفي شهر رجب سنة (٩٠٠هـ) ورثاه عدد من كبار اعلام وحكام اليمن منهم المتوكل على الله شرف الدين (يحيى) بن شمس الدين بقوله:-

فيالك من خطب عظيم وحادث جسيم يسوء العالمين موارده
نعاه إلينا قبل يوم وقوعه بسبع اله الخلق والسمع شاهده
تداعينه عمن سواه ومن يكن به الله أنباء فهوجم محامده
أبا حسن قد كنت للخلق هادياً إلى الحق مهدياً عظيماً فوائده
فمن ذا الذي نرجو بعدل في الورى إماماً فنحوا نحوه ونراوده
ومن لاسود الحق يجمع شملها إذا ما ترامت للضلال أساوده
ومن لعلوم كنت فيها مبرزاً تجرد ما قد أعجز الناس غامده
ومن لكتاب الله يحي بك الدجى وكيف بمحراب خلا أنت عابده
فقد فاق بطن الأرض والله ظهرها به إذ ثواه واحد العصر ماجده

وهي طويلة قبره بمشهده بجامعة المبارك بهجرة فلله[1].

قال عنه الشوكاني: (كانت دعوته بهجرة فلله ودخلت تحت طاعته بلاد السوده وكحلان والشرفين والبلاد الشاميه وعلماء ساير المحلات الزيديه وقد بايعوه وهو من أكابر أئمة الآل في العلم والعمل والكرم وساير الخصال الشريفه وله شغف بالعلم عظيم ولديه من التسليم بالحق وإتباع الدليل مالم يكن لغيره حتى رآيته قد حرر بحثاً في مسألة إنحصار الإمامه في بعض قريش

(١) التحف شرح الزلف/ ٢٣٩.

وتكلم بالصواب مع كونه آنذاك إماماً ومدة حكمه ٢١ سنة[١]).

ومع بداية القرن العاشر الهجري دعا الإمام الناصر / الحسن بن عز الدين لنفسه في حصن كحلان رجب سنة (٩٠٠هـ) فبايعه الإمام المنصور بالله / محمد بن علي الوشلي السراجي والإمام المتوكل على الله / شرف الدين (يحيى) بن شمس الدين وخالفه عمه صلاح بن الحسن والقاضي محمد بن أحمد مظفر اللذان بايعا الإمام الوشلي الذي مالبث أن وقع في أسر عامر بن عبد الوهاب وظل في سجنه حتى توفي سنة (٩١٠هـ) وكان الإمام الحسن بن عز الدين إماماً عظيماً وقد دعا له وخطب بمدينة صعده ولم يخطب فيها من قبل لوالده واستمرت إمامته حتى توفي سنة (٩٢٩هـ) وقبر بهجرة فلله[٢].

آل شرف الدين:

وهكذا ظل الواقع السياسي منذ نهاية دولة الهادي بين جزر ومد ومبايعه ومنازعة وحروب وخلافات بإستثناء دولة (آل المهدي) التي إمتدت قرابة ٩٠ عاماً وفي بداية العقد الثاني من القرن العاشر الهجري برز نجم (آل شرف الدين[٣]) فقد بويع سنة (٩١٢هـ) الإمام شرف الدين (يحيى) بن شمس الدين بعد وفاة الإمام السراجي في أيام الحسن بن عز الدين فإستطاع الإمام شرف الدين أن يوطد ويرسخ دعائم حكمه وأن يمد سلطانه إلى كثير من المناطق اليمنية وكان له معارك وحروب عنيفه مع الأتراك العثمانيين وملوك وسلاطين عصره فإنتصر بعد معارك ضارية على عامر بن عبد الوهاب وكان خروج الجراكسه والأتراك من اليمن في عهده ويعد الإمام شرف الدين من أعظم

---

(١) البدر الطالع/ ج١/٤١٥.
(٢) الإعلام/ ج٢/١٩٩، ملحق البدر الطالع/ ٧٢، التحف شرح الزلف/ ٣٠٧-٣٠٨، أئمة اليمن/ ٣٥٧-٣٥٨، مصادر الفكر/ ٦٠١.
(٣) شرف الدين: كنيه واسمه يحيى بن شمس الدين محمد بن أحمد بن يحيى المرتضى مولده سنة ٨٧٧هـ.

ملوك وسلاطين اليمن قهر أعدائه وأخضع كثيراً من المناطق اليمنية لحكمه[١] قال عنه السيد العلامة داود بن الهادي في تتمة البسامة:-

وقام بالأمر من طابت عناصره أبو المطهر زاكي الفعل والأثر
فدوخ الأرض من شام إلى يمن بالبيض والبيض والخطيه السمر

وكان من جملة المناطق التي فتحها الإمام شرف الدين (صعده) وفيها جرت معركة شرسه[٢] مع آل حمزة أمراء صعده آنذاك فنكل بهم وهزمهم هزيمة منكرة لم تقم لهم بعدها قائمه وعند دخوله صعده قام بزيارة جامع الإمام الهادي (ع). وخلد هذا الفتح بقصيده بائيه رائعة قال فيها:-

زرناك في زرد الحديد وفي القنا والمشرفيه والجياد الشزب
وجحافل مثل الجبال تلاطمت أمواجهن بكل أصيد أغلب
من كل أبلج من ذؤابة هاشم وبكل أروع من سلالة يعرب
وأعاجم ترك وروم قادة وأحابش مثل الأسود الوثب

وقال في غلبة الأشراف الحمزيين:-

من بعد أن حال القرابة دوننا وتحزبوا حقاً أشد تحزب
فاذاقهم رب العباد نكاله في كل معركة يشيب لها الصبي
أبداً عدو الله لست أقيله لو كان إبني أو شقيقي أو أبي

قال صاحب البدر الطالع (دانت صنعاء وبلادها وصعده ومابينها من المدن بالطاعه ثم غزا بني طاهر فأفتتح التعكر وقاهرة تعز وحراز ثم فتح

(١) البدر الطالع ج١/٢٧٨-٢٨٠، أئمة اليمن ٣٦٩-٤٥٣، التحف ٣٠٨-٣٠٩، الإعلام ج٨/١٨٥-١٨٦.
(٢) سبب الحرب أن الإمام شرف الدين أراد دخول صعدة لزيارة مشهد جده الهادي يحي بن الحسين بن القاسم الرسي فمنعه أمراء آل حمزة من دخولها فجمع الجموع ودخلها عنوة ظافراً.

جازان وبلاد أبي عريش وسائر البلاد التهاميه[١]).

وقد ولى الإمام شرف الدين على صعده ومخاليفها ولده الأمير/ شمس الدين بن شرف الدين فشيد القلاع والحصون وبنى سور صعده وشيد مقدمة جامع الإمام الهادي (ع)[٢] كما أقام بها ولده الأمير المطهر بن شرف الدين[٣] خلال حروبه مع الأتراك العثمانيين.

وخلال عهد الإمام شرف الدين دعا لنفسه الإمام الداعي إلى الله / مجد الدين بن الإمام الناصر لدين الله الحسن بن عز الدين بن الحسن بن علي بن المؤيد سنة (٩٤٢هـ) وكان عالماً في الزهد والهدايه والتقوى حري بأن تمدحه الملائكة والروح وكان من العلم بمحل لا يلحق ومن الهداية في فلك لا يغيب نوره ولا يمحق وكان من الزهد والورع بمحل عظيم[٤] إلا أن عظمة دولة آل شرف الدين وإقبال الأيام عليهم وزهد الإمام المذكور خلق حضوراً ضعيفاً له على المسرح السياسي.

وكان الإمام شرف الدين سنة (٩٥٨هـ) قبل وفاته بسنوات قد أشار بقيام الإمام أحمد بن عز الدين لكنه وجماعه من العلماء أشاروا بعدم صحة ذلك في ظل وجود الإمام شرف الدين الذي كان قد ذهب بصره وقالوا (إن ذهب بصرك ففي بصيرتك ما يكفي) وبعد وفاة الإمام شرف الدين في ١٧ جماد آخر سنة (٩٦٥هـ) قام الإمام أحمد بن عز الدين ولقب بـ (الهادي) وفي عهده امتلك الترك صعده وجميع بلاد خولان وهاجموا الحرجه التي خرج منها

---

(١) البدر الطالع ٢٧٩-٢٨٠، التحف ٣١١-٣١٣.

(٢) من مآثر الأمير شمس الدين بن شرف الدين قشله صعده وقلعتا السنارة والصمع وتشييد مقدمة جامع الهادي والمدرسة الشمسية بذمار ومسجد آخر في عدن.

(٣) المطهر: بطلاً حازماً قاد الجيوش لمناهضة الأتراك ومعاقبة المتخاذلين عن نصرته وقتل في حادثة واحدة قرابة ستمائة شخص من خولان عامر في ٩٣٥هـ وكان قصره بالمنصورة بصعده.

(٤) التحف/ ٣١٣، ويقول صاحب الإعلام/ ج٥/٢٧٩، أن الإمام مجد الدين بن الحسن دعا لنفسه سنة ٩٢٩هـ بفلله ولبى أهل صعده دعوته كما أجاب أهل صنعاء وسائر علماء اليمن بإستثناء أتباع الوشلي وشرف الدين.

وإمتد عهده حتى وفاته سنة (٩٨٠هـ).

الحسن بن داود:

وفي أثر الإمام أحمد بن عز الدين بن الحسن قام الإمام الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن علي بن المؤيد سنة (٩٨٧هـ) ولقب بـ(الناصر) قال داود بن الهادي في تتمة البسامة:-

والقائم الناصر الداعي العباد إلى سبل الرشاد عظيم القدر والخطر
سعى لنصرة دين الله معتصماً بعروة الله سعياً غير محتقر

وقد نهض الإمام الناصر الحسن بن داود في ذروة تمكن الترك بعد وفاة الإمام شرف الدين وولده الأمير المطهر فدخل في حروب شديدة تمكن بها وظفر ثم إنقلبت عليه الأيام بعد سقوط خمر في يد الأتراك الذين سعوا إلى إسقاط ما تبقى من المناطق في يديه وهي عذر والأهنوم فتم لهم ذلك وأخذ أسيراً في جبل الأهنوم في ١٦ رمضان سنة (٩٩٣هـ) ومكث سنة في اليمن ثم أرسل إلى القسطنطينية مع أولاد المطهر بن الإمام شرف الدين وتوفي سنة (١٠٢٦هـ[١])، يقول الوزير في تتمة البسامة:-

ومكنت (حسناً) مارام من حسن[٢] من بعد حرب شديد الحر مستعر
لما كسته برود المجد معلنة تلفعت بخمار عنه من خمر
وإستفحل الترك إذا لم يبق في يده من البلاد سوى الأهنوم أو عذر[٣]

ومن ذرية الإمام الناصر الحسن بن داود السادة آل الهاشمي برحبان.

القاسم بن محمد:

قال عنه السيد مجد الدين المؤيدي في التحف شرح الزلف:-

---

(١) التحف شرح الزلف/ ٣١٨-٣٢٠، الإعلام/ ج١/١٦٩.
(٢) حسناً: المراد به الوالي العثماني على اليمن حسن باشا. وحسن المراد به الحسن بن داود.
(٣) خمر وعذر من بلاد حاشد والأهنوم بلدة مشهورة في محافظة حجة.

أحمد بن عز الدين إلى الواديين وأقام بها حتى بلغه أن البلاد صارت إلى إبن أخيه أحمد بن الحسين فعاد إلى يسنم وأقام بها حتى توفي[١].

قال السيد العلامة داود بن الهادي في تتمة البسامة:-

وبعد أن خانه المقدور قوته وإبتز من ثقبتية جوهر النظر

قام الإمام ابن عز الدين قدوتنا عن رأيه فرماه الدهر بالعبر

وقال إبن الوزير في تتمته:-

ثم الإمام إبن عز الدين إذ لحظت إليه شزراً وأقصاها عن النظر

حتى قوله:-

حتى قضى نحبه في يسنم وغدا من بعد ذلك معدوداً في الهجر

وقد تزامنت دعوة الإمام أحمد بن عز الدين قيام الأمير السيد المطهر بن شرف الدين بالإمامة وهو الأمير الكبير ملك اليمن وإبن أئمتها المشهور بالشجاعة والحزم والسياسة والكياسة والرياسة وكان من أعظم أمراء والده الإمام وكانت قد حلت هيبته قلوب أهل اليمن قاطبة وقلوب من يرد إليها من الأتراك والجراكسه وحدثت بينه ووالده في آخر أيامه وحشه وخلاف، وبعد وفاة والده إستولى على كثير من معاقل اليمن ومدائنها وجرت بينه وبين الأتراك خطوب وحروب نال منهم ونالوا منه في ملاحم عظيمة لا سيما بينه وبين سنان باشا.

ويعد المطهر من أعظم سلاطين الديار اليمنية وله شواهد في الشجاعة وحسن السياسة وجودة الرأي وسفك الدماء[٢] لم يتفق إلا للنادر من الملوك

---

(١) الإعلام ١٦٩/١، التحف ٣١٧-٣١٨.

(٢) قصة المطهر في قتل ٦٠٠ رهينة من خولان عامر سنة ٩٣٥هـ معروفه وموافقة في مناهضة الأتراك لاتماثل وكان مثال للسلطان القوي المقتدر وبعد وفاته ضعف شأن آل شرف الدين وانتهى بأسر حسن باشا الوالي العثماني لأولاد المطهر وإرسالهم إلى الاستانه.

وطهرها المنصور شـــرقاً ومغربـــاً فـــأعداء رب العـــالمين صعـــاصع
وثل عـــروش الظـــالمين وأوردت على الترك منه المرهفات اليلامـــع

وفي مطلع القرن الحادي عشر الهجري قام بالإمامة الإمـــام المنصـــور القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بـــن الأمـــير يوسف يحيى بن (الناصر)أحمد بن (الهادي) يحيى بن الحسين، وذلـــك سـنة (١٠٠٦هـــ) بعد أياسة من خروج الحسن بن داود فطهر الأرض من الـــردى ونشر الإيمان والهدى وجدد الله بعلمه وسيفه الدين الحنيف وأحياء الجـــهاد[١] والإجتهاد لمعالم الشرع الحنيف وهو الإمام المجدد بعد الألف[٢].

وقد تعاظم ملكه وبسط نفوذه على كثير من مناطق اليمن وهزم الأتـــراك في عدة مواقع وقاد حرب صعده الأيام الشهيرة من أهمها معركـــة (الشـــقاء) غرب صعده في وادي علاف سنة (١٠٣٢هـــ) والتي أستشهد فيها ولده علـــي بن القاسم بن محمد[٣] يقول الحبشي (كانت دعوته من محل في حجور يعـــرف بحديد قاره شمالي الشرف فأجابه أعيان تلك الجهات وإستطاع القاسم أن يـــهزم الأتراك في بلاد الشرف الأمير حسين بن ناصر ثم داهمه الأتراك في حديـــد قارة وكانت منطلقاً له للتوغل إلى عدة مناطق وواصل الغاره على عذر ودخل الحيمة وشاطب وحصن السوده وحقق إنتصارات حاسمة دعت الباشا حســـن إلى طلب النجدة من مصر وإستانبول ورغم هزيمة بعض أصحاب القاســـم إلا أنه نجا وفر إلى جبال برط ومن ثم حدث الصلح مع الدولة العثمانيـــة علـــى إقرارة بما تحت يده لمدة عشر سنوات وأن يعترف بسلطتهم على اليمن وكـــان

(١) الجهاد: تعتبر الزيديه الحرب على الأتراك جهاداً ضد الظلمة ولهذا كانت من أهم مهام الائمة المتعـــاقبين في اليمن النهوض للجهاد على الظلمة ومنهم الأتراك.
(٢) التحف شرح الزلف/ ٣٢٠، الإعلام/ ٥/١٨٣، البدر الطالع/ ٢/٤٧، بلوغ المرام/ ٦٥.
(٣) كان علي بن القاسم سيداً نبيلاً سرياً جليلاً عارفاً شارك والده في حروبه وكانت الأتراك تهابه وله معـــهم ملاحم عديدة.

ذلك قبل عام من وفاته[١].

وفي عهد الإمام المنصور القاسم بن محمد كان الإمام المتوكل علـى الله / عبدالله بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن الملقب (أبا علامـة) قد دعا لنفسه سنة (٩٤٤هـ) إلا أنه لم يحدث بينهما خلاف فقـد إسـتطاعت الدولة القاسمية لعب دور قوي على المسرح السياسي أضعف دور الآخرين.

المؤيد وجلاء الأتراك:

وعقب وفاة الإمام القاسم (١٠٢٩هـ) تولي الإمامة الإمام المؤيد/ محمـد بن القاسم بن محمد وهو من أعظم أئمة اليمن قاد حروب عديده ضد الأتـراك في اليمن وإستطاع أن يقيم دولة مركزيه موحدة قوية فرضت هيبتها وسـلطتها على كل مناطق اليمن وللقاضي / عبدالحميد المعافى السودي في الإمام المؤيـد بالله محمد بن القاسم:-

أيا رأيه أصبحت في الحسن آيـه — وفاق على الأعلام حسنك عن يـد

قرنت بنصر الله حين صنعت لـلإ — مـام أمـير المؤمنـين المؤيـد

إمام جلى جيد الكمـال بجـوده — محمد بن القاسـم بـن محمـد[٢]

وقال عنه الحبشي في مصادره:-

وبعد وفاة الإمام القاسم بن محمد سنة (١٠٢٩هـ) تولى الإمـام المؤيـد محمد بن القاسم بن علي والذي أقر إتفاق الأتراك مع والده ثـم وجـه أخـوه الحسن بن القاسم لإخماد الثورة في صعده ثم وجهه إلى ناحية فيفا من تهامـة، وكان الأتراك قد قتلوا الموالين للإمام المؤيد في صنعاء سنة (١٠٣٦هـ) ممـا دفعه إلى نقض الصلح والدخول في معارك وحروب طويلـة انتـهت بطـرد الأتراك العثمانيين من اليمن سنة (١٠٤٥هـ).

---

(١) مصادر الفكر/ ٦١٠، البدر الطالع/ ١٦٨.

(٢) ملحق البدر الطالع/ ١٦٦.

صعده في دولة آل القاسم:

وقد كانت صعده في عهد المؤيد لإخيه أحمد بن القاسم بن محمد (أبو طالب) وعندما تولى الإمامة المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم سنة (١٠٥٤هـ[1]) أقره على صعده ومخاليفها فكان من أعظم الرجال والحكام العظام وله مآثر وأخبار تدل على عظمة القدر والهيبة في الصدر، ويقول الزركلي في تراجم الإعلام: (إن محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد المتوفي سنة ١٠٧٩هـ أحد أمراء آل القاسم ولي صعده ونواحيها ثم أضاف أن ولايته إتسعت فكان يتردد بين ذمار وصنعاء حتى توفي وكان يلقب بالإمام)، والذي يتضح أن ولاية صعده قد اسندت لفتره معينة قبل أحمد بن القاسم إلى إبن أخيه محمد بن الحسن بن القاسم.

وقد خلفه أميراً على صعده ولده الإمام الداعي علي بن أحمد بن القاسم سنة (١٠٦٦هـ) وكان فاضلاً جمع بين العلم والرياسة والشجاعة والفراسة وقد أقامه المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم مقام أبيه فتولي صعده وبلادها فساسها وضبطها مع كمال وإقدام وحزم[2].

وكان صارماً حازماً في أوائل عهده قام بحبس عدد من العلماء بصعده في مقدمتهم العلامة يحيى بن الحاج بن عواض والقاضي / إسماعيل بن محمد العبدي، وقد قتل في عهده الحسين بن ناصر المهلا سنة (١١١١هـ) حداً والساحر إبراهيم بن علي المحطوري في رجب (١١١١هـ) بعد أن ظفر

---

(١) الإعلام/ ٢٥٩/٤، ملحق البدر الطالع/ م/١٥٦، نشر العرف/ ١٨٤/٢، بغية الأماني والأمل. وفي نشر العرف ٤٥٨ قال زبارة: أشار في روضة الباسم النظير بذيل بسامة السيد صارم الدين الوزير إلى دعوة المولى علي بن أحمد بن القاسم بصعده عقب وفاة الإمام المؤيد محمد بن القاسم بقولة:-

ثم استطار شجار في الخلافة إذ ... سرى الخلاف كسري النار في الشجر
بصعده ورداع واللحيه بل ... وكوكبان وضوران وفي خمر

(٢) الإعلام ٨٩/٦.

به[١]، (كما قال صاحب نفحات العنبر) وبرغم علاقاته الطيبه مع عمه المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم الذي كان يجله ويحترمة إلا أن جماعـــه مــن آل المتوكل رفعوا إلى الإمام بمخالفته لإرادته فرفع يده عنه ثم عزله وولى ولــده الحسن بن المتوكل ولم يبق له أمر ولا نهي فحالف القبائل وكانوا يحبونه فنبـذ طاعة عمه المتوكل وخرجت أكثر القبائل معه ولم يتبق للمتوكل إلا السكه فـي جهات صعده[٢] وبعد وفاة المتوكل قام الإمام المهدي أحمد بــن الحســن بـن القاسم فتبعه علي بن أحمد حتى توفي المهدي[٣] فدعا أمير صعده لنفسه دعـوة ثانية ثم بايع الإمام محمد بن المتوكل واستمر متولياً لبلاد صعده ثم بايع بعــد ذلك المهدي (صاحب المواهب) ثم إعترضه. وبعد إعتراضـــة قـام الداعـي بالدعوة لنفسه وخطب له في جهات صعده وضربت السكه باسمة. ثم خـــرج بجموع كثيرة من القبائل من صعده إلــى صنعــاء لمهاجمتــها وأجمــع رأي إسماعيل بن المهدي وعمه المحسن أحمد بن الحسن على تغليق أبواب صنعـاء وإنحصارهم فيها مع إشتغال المهدي صاحب المواهب بقتال قبائل يافع ولبــث المولى علي بن أحمد بن القاسم في الجراف بصنعاء نحو شهرين حتى عــرف من أحوال بعض أعوانه من رؤوساء القبائل في حاشد وبكيـــل أنــهم ربمـا أنحرفوا عنه ومالوا إلى المهدي فأسرع بالعودة إلى صعده[٤].

.. ثم أن المهدي صاحب المواهب جهز بعد ذلك صنوه المحســن وولــده إسماعيل في جنود متكاثرة إلى صعده وكانت طريقهم ثلاء وعمران والســوده حتى وصلوا إلى خارج صعده فكانت معركة عظيمة انهزمت فيها قبل صعــده

---

(١) المحطوري: صاحب أكبر فتنه في اليمن بلغ القتلى خلال مدة قيامة التي لا تتجاوز ٣ أشـــهر ٢٠,٠٠٠ شخص (الإعلام ١/٥٤).
(٢) وفي عهد المتوكل على الله إسماعيل قام الإمام الناصر لدين الله إبراهيم بن محمد المؤيدي الملقب (حوريــه) سنة ١٠٥٤هـ إلا أنه نظر في إصلاح أمة جده فسلم الأمر للمتوكل على الله إسماعيل ثم رحل إلى برط وقام بها مدة ثم عاد إلى صعده وأقام بها حتى توفي سنة ١٠٨٣هـ (التحف شرح الزلف ٣٨٨).
(٣) بعد وفاة المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم قام بالدعوة أيضا الإمام محمد بن علي الغرباني الذي كانت وفاته سنة ١١٢٦هـ وقبره بالمشهد اليحيوي التحف شرح الزلف ٣٣٨، إلا أن صعده وبلادهـــا ظلــت خاضعة لنفوذ الإمام الداعي علي بن أحمد بن القاسم وولده الحسين بن علي من بعدة.
(٤) الإعلام ٢/٢٤٧، نشر العرف ١/٥٧٢.

وخرج علي بن أحمد بن القاسم إلى حصن أم ليلى تاركاً أهله وأولاده وماله بصعده وذلت القبائل الشاميه قال الفقيه سعيد السمحي يذكر فرار علي بن أحمد والحسن بن المتوكل إسماعيل بن القاسم بقوله:-

لله در الناصر الملك الذي قهر الملوك وقادهم للحين
لما يقم حسنٌ على ساقٍ له وعلي لم يلبث على ساقين

وفي سنة ١١٠٤هـ اشتدت وطأه الجند الناصري المهدوي على أهل صعده وبلادها وتغافل الأمراء عن الإنظار ظناً أنه من السهوان والأصغار فنفرت القبائل وتحزبت وعادت لمحاصرة صعده وجند المهدي من كل الجهات. واقبل علي بن أحمد بن القاسم في جموع من قبائل صعده والقبائل الشاميه واحاطوا بصعده وكانت معركة وهى فيها الجليد وذهل منها الشجاع الصنديد وطاحت الهامات أكثر من الف قتيل ولم يبق للحيله والتدبير مجال ولازم أهل بلاد صعده حرب أولاد المهدي من خلف ومن أمام ولما صار أصحاب المهدي بمحل يقال له "العيون" قرب صعده اشتعلت نار الحرب وقتل فيها اسماعيل بن المهدي سنة ١١٠٤هـ. قال القاضي علي بن محمد العنسي موريًا بالعيون:-

راح قتيلاً بالعيون الضياء وذاق فيها الموت ريب المنون
لهفي له من مغرم بالعلا يا مغرماً راح قتيل العيون

وأستمر علي بن أحمدبن القاسم على ولايه صعده وبلادها حتى توفي سنة ١١٢١هـ[1].

.. وجاء من بعده ولده الحسين بن علي بن أحمد بن القاسم وكان متولياً لبلاد رازح في عهد والده وعندما توفي والده عاد إلى صعدة سنة ١١٢١هـ ودعا لنفسه وتلقب بالمؤيد وبايعه أهل صعده وقبائلها فأستمر حتى ١١٢٤هـ

(١) نشر العرف/ ١٢/٣٩٣/٣٩٤.

ثم خلع نفسه وبايع الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم ثم توفي مسموماً بعد ذلك[١].

أحمد بن هاشم:

وفي غمرة الاحداث ومع بداية النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري وبناءً على طلب عدد من كبار علماء صعده منهم القاضي / عبدالله بن علي الغالبي وصل إلى صعده الإمام المنصور أحمد بن هاشم فتمت البيعه له وخرج من صعده لإخضاع المناطق اليمنيه وشكلت قبائل خولان ركيزه جيوشه في هذا الخروج.

يقول صاحب البدر الطالع:- وفي سنة ١٢٥١هـ هاجر من صنعاء إلى صعده الإمام المنصور أحمد بن هاشم[٢] مع عدد من مشائخه الإعلام ثم عاد إلى صنعاء وفي شعبان سنة ١٢٦٤هـ رجع ومعه عدد من العلماء بعد أن طلب وصوله عدد من كبار علماء العصر منهم شيخة القاضي العلامة / عبدالله بن علي الغالبي لبحث تنصيب إمام فتم مبايعته ودعوته بمدينة صعده في ذلك الوقت ثم خرج من صعده سنة ١٢٦٥هـ إلى هجرة حوث وخمر وعمران وإنتقل إلى مسيب من بلاد حضور[٣] بعد أن تمكن من محاصرة صنعاء والإستيلاء عليها في حادثة أرخها المؤرخون ونظم فيها الشعراء.

فقال السيد الأديب أحمد بن شرف الدين القارة مؤرخاً ذلك:-

---

(١) الإعلام/ ٢٤٧/٢، نشر العرف/ ٥٧٢/١.

(٢) أحمد بن هاشم: هو أحمد بن هاشم بن محسن بن قاسم بن إسماعيل بن حسين بن عز الدين بن المهدي بن الناصر بن محارس بن الناصر بن عبدالله أحمد بن حمزة بن إبن القاسم بن محمد بن جعفر ينتهي نسبه إلى الإمام الهادي يحي بن الحسين، نشاء بقرية ويس من بلاد كوكبان وهاجر إلى الروضة وصنعاء وغيرها وأخذ عن السيد العلامة عبدالكريم عبدالله أبو طالب والقاضي العلامة عبدالله بن علي الغالبي والقاضي أحمد بن عبدالرحمن مجاهد والقاضي أحمدبن إسماعيل العلفي وآخرين (نيل الوطر ٢٣٥/١، الإعلام ٢٦٥/١، البدر الطالع).

(٣) مسيب: من بلاد حضور المعروفة اليوم ببني مطر وتقع مسيب بين بوعان وسوق الأمان وهي قرية مشهورة بزراعة البن والقات.

رمـــت لمـــا أحمـــد داعـــي الأمـــه عـــن يـــد
بائعـــاً مـــن ربـــه النفـــس ليعطـــي الخلـــد في غـــد
أن أديـــر الفكـــر في فـــأ ل عســـى بالفـــأل أســـعد
وإذا أبصـــرت مـــن قـــرب كـــرر القـــول وردد
قـــال أرخ فـــرج الله علـــى الخلـــق بـــأحمد

وقد أشار السيد العلامة المؤرخ محمد بن إسماعيل الكبسي رحمة الله فـي تتمه البسامة إلى ذكر خروج الإمام أحمد بن هاشم ومحاصرته صنعاء فقال:-

وقام بالدعوة المنصـــور أحمـــد مـــن حاز المعـــارف في فقـــه وفي أثـــر
فانقاد للإمر أهل الشام[1] واحتملـــوا أمر الأمامة في بـــدو وفي حضـــر
وطاب في صعده الفيحا القـــرار لـــه في عصبة وزرنا هيـــك مـــن زور
ثم أفسد الناس من في قلبـــه مـــرض وقاد قومـــاً وارداهـــم إلى ســـقر
وناصب القائم المنصور واجتلب الـــ طغاة تحمي على صاع من الفطـــر
فلم يطب للإمـــام المكـــث في بلـــد لا يفقهون حقوق السادة الطـــهر
فقابلته المـــلا بـــالرحب وانفرجـــت عنـــه الشـــدائد إذ وافي إلى خمـــر
وكـــاتبت أرض عمـــران فســـاعدها فجادها هاطلات الجـــون بـــالمطر
فارتاع من كان في صنعاء واقبـــل في جيش لهام كعـــد الطـــش منتشـــر
فقـــام في وجهـــه غـــر غطارفـــه في حي همدان والسادات من حضـــر
وســـل وقـــائع بـــالمخلاف شـــاهده في مسيب فشذاها غـــير مســـتتر
وحاصرت خيله صنعاء وساعدها الـــ فتح المبين علـــى فيناهـــا النضـــر

وقد وصلت إليه آنذاك بيعه أهل الروضه وبلاد ذمار وضـــوران وبعـــد دخوله صنعاء إستقر بها إلى شهر صفر سنة ١٢٦٧هـــ حيث أظهر التوابـــع من الجند الشقاق والعصيان بسبب ما يطلبونه من المعاش والجامكيه المقـــرزه

(١) أهل الشام: أهل صعده ويسمون بلاد صعده (لواء الشام) حتى مابعد قيام الثورة اليمنيـــة ٢٦ســـبتمبر ١٩٦٢م بعقدين.

فخرج مع بعض أصحابه لدفعهم وكان من أهل ضلاع مدان والوادي وسنحان العدوان وقطع طريق صنعاء والرمي إلى بابها فأضطر الإمام أحمد بن هاشم إلى خروجه في ٢٥ ربيع الآخر من السنة نفسها إلى هجرة دار أعلا من بلاد أرحب[١] وظل بها حتى توفي في ١٩ شعبان ١٢٦٩هـ ورثاه جامع سيرته الفقيه العلامة محمد بن علي وحيش[٢] رحمة الله بقيصده أولها:-

الا فلهذا الخطب فلينفذ الصبر	وفي مثل هذا الشأن فليعظم الأمر
فقد هدر كن الدين موت أمامنا	صفي الهدى فارتاع من طبعه الصبر
أمام الهدى المنصور أحمد من نمى	به من مضر الحمرا جحاجحه غر
أمام علوم قائدا لجحافل	كريم أصول فرعة طاب والخبر

....إلى آخرها

وقد كانت أكثر القبائل التي ناصرت الإمام أحمدبن هاشم هي قبائل خولان عامر وقليل من الربيعه بن سعد (سحار) وقد خلدهم بشعره السيد أحمد بن محمد الحازمي[٣] التهامي بقصيده قال فيها:-

لك التهاني وللأعداء أحزان	إذ صار جندك جند الله خولان
لا غروان يضحك الدهر العبوس فقد	قامت لذلك آيات وبرهان
هذي الإمارات للمرجو مظهره	أما يكنه وإلا فهي عنوان
دوخ بسيفك ما أملت مبلغه	وبعد ذاك فمنك الدهر رعبان
وجندك الشم (خولان) فنعم هم	ففردهم أسد في الروع غضبان
بـ(شعب حي) وما حي لقد بلغوا	من المكارم مالم تأت قحطان

(١) الإعلام ٢٦٥/١، نيل الوطر ٢٣٦/٢.

(٢) جامع سيرته: يشير إلى الفقيه محمد بن علي وحيش والصحيح مهذب سيرته إذ أن جامعها هو السيد علي بن حسن الحجازي الصعدي والفقيه العلامة محمد بن إسماعيل الخياني.

(٣) السيد العلامة أحمد بن محمد الحازمي التهامي رحمة الله كان عالماً محققاً أصولياً أديباً أريباً أخذ عن القاضي العلامة شيخ الإسلام عبدالله بن علي الغالبي وغيره وصحب الإمام أحمد بن هاشم وكان من أجل أنصاره وأعيان أصحابه وأعوانه في جهات صعده سنة ١٢٥٦هـ.

ونعم (حـــي زبيـــد) الشـــم أنهـــم أهل الحفاظ ونعم الحـــي (مـــران)
هـــم الحمـــاه لديـــن الله ينصرنـــــا منهم كماة وكأس المـــوت مـــلآن
سايل (ذويباً) كذا (آل العليف) لقـــد نال الهـــوان لهـــم مـــادام هُـــلان
فمن قتيـــل تـــدق صـــار تنهشـــه عرج الضباع وغربـــان وعقبـــان
ومن جريح خفوق القلب إن ذكـــرت حرب تذوب وكل الدهر ولهـــان
هذا جزاء لمـــن خـــان العـــهود وفي يـــوم القيامـــة تشـــوية ونـــيران
ياشم خولان حـــزتم كـــل مفخـــرة دون الأنام فطرق اللـــوم وســـنان
أما (سحار) فنعم القوم لو نصحـــوا لكن تعاموا فهم خـــرس وعميـــان
إلا قليـــل أولى ديـــن جحاجحـــــة ما أن لهم عند حوم الموت أقـــران
لا يرهبون حيـــاض المـــوت مبرقـــه وحفـــها ردم بـــاروت وهـــران
ياريتهم تركـــوا داء النفـــاق فمـــا لفـــاجر قـــد أتـــاه قـــط إيمـــان

ومنها يحث على نصره الإمام أحمد بن هاشم يقول:-

هذا هو القائم المنصور فاســـتبقوا للفوز وإجتنبوا ما قـــال شـــيطان
فإنه ظـــاهر لا شـــك فـــاغتنموا فالعزو السيف أخـــوان وأقـــران
فلتهن ياسيد مـــا أن لـــه مثـــل بنصر مولاك والأمـــلاك أعـــوان
وهكذا ما حييت الدهر عن كمـــل لك التهاني وللأعـــداء أحـــزان

آل حميد الدين وجلاء الأتراك:

وبعد وفاة الإمام المنصور أحمدبن هاشم سنة (١٢٦٧هـ) قـام بـالدعوة الإ'مام العالم المنصور بالله محمد بن عبدالله الوزير سنة (١٢٧٠هـ) وتوالـى بعده عدد من الأئمة الذين دعوا في بلاد صعده أمثال الإمـــام شـرف الديـن الأخير (محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن) الذي قام سنة (١٢٦٩هــــ) وأقـام بمركز السناره حتى توفي سنة (١٣٠٧هـ) ونقل جثمانه إلـى المـدان إلا أن هؤلاء الأئمة كانوا علماء أكثر من ساسة وكان نزوعهم العلمـــي أكـثر مـن

النزوع السياسي فتضاءل دورهم على الساحة السياسية حتى بروز الإمام المنصور بالله / محمد بن يحيى حميد الدين الذي خرج من صنعاء إلى جهات صعده سنة (١٣٠٧هـ) فاجتمع عنده عدد من العلماء الأعلام منهم عالم العتره / عبدالله بن أحمد العنثري البصير، وشيخ الإسلام محمد بن عبدالله الغالبي والعالم الرباني الحسين بن محمد الحوثي وشمس الدين أحمد بن إبراهيم الهاشمي وكان في أعناقهم بيعه للإمام المهدي فأرسلوا عدداً من العلماء منهم السيد العلامة الحافظ أحمد بن يحيى العجري والقاضي العلامة إبراهيم بن عبدالله الغالبي إلى مقام الإمام المهدي / محمد بن القاسم الحوثي الذي أذن للإمام المنصور بالتقدم للجهاد في سبيل الله على شروط ومواثيق[1] معينه، فتمت البيعه للإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين بصعده ويقول السيد مجد الدين في التحف أن البيعه لم تتم وتوجه لمجاهدة وحرب الأتراك دون بيعه، وقد كان له مواقع وحروب مع الأتراك في صنعاء وسائر الجهات وتوفي سنة (١٣٢٢هـ).

وبعد وفاة المنصور محمد بن يحيى حميد الدين قام بعده سنة (١٣٢٢هـ) الإمام المتوكل على الله / يحيى بن محمد حميد الدين وكانت صنعاء في أيدي الأتراك فهاجمها وحاصرها فاستسلمت حاميتها ودخلها فأعادوا الكره عليها فإنسحب منها رأفه بأهلها، وواصل القتال في آنس وقرية الحمودي والأشمور وخولان وسنحان ورجام والحيمة وصنعه[2] (من بلاد ذمار) إلى سنة (١٣٢٦هـ) فعُزل الوالي التركي (أحمد فيضي باشا) وكان قاسياً عنيفاً وعين حسين تحسين باشا فكان عاقلاً فإتفق مع الإمام يحيى أن لا يعتدي أحدهم على الأخر فهدأت المعارك وعزل حسن تحسين باشا سنة (١٣٢٨هـ) وعين والي يدعى/ محمد علي باشا لا يقل قسوة عن أحمد فيضي فعادت الحروب وحوصر الترك في صنعاء وإشتدت المعارك ولقيت الجيوش العثمانية الشدائد

---

(١) التحف شرح الزلف ٣٧٩-٣٨٠، الإعلام ٢٤٣/٦، بلوغ المرام ٧٩.
(٢) صنعه: في بلاد أنس بذمار (الحجري ٥٤٧، تاريخ العزب ٤٨).

في تلك الديار فأرسلت حكومه الآستانه وفداً برئاسة عزت باشا فإتفق مع الأمام يحيى الذي كان في السوده شمال صنعاء آنذاك على الإجتماع في (دعان)[١] وأمضيا شروط لصلح[٢].

وانتهى الأمر بجلاء الأتراك من اليمن سنة (١٣٣٦هـ)[٣] ودخل الإمام صنعاء وخلص له ملك اليمن إستقلالاً وطالت أيامه وهو كما قال أحد الكتاب في وصفه (كل شيء في اليمن ومرجع كل أمر دق أوجل وما عداه من عمال وحكام، أشباح لاشخوص وكان يرى الإستبداد في الحكم خيراً من الشورى حتى ضاق صدور الناس ومنهم الطامع بالعرش والمتذمر من القمع والراغب بالإصلاح) فتألفت جماعات في السر لمناهضته وتكونت ثورة الدستور بزعامة عبدالله بن أحمد الوزير وبتعاون من ولد الإمام سيف الدين إبراهيم وتشكلت حكومه جديدة في مرضه إلا أنه شفي وكشف التأمر عليه فقيدوا إلى السجون وإلى ساحات الإعدام بعد ذلك وأما الإمام يحيى فقد تعرض لعملية إغتيال على يد مجموعة من رموز القبائل في طليعتهم الشيخ / علي بن ناصر القردعي سنة (١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م) في منطقة سواد حزيز أدت إلى مقتله ومعه رئيس وزرائه القاضي العمري ودفن في مقبرة كان قد أعدها لنفسه من قبل[٤].

وكان الإمام يحيى شديد الحذر من الأجانب أثر العزله والإنكماش في حدود بلاده ومن كلامه (لأن تبقى بلادي خربه وهي تحكم نفسها أولى من أن تكون عامره ويحكمها أجنبي)[٥] قال الزركلي في ترجمته (واليمن اليوم مدين

---

(١) دعان: في الشمال الغربي من عمران من قرى الجبل المشهور بجبل عيال يزيد (العزب ٧٠).
(٢) شروط الصلح: أوردها الواسعي في تاريخ اليمن ٢٣٤ والعزب في تاريخ اليمن الحديث ٧١-٧٥.
(٣) يقول السيد مجد الدين المؤيدي في التحف شرح الزلف (وفي أيام الإمام المتوكل على الله يحي حميد الدين تمت النعمة الكبرى والمنه العظمى بإخراج الأتراك وجلاءهم عن اليمن) وهي الهدف الأسمى والأكبر الذي جاهد من أجله أئمة زيدية المتعاقبين منذ دخول الأتراك اليمن، التحف/ ٣٩٠.
(٤) الإعلام ٨/١٧٠-١٧١، تاريخ اليمن ٢٣٦، ملوك العرب ١/١٠-١٩٦، تحفه الأخوان ٤٣، التحف ٣٩٠-٣٩١. (تاريخ اليمن الحديث فترة خروج العثمانيين الأخير لعبدالله العزب/ ٤٥-٥٢).
(٥) الإعلام ٨/١٧١.

له بإستقلاله). وكان للإمام يحيى مكانه عالية لدى العرب كرمز للتحرر وهـذا يتضح في رثاء عدد من كبار الشعراء داخل اليمن وخارجه منهم أحمد شـوقي باشا أمير الشعراء أحد أولاده فقال:-

مضى الدهر يابن إمام اليمـن واودي بزيـن شـباب الزمـن
فتى كاسمه كان سـيف الإلـه وسيف الرسول وسيف الوطـن
متى صرت يابحر غمد السيوف وكنا عهدناك غمـد السـفن؟!
ظفـرت بجوهـرة فـذة من الشرف العبقـري الثمـن
شهيد المـروءة كـان البقيـع أحق بـه مـن تـراب اليمـن

وكان الإمام الهادي لدين الله الحسن يحيى القاسمي المتوفي (١٣٤٣هـ) قد تزامنت دعوته مع دعوة الإمام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين[1] إلا أن ظهور دولة آل حميد الدين وقوة الشخصيه للإمام المتوكل وسياسته الحازمـة الصارمه قد كفلت له الحكم المطلق لليمن حتى وفاته، وتمكـن بعـد حـروب عديده من القضاء على ثورة القاسمي سنة (١٣٢٨هـ)[2] كما سيتضح بعد في (صراع القاسمي وآل حميد الدين).

وقد ولي الإمامة بعده الإمام الناصر/ أحمد بن يحيى حميد الديـن سـنة (١٣٦٧هـ) وكان الكثير من أفراد الشعب ورموزة ومثقفيه ومشـايخ القبـل يطمعون في الإصلاح في عهدة وتصحيح أوضاع البلاد إلا أن الناصر أحمـد بن يحيى حكم البلاد بالحديد والنار فقمع الحركات وزج بالعلمـاء والمشـائخ والمثقفين وضباط الجيش المناهضين لسياسته في غيـاهب السـجون وسـقط المئات على يد (الوشاح) و(الباروت[3]) في ميدان شراره وحورة وتعـز ولـم يعباء للنصائح والإنتقادات وتمكن من إفشال إنقـلاب (١٩٥٥م) الـذي قـاده

(١) التحف شرح الزلف ٣٩٢-٣٩٤.
(٢) الأعلام ٢٧١/١، تحفة الاخوان ٣٢-٣٧-٥٥، التحف ٣٩٤.
(٣) الوشاح والباروت: جلادي الإمامة اللذان اسقطا بسيوفهما هامات الثوار الأحرار من أبناء اليمن.

المقدم/ أحمد بن يحيى الثلايا[1] فأعدمه وفي سنة (١٩٥٩م) حدث إنقلاباً آخر في مستشفى العلفي بالحديده على يد/ محمد بن عبدالله العلفي وعبدالله اللقية ومحسن الهندوانه إذ تعرض الإمام لوابل من الرصاص أصابته إصابة قاتلة فظل طريح الفراش حتى توفي سنة (١٩٦١م-١٣٨٢هـ) وقام بعده ولده البدر محمد بن أحمد بن يحيى حميد الدين سنة (١٩٦١م) في وقت كان الشعب والأحرار ينتظرون تعديل لهجته وسياسة حكمة عن سلفة إلا أنه أكد أنه سائر على منوال أبيه فبادره الأحرار صبيحة الخميس ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م وأسقطوا دولة آل حميد الدين وفر البدر إلى خارج البلاد لتقوم بعد ذلك (الجمهورية العربية اليمنية) نظام الثورة برئاسة المشير / عبدالله السلال.

... وأقول (لو إستجابة آل حميد الدين لمطالب الشعب ورغباته ما قامت الثورة ولظلوا حكاماً لليمن لامتلاكهم مقومات الزعامة الحقة والكفاءة والإقتدار السياسي.

صراع القاسمي وآل حميد الدين:

... يقول المؤرخ الأديب / عبدالله محسن العزب[2] في تاريخ اليمن الحديث (فترة خروج العثمانيين الأخير) وقد كان من مبادئ زحف القوات العثمانية على شهارة تفكير بعض الزعماء في شأن القاسمي الداعي في بلاد الشام ورأوا إن من الحزم إعادة التفاهم معه وحسم الخلاف فكتبوا إلىالقاسمي إنا رأينا تحكيم اربعه من خيرة العلماء أولى الحزم وما قرروه وأجمعوا عليه كان إتباعه فأعلن القاسمي موافقتة ثم عرض الأمر على الإمام فقال هذا ما كنا نبغي وسارع إلى الوفاق ولما علم القاسمي أن رجال التحكيم قد إستعدوا للنظر في الخلاف أعلن أنه لن يرضى بحكم أحد وأن الزعامة لا تقبل التحكيم ورأى

---

(١) أحمد الثلايا: بطل حركة ١٩٥٥م وصاحب المقوله الشهيرة في ميدان الإعدام "كل ما عملت ليس من أجلي وإنما من أجل هذا الشعب العاري الحافي فلعن الله شعباً أردت له الحياة واراد لي الموت.

(٢) عبدالله العزب: ثائر وأديب ومؤرخ ولد في قرية السفياني من قرى الحيمة الداخلية صنعاء توفي سنة ١٩٤٤م.

قبائل خولان وسحار وجماعة وغيرها سامعة له ومطيعة فإنخدع بما سـولته نفسه وأصر على الشقاق.

وبعد إنتهاء معركة شهارة أخذ الإمام في وضع الخطـط وإعـداد العـدة لمنازلة القاسمي وإرجاع بلاد الشام إلى حظيرة الطاعة وموقف الجماعة لأنـها واقعة خلف مراكز حركات الدفاع اللآتي يديرها جلالة الإمام ضـد الأتـراك العثمانيين.

وما أطل شهر ذي الحجة الحرام من سنة ١٣٢٥هـ إلا وطلائع القـوات الإمامية قد وصلت (ساقين) أهم المراكز الشامية وأخذت تناوش قوات القاسمي وفي (الكرب) كانت معركة إشتبك فيها الفريقان عدة أيـام وجمـع القاسـمي جيوشاً جرارة لكن قوات الإمام ثبتت حتى وافاهم المدد من (حجـور وبكيـل) تحت رئاسة الشرفي فكان هذا الثبات سبباً في إنقياد القبائل ورجوعها إلى رأي الجماعة فانقادت (الكرب) وكثير من سحار وشعر القاسمي بحرج في موقفـه لكنه أصر على عناده رغم التنازلات التي قدمها الإمام فقد ضمـن لـه بقـاء زعامته وتوفير مادته وتدعيم نفوذه في الجهات الموالية له إن هو فـاء إلـى الوفاق وانخرط في سلك الجماعة إلا أنه أبى فكانت القوة هي الكلمة الفاصلـة وهي الصوت المسموع.

وبرغم أن السيد أحمد بن إبراهيم الهاشمي من أعيان صعـده وعلمائـها وصل في وفد إلى الإمام في ربيع الأول سنة (١٣٢٤هـ) يحملون نبـأ عقـد هدنة مع القاسمي إلى شهر رمضان وعادت الجيوش وقوات الإمام إلى مقراتها إلا أن ذلك لم يجد نفعاً وفي شهر ذي الحجة من العام نفسه جهز الإمام عصابه ذات شأن إلى (ساقين) من بلاد الشام[١]. مدداً للسيد الزعيم أحمد بن قاسم حميد الدين ومدفعاً وأسلحة بعد أن إتسع ميدان العمل في الشام بين قائد جيش الإمـام والثائر الداعي السيد حسن بن يحيى القاسمي ووصل إلى الإمام طائفة من كبار

---

(١) تاريخ اليمن الحديث (فترة خروج العثمانيين الأخير) ٢٠-٢١.

رجال خولان بن عامر من بلاد الشام. ويضيف الإديب المؤرخ/ عبدالله العزب في كتابه (تاريخ اليمن الحديث) فترة خروج العثمانيين الأخير من اليمن قائلاً:-

(وظل النزاع قائماً في بلاد الشام (صعده)[١] وما يتبعها من قبائل (رازح، سحار، خولان، جماعه) وكان الثائر السيد القاسمي قد تكثرت جموعه وتطاولت أركانه وفي المعارك المتوالية ضرب الحصار على السيد عبدالله بن القاسم أخي القائد العام لقوات الإمام في صعده وكان حصاره في (زبيِّد)[٢] على غفلة وتعذر فك الحصار فكان من الاسباب الداعية إلى التفكير في الأمر وبعد مذكرات ومحاورات بين قائد قوات الإمام في تلك الديار وبين رجال القاسمي تم اجتماع رأيهم على لقاء بين الإمام والقاسمي في هجرة (رحبان) وأن يحضر اللقاء رؤوس العلماء والأعيان في سائر البلاد وأخذ الرهائن والعهود والمواثيق خشية حصول غدر أو مكر من أشرار أو مفسدين ولما وصل الإقتراح للإمام شعر بأن تحوله إلى بلاد الشام له آثار سيئة في فترة الجهاد المنبثة في طول البلاد وعرضها لكنه أدرك أن رفضة قبول هذا الإقتراح مدعاة لدعاية واسعة للقاسمي وأعوانه فأسرع إلى الوفاق وأخذ معه جماعة من علماء ذمار وصنعاء وحوث وغيرها ووصل إلى (الصفراء)[٣] ثم تحول إلى (رحبان)[٤] وبينما الناس ينتظرون القاسمي للدخول في المفاوضة لإنهاء النزاع ترامت الأنباء عن إمتناع القاسمي وأنه غير واثق من نفسه للدخول في مفاوضة لينتهي بها أمر النزاع وتعدت المراسلات واختلفت الوفود والقاسمي لا يقبل رأياً بعد أن ظهر فشله وعجزه فانقادت كثير من القبائل لطاعة الإمام خوفاً من العواقب وعاد الإمام إلى مقره الذي يدير منه حركة

---

(١) بلاد الشام صعده وما حولها من المناطق الشمالية.

(٢) زبيِّد: وادي زبيد مشهور على مقربة من مدينة حيدان غرب صعده بـ ٦٠كم.

(٣) الصفراء: من بلاد همدان وهي مركز القضاء جنوب صعده.

(٤) رحبان: أحد الهجر وهي مدينة اليوم جنوب صعده وتتبع إدارياً مديرية صعده.

الجهاد[١].

وفي الشهور الأولى لسنة (١٣٢٨هـ) دارت رحى حرب عنيفه في البلاد الشامية وبعد معارك حامية الوطيس تمكن الجيش الإمامي من الإستيلاء على هجرة (فلله) مقر الداعي القاسمي وسقطت الحصون الشامية والمحلات الهامة ووقع في الأسر ثلاثة من أعوان الثائر القاسمي أحدهم حسن بن حسين عدلان الفللي وتم إرسالهم إلى شهارة فأنزلوا تحت الرعاية مع ما لا قوة من عطف الإمام وحسن معاملته، وكان هذا الحادث الذي قضى على ثورة القاسم والقبائل الشامية في شهر رجب سنة (١٣٢٨هـ)[٢].

الصراع في الميدان الشامي[٣] بين الإمام والادريسي:

كان السيد محمد بن علي الادريسي من أنصار الدولة العثمانية واستطاع الحصول على تفويض بقيادة الجيوش وعينتة الحكومة التركية قائمقام لصبياء وأبي عريش، لكنة لم يلبث أن الب على الدولة العثمانية وأحتل مناطق عسير وجيزان فقاد الحسين بن علي شريف مكة قوة هزمت الادريسي وحاصرتة في جبل (فيفا) لكنة عاد إلى تهامة واستولى على (صبياء، ابي عريش) إبان إعلان الحرب بين تركيا وايطاليا واتفق مع الحكومة الإيطالية الذي امدته ببعض الذخيرة ثم عقد معاهدة صداقة مع الحكومة البريطانية جددت سنة ١٩١٧م، واعترفت له بريطانيا بالسيادة على تهامة من اللحية جنوباً حتى القنفذة شمالاً وتعهدت له بحمايتة مقابل عدم إقامة أي علاقات سياسية أو تجارية مع أي حكومة أجنبية، فاشتد ساعدة واستولى على الحديدة. وتعاهد مع الملك عبدالعزيز بن سعود[٤] على القيام معا لتأمين مصالح الجانبين[٥].

(١) العزب: تاريخ اليمن الحديث/ ٤٤-٤٥.
(٢) نفس المصدر/ ٥٧. والاثنان الآخران من أعوان القاسمي هما الشاذلي وشايم.
(٣) الميدان الشمالي ساحة الصراع بين الإمام يحيى حميد الدين والادريسي (صعده وما حولها من مناطق).
(٤) الملك عبدالعزيز بن سعود: ملك المملكة العربية السعودية الأول ومؤسسها وأحد رجالات الدهر وأعظم زعماء العرب في العصر الحديث ولد بالرياض ١٢٩٣هـ -١٨٧٦م أعلن توحيد وتسمية المملكة العربية السعودية في (١٣٥١هـ-١٩٣٢م) توفي بالطائف ودفن بالرياض (١٣٧٣هـ- ١٩٥٣م).
(٥) تاريخ اليمن الحديث (فترة خروج العثمانين الآخير) تاليف عبدالله محسن العزب/ ٨٣٠-٨٨.

ثم أقام السيد الادريسي علاقات وطيده مع ايطاليا سنة ١٣٢٩هـ في الوقت الذي كانت ايطاليا قد غدرت بطرابلس واندفعت ايطاليا بوعودها وامداداتها للادريسي للوقوف في وجه العثمانيين.

وزادات احلام الادريسي الذي أخذ يفرق الاسلحة والذخائر في عدد من المناطق التابعة للإمام يحيى محمد حميد الدين (في أطراف قبائل (جماعة، رازح) وأخذ يدبر المكائد ويستدعي رؤساء القبائل ويغمرهم بالأموال الطائلة ويعدهم ويمنيهم .... وما أطل هلال جماذي سنة ١٣٣٠هـ إلا والثورة قائمة مشبوبة في جماعة ورازح وشعار الادريسي مرفوع وسحار القبيلة الكبيرة تموج وتضطرب.

ولم يجد الإمام يحيى بد من الإقدام وخوض معركة حامية فأخذ يستنفر القبائل الشرقية من برط إلى الجوف حتى مارب ويجهز الجنود أرسالا إلى سيف الإسلام محمد بن الهادي قائد جيش الإمام في بلاد الشام والناظر العام في شؤونها وأمورها.

ولم يدع الإمام فرصة إلا وأنتهزها فساق كثير من الرؤساء والزعماء إلى بلاد الشام وواصل إليهم المدد والذخائر وواتر بعث الجنود كل هذا وقبائل الشام وجماعة ورازح وسحار تفور وتغلى ورجال الادريسي يوطدون اقدامهم في أطراف البلاد ويزودون القبائل بالأسلحة ويوفرون لهم العطايا والادريسي يواصل تفريق الأموال ويستجلب نفوس الرجال والمدد الايطالي يزداد(١).

وأخبر الأدريسي إيطاليا بحشود الإمام فبادرت إلى مراسلة الإمام وأخذت تطلب وده وتترجاه بعدم مقاومة السيد محمد وعدم التعرض له وذلك عبر سفارتها في مصر وسفارتها في عدن وأخذت تتوسل له والذي بدورة اشعر الإمام أن جزيرة العرب سائرة إلى نهاية مشؤمة وأن أوربا لن تدعها فزادت

---

(١) المصدر السابق/ ٨٨-٨٩.

قناعة الإمام بضرورة التصدي للإدريسي[١].

ولما رأت القيادة العثمانية قناعة الإمام بمحاربة الادريسي وأنه أخذ في إعداد العدة وتوفير الأهبة للجلاء والجهاد سارعت إلى عرض معونتها وبعثت بكميات غير قليلة من الذخيرة والسلاح ولما ازدادت خطورة السيد محمد واضطربت نواحي صعده أيما اضطراب أسرع الإمام إلى استنفار قبائل صنعاء المجاورة لها ونشر الدعوة في طول البلاد وعرضها واستدعىمن كل ارجاء البلاد وابدت تركيا استعدادها لتجهيز ثلاثة طوابير بكامل معداتها الحربية وادواتها تحت رأي وقيادة الإمام فقبلها الإمام واسرعت القيادة العثمانية إلى تقديم هذه الطوابير واعد الإمام من رجالة من يرافقها في سيرها إلى بلاد الشام (صعده) فاستمرت في سيرها حتى (ساقين) وقد تجمعت جنود كثيرة ولكن البلاء والشر استفحل واجمعت جماعة ورازح وكثير ممن سواهم على نصرة السيد محمد وتفانت في سبيل دعوته لما يغدق عليهم من وفير المال وهمت هذه القبائل بحصار (ساقين) مركز قائد جنود الإمام.

وبلغت هذه القوة العثمانية الديار الشامية وتجمعت جموع العرب تحت الويه زعماء الإمام أخذت القبائل تتحمس في غيها وتتفاني في بغيها وأول معركة دارت في (عرو)[٢] بين فريق من جنود الإمام وخصومهم وانجلت المعركة عن فرار الأعداء بعد مقتله ثم تجمعت جموع كثيرة إلى (شعب حي)[٣] والعينا ودارت بين الفريقين ملحمة هائلة نشطت فيها مدافع الفريقين واشتد فيها العراك وانكشفت بفرار الأعداء وانهزام مجموعهم وانتهت الجنود الإمامية إلى سوق الاثنين في أطراف (شعب حي) وغنم المجاهدون مغانم كبيرة وسلبوا من قرى خولان اشياء طائلة لا سيماء الأسلحة وفرت جموع رازح لا تلوي على شي ثم فترت همة جنود الإمامية ونشب سوء تفاهم بين

---

(١) تاريخ اليمن الحديث (فترة خروج العثمانيين الأخير /٨٩).
(٢) عرو: منطقة جبلية في بني بحر ساقين غرب هجرة فلله.
(٣) شعب حي: منطقة في قلب مديرية ساقين جنوب مدينة ساقين.

طوائف المجاهدين أدى إلى استجماع العدو لقواته واراد أن ينزل بهم ضربة قاصمة ويهاجم (صعده والسنارة والصمع (فسارع الإمام إلى تدبير الدفاع لقواته وتقوية وسائله ثم نشبت معارك في (الشط، والطويلة) من بلاد سحار واستمرت الحرب اياماً ثم كان انقضاض القوات الإمامية على (جماة بني بحر) ومن يتصل بها إلى أطراف جماعة وانزلوا بالباغين عقابا اليما وجرت معارك دامية في أطراف خولان بن عامر انتهت بفشل القبائل اصحاب السيد الادريسي[١] فاندفع الادريسي إلى فتح جبهة جديدة في السهل التهامي شملت بني مروان ومستبا والخميسين وبلاد حجور فانتقلت الجبهة إلى الميدان الجديد في ربيع الأول ١٣٣١هـ وتغلب جنود الإمام على كافة قبيلة سحار في ميدان الشام وسقطت الجوانب التي كانت موغلة في عنادها كآل حميدان وأهل الطلح والأبقور وأصيب ميدان الشام بتخاذل جموع من ذي غيلان وبني شاكر ومكرت فكان أحد أسباب ركود الميدان الشامي.

ولما انتهى الكفاح في سحار توجهت الجنود إلى جماعة وعرو ورازح ومن اتصل بهم تحت لواء الادريسي لكن الجنود الإمامية كانت قد قلت وأخذت الطوابير التركية تلح في تخلية سبيلها لتعود إلى صنعاء وتوقفت عن كل عمل[٢] إلا أن القوات الإماميه تجمعت في أخر رجب ١٣٣١هـ وأجمعت على مناجزة جماعة فاشتبك الفريقان في معركة انتهت بتخاذل كثير من جموع جماعة واشتبكت القوات الإمامية مع قبائل رازح في (العر والمصنعة) انتهت بانتصار القوات الإمامية التي استولت على جبل حرم الشاهق[٣].

.. وفي أول شعبان من هذا العام ١٣٣١هـ تحول الإمام من مقرة في القفلة إلى السودة وفيها عقد اجتماع سلم فيه الوالي العثماني منشوراً رسمياً (همايونيا) من الاستانة بالموافقة على (معاهدة دعان) التي أبرمها أحمد عزت

---

(١) تاريخ اليمن الحديث فترة خروج العثمانيين الأخير /٨٩. حسبما ذكر المؤرخ العزب.
(٢) تاريخ العزب /٩٦.
(٣) نفس المصدر السابق /٩٩.

باشا مع الإمام وتم الاتفاق مع الوالي محمود نديم على التظافر لمناجزة الادريسي وكسر شوكتة وتبديل الطوابير العثمانية بطوابير موسى الكاظم واعدلها الإمام مقومات الوصول من صنعاء إلى صعده حتى انتهت في البلاد الشامية.. وفي آلت حميدان جرت معركة حامية الوطيس بين القوات الإمامية وقبائل من سحار وجماعة انتهت بالاستيلاء على (آل حميدان، آل ذرية) ووقعت هجرة ضحيان في يد جنود الإمام واحاطوا بمجز، وفي الجهه الغربية استولى المجاهدون على الاشعاف والازوار واوغلت قبائل سحار في النكاية بقبائل جماعة وانزال الضربات المؤلمة بهم واصيبت بلاد جماعة بنكبة حربية قاسية أتت عليهم ومكنت القوات الإمامية من استعادة السيطرة الكلية على مختلف المناطق الشمالية وعموم البلاد الشامية صعدة ومناطقها لتضع حداً لأطماع الادريسي في هذه المناطق، وأمر الإمام القوات بالتوجه إلى جبل رازح فتوالت القوات الإمامية والعثمانية على جبل رازح وأحاطت به من كل جانب فاستولت على قلعة غمار مركز جبل رازح وأتمت سيطرتها على الجبل واتجهت صوب (عرو) وهاجمت (وادي معبار) وفيه دارت معركة حامية الوطيس انتهت بهزيمة جماعة بعد خسارة من الطريقين ثم هاجمت (صارة) لتكمل بذلك سيطرتها على المواقف في الميدان الشامي.

نُظار صعده في عهد آل حميد الدين(*)

ناظرة الشام في عهد الإمام يحيى حميد الدين: السيد العلامة محمد حسن الوادعي وكان مركزه السنارة وكان في النواحي والقضوات ناظرات منها:-

- ناظرة رازح العلامة إسماعيل حسن المداني، العلامة محمد أحمد الكحلاني.
- ناظرة ساقين العلامة حمود بن عبدالله الوشلي، العلامة يحيى أحمد حجر.

(*) قدم لنا هذه المعلومات الوالد القاضي أحمد قاسم المداني.

- ناظرة جماعة العلامة يحيى عبدالله شريم، العلامة عبدالله على الوادعي.
- ناظرة همدان الصفراء العلامة علي بن عبدالله الوادعي
- عامل منبه السيد علي بن حسين المؤيد.
- عامل كتاف السيد غالب بن فارس
- نائب شدا العلامة محسن أحمد أبو طالب.
- عامل الظاهر عبدالله الحمران.

نظار الشام أيام الإمام أحمد يحيى حميد الدين:-

- القاضي عبدالرحمن أحمد السياغي.
- القاضي أحمد بن محمد الشامي
- القاضي أحمد بن يحيى الكحلاني
- القاضي يحيى حسين شرف الدين
- القاضي حمود محمد الخاشب

نظار بلاد سحار في أيام الإمام أحمد حميد الدين:-

- القاضي علي بن أحمد الشامي
- القاضي يحيى علي الشامي
- القاضي عبد الرحمن محمد المداني

الفصل الثالث

صعده في ظل الثورة

التركيب القبلي القوي لقبائل صعده وظهور مشائخ بارزين على الساحة كان له الآثر الكبير في الأرتباط الوثيق مع زعماء ومشائخ القبل اليمنية الأخرى وخصوصاً مع آل الأحمر الشيخ حسين بن ناصر بن مبخوت الذي قتلة الإمام أحمد حميد الدين مع ولده الشيخ حميد بن حسين الأحمر بعد عودتة من روما فسجن عدد من مشائخ سحار وصعده عام كامل في السخنه وبعد قيام الثورة شهدت صعده تطورات متلاحقة وجرت على أراضيها معارك وحروب دامت سنوات بإعتبار صعده أخر محطات الملكية في اليمن والملاذ الأخير لبقية امراء آل حميد الدين فكانت مناطق سحار ووايلة ورازح مسرح للاحداث الهامة والحروب الطاحنة التي انتهت لصالح الجمهورية وترسيخ النظم الجمهورية في المناطق الشمالية برمتها مع نهاية ١٩٧٠م.

وتتمثل أحداث الثورة في صعده في:

- مناهضة الملكية (قبل الثورة).
- صراع الملكية والجمهورية (معارك الدفاع عن الثورة)
- صراعات ما بعد الثورة.

ذكريات الثورة:-

يروي الشيخ/ قايد شويط علي في ذكرياتة عن دور قبائل سحار فيقول: شاركت قبائل صعده في النضال والدفاع عن الثورة منذ وقت مبكر وخربت

بيوتنا أربع مرات وهربنا من الغارات مرات عده وقد كانت قبائل سحار مـــع اتصال مع الزعامات القبلية المناضلة منذ وقت مبكر وبعد عودة الإمام/ أحمـــد من روما وقتله الشهيد/ حسين بن ناصر الأحمر[1] وولده حميد طلــب الإمـــام مشائخ سحار إلى السخنة يريد قتلهم أو سجنهم دائم فجاءوا بزامل يقول:-

ياســـلام الله يصـــل أمامنـــا		أحمد.. عد ماشن المطـــر

ياخليفة من وراء علي بن طـــالب		ذي حصا جمـــع الكفـــر

في اثركم ننتجي يوم القيامه

من سحار الجود ذي جو زائرينـــا		يطلبـــوا عطـــف النظـــر

حن[2] رعيتكم وتحت الأمر جينـــا		مـــا يجـــي منـــا قصـــر

والذي بين العشش تدري بحاله

فشلت الحمية الإمام / أحمد وأجابهم ببديهة بلغتـــــهم مـــن فـــوق الـــبردة المواجهة لهم

ياسحار الجود مـــاعندي قصـــر		أعمالنا تبقى إلى وقـــت الســـحر

وكل حين الشغل حاين بالإمامه

الطواهش بيتـــها بـــين الشـــجر		لا تهاب الشمس ولا وبل المطـــر

هاكم منا السلام بالسلامة

ومن ذكاء سحار أشاعوا بين الناس أن الإمام عفا عنهم وقال لهم (هـــاكم منا السلامة بالسلامة) إشارة إلى الزامل وعندما علم الإمام بذلك سكت رغم أن

(١) الشهيد/ حسين بن ناصر الأحمر: أبرز زعماء القبائل اليمنية التي ناهضت الإمامة وقد قتلة الإمام / أحمـــد حميد الدين مع ولده / حميد بن حسين الأحمر بعد عودته من روما وأودع ولده الشيخ / عبدالله بـــن حســـين قلعة مهلهل في حمر وهو صغير السن.

(٢) حن رعيتكم: بمعنى نحن رعيتكم

بعض المقربين أثاروا الإمام لقتلهم فقال: لست معكم..بل قام بتوقيفهم في السخنة ضيوف وكان يصرف لهم ربع وثمن ريال وتساوي ١٥ بقشة كل يوم[١] وظلوا مشائخ سحار ومنهم الشيخ / مسعد شويط والشيخ / حمود مجلي والشيخ / أحمد شويط موقفين في السخنة عام كامل حتى جاء رمضان فسارت جموع من سحار بزامل إلى الإمام:-

سلام منا عد مامزن الخريف عليك منا يا امير المؤمنين
شهر الصيام ومر ضانا رصيف وسحار في الحاضر تجيبك فرض عين

فأجابهم الإمام بزامل يقول:-

بالله ياطير في ايام المصيف بلغ سحار الجود منا مايزين
والفسح بابه ومن بعد المضيف ماعد بقى ما يوجب التأخير حين
والطائرة لابد تأخذكم بحين توصلكم الأوطان وأنتم فارحين

ووجه لهم بطائرة تقلهم إلى صعده وحول لهم مصاريف (١٠٠ريال) لشيخ الضمان و(٥٠ريال) لشيخ العزلة أو القرية و(٢٥ريال) للفرد وعندما صعد المشائخ إلى الطائرة وجدوا أن اولاد الحسين بن يحيى قد ركبوا على الطائرة متوجهين إلى صنعاء فأعتقد المشائخ أن الكلام ليس طبيعي وأنهم سيصلون إلى الحسن بصنعاء فيأمر بحبسهم أو قتلهم فتركوا الطائرة حتى وصلت فوق مناخة حراز وقالوا لبعضهم الإمام يشتي يفعل بنا مثل آل الرصاص أعطاه ثمان جرامل[٢] وعند وصولهم إلى الحسن دخلهم إلى القلعة[٣] وشعروا بالخطر فدخل الشيخ حمود مجلي وهدد الطيار بالتوجه نحو صعده أو

(١) كان الإمام أحمد حميد الدين يصرف هذا المبلغ للدواب أيضاً ويستهدف من هذا إهانة المشائخ.
(٢) جرامل: نوع من البنادق المشهورة آنذاك مفردها جرمل وأفضل أنواعها (الزاكي كرام).
(٣) القلعة: سجن في صنعاء حبس فيه من الأحرار وقصة آل الرصاص معروفة أعطاهم الإمام ثمان جرامل وركبهم على طائرة للعودة إلى بلادهم وعندما وصلوا إلى صنعاء اقتادهم الأمير الحسن بن يحيى حميد الدين إلى السجن فضلوا حتى قيام الثورة.

قتلة بالبندق فتوجة الطيار إلى صعده وعندما وصلوا إلى صعده ونزلـوا مـن الطائرة قال الشيخ حمود مجلي للطيار (هيا رد أولاد الإمام..لاصنعاء) فكـانت هذه الحادثة ثاني إختطاف طائرة في اليمن بعد حادثة القردعي(١).

ملاحم الدفاع عن الثورة في صعده

إستهلال:

سبق الإشارة أن صعده قد خاضت معارك حاسمة وضارية مع آل حميـد الدين في عهد الإمام يحي حميد الدين خلال الصراع السياسي بين الإمام يحـي والثائر الإمام الهادي الحسن بن يحي القاسمي الذي انتهى بانتصار مـؤزر لآل حميد الدين في ١٣٢٨هـ وتمكن قواته من بسط نفوذهـا والسـيطرة علـى مخاليف سحار وصعدة وجماعة وخولان وكان قائد القوات الأمامية في بـلاد صعدة أحمد بن قاسم حميد الدين الذي اتخذ من ساقين مركزاً لقيادة الجيوش.

إلا ان مناطق صعدة بعد ذلك دانت لحكم آل حميد الدين وازدادت نصرتها لهذا البيت بعد وفاة الإمام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين سنة ١٣٦٧هـ وتتصيب ولده الأكبر الناصر أحمد بن يحي حميد الدين إماماً على اليمن والذي كانت له صلات وارتباطات وثيقة بقبائل صعدة بفعل اقامته الطويلة في بعـض مناطق صعدة إبان (الحرب اليمنية – السعودية) سنة ١٣٥٢هـ حيث أسـندت إليه مهاجمة مناطق نجران فأقام أكثر من عامين في صعدة تعـززت صلاتـه بالقبائل ومشائخها.. وخلالها أعاد تشييد بعض المساجد القديمة والقلاع وقـام بترميم سور صعدة الشهير سنة ١٣٥٢هـ.(٢)

وعندما قامت الثورة اليمنية في ٢٦ سبتمبر (١٩٦٢م-١٣٨٢هـ) كـانت القبائل في مختلف مخاليف صعدة على ولائها لآل حميد الدين فظلـت ترقـب

---

(١) حادثة القردعي: يقال أن الشهيد/ علي بن ناصر القردعي أول من أختطف طائرة في اليمن.

(٢) أقام الإمام أحمد بن يحي حميد الدين إبان الحرب اليمنية-السعودية قرابة عامين في وادي نشور من بـلاد همدان وفي صعدة قبل مقتل والده والذي كان له أثر كبير في تعزيز وتوثيق صلاته مع مشائخ القبل.

الصراع القوي بين قوى الثورة المصممة على اسقاط نظام آل حميد الدين فعقد في صعده مؤتمر برئاسة الأمير عبد الرحمن بن الإمام يحي محمد حميد الدين وعضوية الأمير عبد الله بن الحسن والأمير محمد بن المحسن وغيرهم من كبار القادة وكبار المشائخ وتقرر تأليف مجلس إمامة برئاسة الأمير محمد بن الحسين بن يحي حميد الدين،[١] بينما كانت العمليات العسكرية تتأرجح كفتها وظلت القوات الملكية متواجدة في معاقل حصينة على هذا الحال حتى ١٩٧٠م عندما اعترفت المملكة العربية السعودية بالنظام الجمهوري في اليمن. [٢]

العمليات العسكرية:

من أولى محاولات دخول صعده إلى اندحار أعداء الثورة في جبال رازح الشماء:

وشكلت محافظة صعده العمق الاستراتيجي والمعقل القوي لأل حميد الدين وقد بدأ ذلك واضحاً في الأحداث التي تلت قيام الثورة اليمنية الأم ٢٦سبتمبر ١٩٦٢م وبرغم أن مناطق صعده شكلت أيضاً الملاذ الآمن والمعقل الأخير الذي تشبث به أمراء آل حميد الدين حتى آخر لحظات وجودهم عام ١٩٧٠م إلا أنها شهدت أحداث هامة ومواقف إبان فترة الدفاع عن الثورة وترسيخ النظام الجمهوري حيث وجهت إلى صعدة أول حملة منذ وقت مبكر يوم الخميس ٢٦سبتمبر ١٩٦٢م بعد خروج عدد من الثوار الأحرار من سجن القلعة بصنعاء في مقدمتهم النقيب فيصل بن صالح عوفان وعدد من رموز الثورة ليتوجهوا إلى برط وفي ٢٨سبتمبر ٦٢م وصلوا ريدة وكان في استقبالهم العميد/مجاهد أبو شوارب والشيخ عبده كامل وتوجهت الحملة إلى الجوف أولاً ومعهم عدد من قيادات الثورة أمثال العميد/عبد الله دارس والعميد/

---

(١) الأمير محمد بن الحسين حميد الدين: كانت له مواقف شهيرة مع القادة المصريين حيث عرض على عبدالحكيم عامر انسحاب الجيش المصري مقابل الاعتراف بالنظام الجمهوري الاغصان / ١٨٩.

(٢) شكل دعم السعودية للقوات الملكية حتى ١٩٧٠م أهمية للمملكة نفسها حيث رأت من منظار سياسي استراتيجية بقاء القوات الملكية كخط دفاعي أول للمملكة خشية استهدافها من القوات المصرية الموجودة في اليمن.

هاشم صدقه والعميد/ أحمد علي فاضل والنقيب/وازع علي أبو اصبع والنقيب/زيد مهفل والنقيب/حمود محمد دارس، وبينما هم في طريقهم الى الجوف مع الشيخ/ناجي بن عبد العزيز الشايف المعين في حينها عامل الجوف وقعت بينهم وبين الشريف الضمين وقبائله ذو حسين الشولان حرب نتج عنها إصابة العميد/عبد الله دارس بطلقة في رجله وبعد وصول رجال الشولان وتعارفوا وأخذوا منهم وجيه أمان عند وصولهم الحميدات ثم تفرق الجميع.[1]

أولى محاولات دخول صعده:

بعد ذلك وصلت القوات إلى سوق العنان برط واستقبلتهم قبائل ذو محمد وحشدوا القبائل ونزلوا حرف سفيان لاستقبال النقيب أمين بن حسن أبو راس بهدف التحرك والتقدم باتجاه صعده وعند وصولهم إلى سفيان كان في استقبالهم الشيخ غالب بن ناصر الأحمر والنقيب أمين حسن أبو راس الذي قاد المعركة باتجاه صعده وعند وصوله إلى العمشيه دارت معركة كبيرة قتل فيها خيرة الرجال في مقدمتهم فيصل صالح عوفان الذي أصيب في صدره بطلقة وقتل حميد جابر مهفل وفهد جبله وآخرين والذي حفز بقية القوة على مواصلة القتال بهمة كبيرة وإصرار عظيم كفل لهم تحقيق الهدف الرئيسي ودخول صعده.[2]

وقد كانت كثير من قبائل صعده ومناطقها المتعاطفة مع النظام الجمهوري على علم مسبق بقيام الثورة السبتمبرية عن طريق التواصل مع الشيخ المناضل/ قايد مجلي وعدد من المشائخ، وفي اليوم الأول لقيام الثورة أرسلت من مركز السنارة برقيات التأييد للنظام الجمهوري من عدد من قبل ومناطق صعده. وعند سماع هذه القبائل بتحرك قوات الثورة نحو صعده في أول

(١) حديث للعقيد/حيين ناجي عوفان – صحيفة الثورة العدد (١٢٣٧٢) تاريخ ١٩٩٨/٩/٢٦م استطلاع للمؤلف بعنوان (ملاحم الدفاع عن الثورة في صعدة).
(٢) المصدر السابق.

محاولات دخولها لبت هذه القبائل نداء الجمهورية وفي طليعتها قبائل من سحار وآل عمار والتقت القوات الجمهورية خارج صعده ودخلت معها صعده واستولت على مراكز (السنارة) و(الصمع) وغيرها.

لكن صعده ما لبثت أن سقطت في أيدي قوات الملكية فعمدت القبائل الموالية للنظام الجمهوري إلى المرابطة والتقدم على مديرية مجز جماعة وخلال السقوط الثاني لصعدة في أيدي قوات الملكية استطاعت هذه القوات تطويق المراكز التي ظلت بأيدي أنصار الثورة في (قشلة صعده) و(مركز السنارة) وتعذر كسر الحصار وكانت قوات الثورة تقوم بتزويد المحاصرين بالمؤن والذخائر عبر الطائرات بواسطة البرشوت طيلة شهور حتى جاءت التعزيزات بقوات جديدة من أبناء قبائل حاشد بقيادة العميد/مجاهد أبو شوارب والشيخ/ عبد الله بن حسين الأحمر واللذان كان لتقدمهما بالجيش أثر كبير في فك الحصار وعودة غالبية مناطق صعدة إلى أحضان الجمهورية.[١]

وعادت قوات الملكية من جديد وبقوة بقيادة عبد الله بن الحسن بن يحيي حميد الدين وعقد مؤتمر في صعده برئاسة عبد الرحمن بن الإمام يحي حميد الدين وعضوية الأمير/ عبد الله بن الحسن والأمير/ محمد بن المحسن وغيرهم من القادة وكبار المشائخ وتقرر تأليف مجلس إمامة برئاسة الأمير/محمد بن الحسين والذي كانت له مواقف شهيرة مع القادة المصريين حيث عرض على المشير/ عبد الحكيم عامر ضرورة انسحاب الجيش المصري من اليمن مقابل الاعتراف بالنظام الجمهوري.[٢]

وبينما كان الأمير/ عبد الله بن الحسن قائد القوات الملكية في صعده

---

(١) حديث صالح محمد جرادن لصحيفة الثورة العدد (١٢٣٧٢) تاريخ ٢٦/سبتمبر ١٩٩٨م، استطلاع للمؤلف بعنوان (ملاحم الدفاع عن الثورة في صعده).

(٢) الأغصان للفضيل/ ١٨٨-١٨٩.

متوجه ذات يوم لأداء صلاة الجمعة بجامع الإمام الهادي بصعده تعرض له جماعة من أنصار الثورة في قبيلة سحار وقتلوه في موضع بين صعده ورحبان.[1]

والذي دفع بدوره كافة القبائل الموالية لآل حميد الدين حول صعده ومعهم القوات الملكية الوافدة من كل أنحاء اليمن إلى صعده لمؤازرة أمراء آل حميد الدين إلى شن هجوم عنيف وقوي استهدف بعض المناطق في سجار كـ(العبدين) التي هدمت بيوتها وهرب سكانها إلى صنعاء وغيرها من المناطق أكثر من تسعة شهور واحتلت الملكية صعدة من ٦٧ حتى ١٩٦٩م.

وظلت صعده في أيدي القوات الملكية التي هيمنت على الوضع وسيطرت على الموقف فترة من الزمن حتى مجيئ العميد مجاهد أبو شوارب بقوات الثورة يساندها بعض قبائل ومشائخ حاشد فاستطاع كسر حصار صعده في ١٩٦٩م ودخولها لتتراجع قوات الملكية إلى منطقتين "كدم" و "ام عيسى" قرب وادي نشور وهناك جرت المعركة الفاصلة والحاسمة التي مهدت لاعتراف الأشقاء في المملكة العربية السعودية بالنظام الجمهوري[2] ورغم التضحيات التي قدمتها قوات الثورة بقيادة العميد/مجاهد أبو شوارب في منطقة كدم إلا انها أحدثت تراجع كبير وواضح للقوات الملكية الذين تراجعت قواتهم إلى الجبال الشرقية الشمالية القريبة[3] من نجران واتخاذها الحصون الأخيرة لهم قبل رحيلهم من البلاد واعترافهم بالنظام الجمهوري سنة ١٩٧٠م.

أما في القاطع الشرقي من محافظة صعده فقد اتخذ الأمير ولي العهد/الحسن بن يحي حميد الدين في منطقة آل سالم مقراً لقيادة القبائل الموالية للملكية المتوافدة من كل أصقاع اليمن واتخذ من حصن القوات مركزاً للقيادة

---

(١) الأغصان للفضيل/ ١٨٤.

(٢) حديث صالح محمد جردان، صحيفة الثورة العدد (١٢٣٧٢) بتاريخ ١٩٩٨/٩/٢٦م استطلاع بعنوان (ملاحم الدفاع عن الثورة في صعده).

(٣) الجبال الشرقية: الصليب والإمارة وغيرها. حدثني بذلك الشيخ/ علي حمود نهيان من أبناء آل سالم.

ومخزن للأسلحة والذهب والمؤن والتفت حوله كثير من القبائل اليمنية ورموزها وشكلت حادثة تفجير "حصن القوات" ضربة مؤلمة للأمير الحسن بن يحي حميد الدين وانكسار الملكية في تلك المناطق[١].

وفي القاطع الغربي لمحافظة صعده كلفت قيادة الثورة عن طريق المناضل حمود بيدر بعض قوات الثورة يوازرها مجاميع من قبيلتي الحداء وقيفه بقيادة المناضل/محمد عبد الله المصري والشيخ/علي بن ناجي القوسي والمناضل/محمد الخاوي ونقلت جواً إلى جبال رازح الشماء حيث كانت قوات الملكية تحاصر قوات الثورة التي سبق توجيهها بقيادة العميد/عبد الكريم السكري والعميد/حسين الدفعي والمقدم/عبد الرحمن الترزي وتم فك الحصار على هذه القوات الجمهورية المتواجدة في "قلعة حرم" وتم التحرك لهذه القوات إلى النظير وبعد تضحيات تم السيطرة على (قلعة النظير) بعد أن استشهد بعض ضباط وأفراد الحملة ومنهم عبد الله محمد القيري إلا ان هذه القوات سرعان ما عادت إلى (قلعة حرم) للتحصن بها من تزايد ضغط القوات الملكية.[٢] وقد استطاعت الملكية في رازح البقاء عدة سنوات لما حظت به من أنصار ومؤيدين من القبائل ولما أمتلكته من أساليب المكر والتضليل للناس الذي شكل أخطر سلاح في الوقوف في وجه المد الجمهوري المتواصل وشكلت جبال رازح الشماء آخر محطات انتصار الثورة والمحطة الأخيرة للنظام الملكي في عموم اليمن[٣] إلى جانب المنطقة الشرقية في بلاد وايلة، وبسقوطها سقطت آخر المعاقل الملكية في اليمن واعترفت كافة المناطق بالنظام الجمهوري.

---

(١) حديث للشيخ/ علي حمود فميان السالمي.

(٢) حديث العميد/علي بن ناجي بن علي القوسي صحيفة الجمهورية، العدد (١١٧٣٠) ٢٠٠١/١٠/١٤م استطلاع للمؤلف بعنوان (أحداث وقصة مطاردة فلول الملكية في محافظتي صعده وحجه).

(٣) حديث الشيخ/سليمان علي الفرح، صحيفة الثورة العدد (١٢٣٧٢) بتاريخ ١٩٩٨/٩/٢٦م استطلاع للمؤلف بعنوان (ملاحم الدفاع عن الثورة في صعده).

أما القبائل التي ناصرت الثورة منذ لحظات ميلادها وخاضت معارك الدفاع عن الثورة في مناطق صعده كانت تحت قيادات ورموز قبلية قادت هذا التوجه وكان كل شيخ يقود أصحابه في هذه الأحداث والمواقف والمعارك المستمرة ولعل في طليعة الرموز من أبناء صعده الشيخ/حمود مجلي والشيخ/فيصل السربي والشيخ/ يحيى الحسيني والشيخ/حسين محمد السربي، والشيخ/فاضل بن صعيده والشيخ/مسعد شويط وحسين أحمد النقيب والشيخ/محمد مصلح النحو والشيخ/حسن محمد مهمل والشيخ/سليمان الفرح والشيخ/حيدر بحنان والشيخ/عبد الله سعد داجي والشيخ/ حمدان أبو مشعف والشيخ/ منصور فراشة والشيخ قاسم غثايه، ومن مجز الشيخ/ حسن محمد مهمّل، ومحمد مصلح النحو، وحسّان الجبر الربيعي، وغيرهم.

صراعات ما بعد الثورة:

بدأ الاعتراف الاسمي بالنظام الجمهوري في مناطق صعده مع حلول عام ١٩٧٠م وما كادت الأوضاع تهدأ في اليمن نسبياً حتى حدثت حركة ١٣ يونيو التصحيحية ١٩٧٤م بقيادة المقدم/إبراهيم محمد الحمدي أثر انقلاب أبيض على الرئيس القاضي/عبد الرحمن بن يحي الإرياني تشكل على أثره مجلس القيادة الذي ضم عدد من الشخصيات الوطنية برئاسة الحمدي الذي حاول انتهاج سياسة جديدة في تصحيح أوضاع البلاد تقوم على إخضاع الشعب برمته للنظام والقانون في ظروف لم تكن الثورة قد ترسخت بعد في المناطق البعيدة ومتجاهلاً القوى القبلية التي كانت تشكل دولة داخل الدولة وتعتبر ذاتها شريك في السلطة بفعل ما قدمته من تضحيات جسيمة من أجل الثورة على مدى ثلاثة عقود كاملة وكانت القوى القبلية في اليمن يمثلها مشائخ اليمن وعلى رأسهم الشيخ/عبد الله بن حسين الأحمر شيخ مشايخ حاشد وصاحب النفوذ الأكبر تؤزره تحالفات واسعة النطاق من مشايخ اليمن. وفي خضم هذا التحول في سياسة الدولة حدث خروج المشايخ على السلطة وفتحت أبواب المواجهة بين

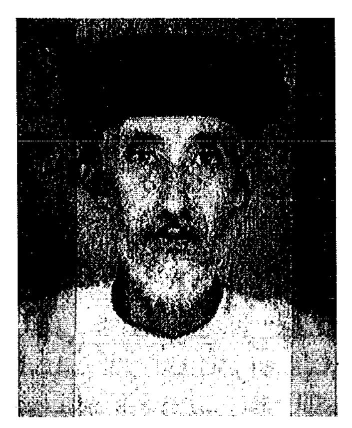
السلطة السياسية والقوى القبلية كقوتين متكافئتين لم تحسم احداهما الموقف على حساب الآخر فتقلص حدود السلطة المركزية في إطار كبريات المدن وشكل المشايخ تحالف قوي قادة الشيخ/عبد الله بن حسين الأحمر الذي انتقل من مدينة خمر إلى مدينة صعدة وجعل منها قاعدة لانطلاقة[١] ومعارضة السلطة أكثر من ثلاث سنوات وتلاشي هذا الموقف السياسي المتأزم من ذاته بعد اغتيال الرئيس إبراهيم الحمدي وتلاه اغتيال خلفه الرئيس أحمد حسين الغشمي. وانتخاب الرئيس علي عبد الله صالح رئيساً للبلاد ١٩٧٨م والذي انتهج سياسة متزنة قامت على استقطاب هذه الزعامات وجعل منها قوة داعمة للسلطة وسياسة التحديث وتعزيز مشاركتها في السلطة فاندمجت في إطار كيان الدولة خلق الرضى ودفعها إلى المشاركة الصادقة في التصدي لمؤامرة الانفصال والردة في صيف ١٩٩٤م.

وعلى الجانب الآخر منحت القيادة السياسية للرئيس علي عبد الله صالح مشائخ ورموز صعده الاهتمام الكبير والدعم واعطتهم المكانة المستحقة لهم والذي بدوره عزز من ولاء هؤلاء للدولة وانعكس بدوره على أبناء القبائل وغدوا همزة وصل بين القادة والمواطن نتاج الترابط القبلي الوثيق بين أبناء هذه القبائل.

(١) قاعدة لإنطلاقته: يقول الأخ العميد/علي بن علي القيسي أن انتقال الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر من خمر إلى صعده ومعه قرابة ٣٠٠٠مسلح من قبائل حاشد لاستقبال مجاهد بن شوارب الذي كان من المقرر خروجه من السعودية عبر نجران لكن تم خروجه من جيزان فبقت لفترة مع الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر ومن ثم عادوا إلى خمر.. وقامت قبائل سحار ومشايخها بالمهمة واعتبرت صعده منطقة تحالف ونفوذ للشيخ/عبد الله بن حسين الأحمر في مواجهة السلطة السياسية حتى تولي الرئيس علي عبد الله صالح السلطة في ١٩٧٨م.



الشهيد/
حميد بن حسين الأحمر



الشهيد/
حسين بن ناصر الأحمر



الشيخ/
أمين بن حسن أبو راس



النقيب/
فيصل صالح عوفان



الشهيد / إبراهيم الحمدي



الشيخ/عبدالله بن حسين الأحمر

صنعاء ١٤/١٢/٦٧ إشارة عسكرية ١٩ مكتب الجبالي الحرف

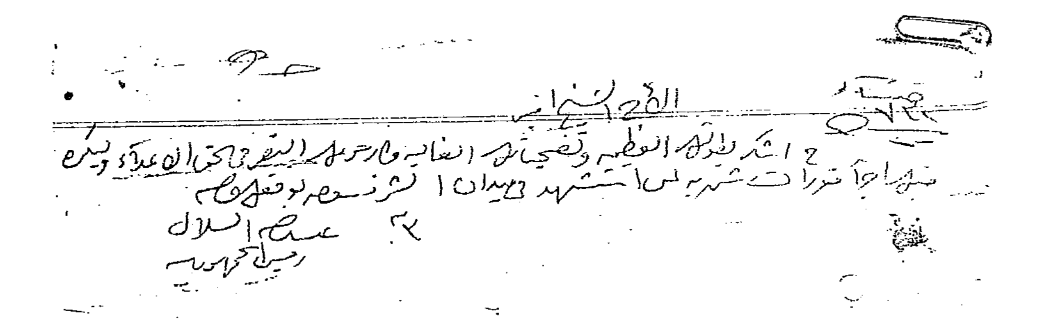
١٨٧

الأخ النقيب أمين أبو راس [illegible]

لقد تم صرف ذخيرة متنوعة لمنطقة الحرف وتسلمت للعقيد [illegible] الأخ النقيب علي [illegible] ثمانية مرشدين لمندوبين آخرين لم تصرفهم [illegible] الطيران [illegible] وقد قامت طائرات بالتحليق على منطقة الحرف [illegible] نحن على موعد مع المسؤولين [illegible] من الموقف [illegible] الطلبات اللازمة لنا [illegible] الأبطال [illegible] عسكريين وقبليين [illegible] لديهم وتحياتي

أخوكم المقدم ناجي الأشول

برقية عسكرية في نهاية ١٩٦٧م من المقدم/ ناجي الأشول إلى النقيب/ أمين أبو راس بخصوص الموقف العسكري في منطقة الحرف – سفيان



الأخ النقيب [illegible]

أشكركم [illegible] العظيمة وتضحياتكم [illegible] أعداء [illegible] من استشهد [illegible]

عبدالله السلال

رئيس الجمهورية

رسالة شكر وعرفان من الرئيس/ عبدالله السلال إلى النقيب/ أمين أبو راس متضمنة توجيهات بخصوص من يستشهد في العمليات العسكرية

من القياده العليا الى الاخ ابو راس و[illegible] الاكوع

بخصوص ما اشرت عنه من وجود حجه يقع حرب فقد اجريت الاتصالات بذلك كما اتصلنا بقياده [illegible] الذي امر [illegible] والمحروس [illegible] الزحف نحو غرير وسيكون ترتيب ما يجب بشأنه [illegible] غالب الاحمر وقد صدرنا له بالزحف الى السوده وسننتظر النتائج هذا ونرجو لكم النصر والتوفيق والنجاح [illegible]

رد من القيادة العسكرية العليا

بخصوص الموقف في منطقة غرير – آل سالم بصعدة ومناطق حجة والسودة

السيد / النقيب امين ابوراس   حياكم الله

تحياتي وتمنياتي وصل كتابكم وما به علم ونحن نثق فيكم ثقة كبيرة وفيكم وانتم ولا نشك لحظة واحدة في اخلاصكم ونقدر جهادكم المخلص الدائم انتم وقبائلكم الابطال كما نؤمل في جهادكم القادم الاكبر حتى يتم النصر النهائي على فلول الرجعية والطغاة وكنت اود ان ازوركم شخصيا لاتشرف بمعرفة رجالكم ومشايخكم الابطال لولا كثرة العمل والمشاغل التي تعرفونها . وبهذه المناسبة اهنئكم جميعا بما احرزته قوات قبائلنا الابطال على الملكيين في مناطق رازح فقد تم تدميرهم نهائيا والاستيلاء على جبل رازح .

بخصوص ماذكرته في خطابك فاننا نؤيدك ونؤازرك في كل اعمالك ونقدر لك توجهك نحو ان تكون حريصا ويقظا وتعمل على ... خياناتهم وانت تعلم اساليبهم وخدعهم اكثر منا فعلى بركة الله والله يوفقك فيما تقدم عليه من عمل سواء عسكريا او سياسيا فقدم كبير في رجالك وفيما ان يكون فيه القضاء النهائي على الطغاة . ونحن مستعدون بقواتنا ومعداتنا وكل ماتطلبه .

والسلام .

الامضاء

لواء : عبدالعزيز حسن سلمان

قائد القوات العربية باليمن بالنيابة

رسالة تقدير ومساندة إلى النقيب/ أمين أبو رأس

من اللواء عبدالعزيز حسن سلمان قائد القوات العربية باليمن

الأخ أمين أبو راس

أصبح العدو محيط بنا وبمنطقتنا من جميع الجهات

وطريق الجراب مقطوع وطريق صعدة

مقطوع ونحن جميعا المسئولين ولهذا

نشجب الأعمال والاستماع للإشاعات

المغرضة العدائية ولو نظرنا موقفنا

هذا الحزب و رئيس [illegible]

لتورطنا وتحملنا النتائج السيئة

عاتب الله أكبر يا أمين أبو راس ويا [illegible]

بيلنا برط الفارع بإنقاذ

طريق الجراب وصد العدو فقوتنا

في الجراب محاصرة وسفيان أصبحت مهددة

نتيجة قلة النصر ومن المال والعيب

القبائل ال رئيس الجمهورية ... للحوادث

الشيخ المحترم

[illegible] صباحا مبكرا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

رسالة من القيادة الميدانية إلى النقيب / أمين أبو راس

تطالب بالدعم والاسناد للموقف في حرف سفيان والخراب وطريق صعدة

برقية إلى الأخوين أمين أبو راس وعبدالله ثوابه من قيادة برط

بخصوص الموقف في غرير/ كتاب/ برط. في ٢٣ مارس — ١٩٦٣م

صعده والوحدة اليمنية:

عندما تحققت الوحدة اليمنية المباركة في ٢٢/مايو/١٩٩٠م شعر أبناء محافظة صعده كغيرهم من أبناء اليمن بعظمة الإنجاز التاريخي وعمت الأفراح مناطق صعده بهذا الحدث وبعد قيام الوحدة بسنوات ثلاث بدأت الخلافات السياسية تطفو على السطح وتزايدت حدة التوتر ليصل إلى الصراع السياسي والعسكري الذي انتهى أخيراً بحرب صيف ١٩٩٤م الذي انتصرت فيه الوحدة وسقطت المؤامرة وعادت اليمن إلى اليمن.

وطول فترة التوتر والصراع كانت صعده تعيش قلباً وقالباً مع وحدة اليمن، ومع تطورات الأوضاع في نهاية السنة الرابعة من الوحدة وفي ظل اعتكاف البيض شارك الكثير من مشائخ وأقيال اليمن في تهدئة الأوضاع ومحاولات المصالحة ولم يفلحوا في المصالحة وعندما تأكد أبناء صعده رغبة البيض في الانفصال وفد عدد كبير من قبائل سحار إلى بوابة معسكر الجمهورية والتقوا العقيد الركن/عبد العزيز الذهب[1] قائد اللواء الثاني عروبة آنذاك وأكدوا وقوفهم مع الوحدة ضد الانفصال وفي مقدمتهم الشيخ/قائد شويط علي وعدد من مشائخ سحار وبعد يومين انطلقت مظاهرات سلمية حاشدة تجوب شوارع مدينة صعده تندد بالانفصال وتؤكد وقوفها مع الوحدة باعتبارها قدر ومصير اليمنيين وأنه لا رجعة عن الوحدة وكان شعارهم (نعم للوحدة.. لا.. للانفصال) وفي الذكرى الرابعة للوحدة اليمنية في ٢٢/مايو /١٩٩٤م أعلن البيض قرار الانفصال رسمياً وتشكيل حكومته الانفصالية فاحتشدت جماهير محافظة صعده بعد يومين من قرار الانفصال في ساحة معسكر

---

(١) عبد العزيز حسين الذهب: أحد القادة البارزين الذين شاركوا في دخول عدن يوم الانتصار في ٧يوليو ١٩٩٤م قائداً لمعسكر خالد بن الوليد وهو الآن برتبة لواء نائباً لرئيس الأركان العامة للشئون الفنية.

الجمهورية للاحتفال بالعيد الرابع للوحدة اليمنية حيث توافدت قبائل سحار وجماعة وهمدان بن زيد وخولان بن عامر ورازح ومنبه تنشد الزوامل القبلية والأهازيج الشعبية التي تؤكد فيها تمسكها بالوحدة الوطنية وتأييد القيادة الشرعية والإعلان عن وقوفها في خنادق الدفاع عن الوحدة لدحر أوكار الخيانة ودعاة والردة والانفصال حيث كان في استقبالهم الأخ العقيد/علي بن علي القيسي[1] وكيل المحافظة والأخ العقيد ركن/ عبد العزيز حسين صالح الذهب قائد اللواء الثاني عروبة والعميد ركن/عبود مهدي علي قائد لواء صعده وجموع المسئولين.

كانت الجموع تتوافد تباعاً تنشد الزوامل المعبرة عن الحدث تقول بعضها:

سلام من رووس الجبال	جاهز سلاحه والرجال
كلاً مدرب للقتال	معظمه ثوار
يا من حضر في الاحتفال	بلغ لريسنا المقال
وحدة ومن كان انفصالي	نحرقه بالنار

وفي هذا المهرجان الجماهيري الحاشد ألقيت الكلمات حيث أوضح العقيد/علي بن علي القيسي وكيل المحافظة آنذاك ان الوحدة اليمنية لبنة أساسية في بناء اليمن الحديث وأن قرار الانفصال باطل وغير شرعي والشعب يؤيد الوحدة ويؤكد استعداده للدفاع عنها وقال الشيخ/قائد شويط[2] عضو مجلس النواب أن الوحدة قدرنا ومصيرنا ولن نسمح لأي انفصالي بافشال الوحدة ونعاهد الله بأننا سندافع عن الوحدة بكل ما نملك وسنقف في وجه كل الانفصاليين الذين يهدفون إلى تقويض دعائم الوحدة، ولكن هذا مستحيل ولن

---

(١) علي بن علي القيسي: كان يومها وكيل محافظة صعده ثم عين في ١٩٩٥م محافظاً لمحافظة صعده حتى ٢٠٠١م ليعين بعدها محافظاً لمحافظة إب.

(٢) قائد شويط: من الشخصيات الوطنية البارزة في محافظة صعده ومن كبار مشائخ سحار انتخب عضواً لمجلس النواب، ثم عضواً في مجلس الشورى، والمجلس الاستشاري وأحد المنادين بالعفو العام عن المغرر بهم أثناء الحرب.

يفلحوا فقد استنكرت شعوب ودول العالم هذا القرار ولم يعترف به سوى دولة شمال الصومال وهي دولة لم يعترف بها أحد وفي ذلك عبرة وقال (أن التاريخ يعيد نفسه وأن محاولات البيض اليائسة أشبه بمحاولات البدر المخلوع عند قيام الثورة اليمنية حيث فر إلى المحابشة وحاول القيام بالتعبئة وتأليب القبائل فكانت المحطة الأخيرة والنفس الأخير والشبه قائم بين محاولات البدر بالأمس ومحاولات البيض اليوم)[١]، وعلى مدى فترة الحرب (معركة الدفاع عن الوحدة) أسهمت صعده بمجهود حربي كبير لدعم الحرب وإغاثة المناطق المتضررة من المؤامرة وشكلت لجنة لدعم المجهود الحربي برئاسية الشيخ/محمد حسن والشيخ/جرمان محمد جرمان وقامت هذه اللجان بالنزول إلى المديريات حيث اندفع المواطنون في تقديم تبرعات نقدية وعينية سخية كما قدم الاخوين مناع وجرمان لدعم المعركة عدد من السيارات الأطقم على حسابهم الخاص..[٢] وقد أسهمت قبائل صعدة مناطق وأفراد في دعم ومساندة معركة الدفاع عن الوحدة، ومن أبرز من ساهموا الأخ ربيع محمد جرمان والشيخ حسين فايد مجلي وعزيز صالح العويري وأسهم الحمزيون بقيادة أحمد عيظة الحمزي في توفير أعداد كبيرة من وسائل النقل الكبيرة لتلبية احتياج جبهة الدفاع عن الوحدة لنقل المعدات والآليات والأسلحة ونقل التبرعات العينية الشعبية إلى الجبهة والمناطق المتضررة جراء الحرب.

قافلة النصر:

أكبر قافلة يمنية لإغاثة المناطق وإمداد المقاتلين من بداية معركة الوحدة.

ومن دلائل الالتفاف الصادق أبناء صعده حول الوحدة تمكنت لجان المجهود الحربي من تجهيز أكبر قافلة إغاثة شعبية لدعم جبهات القتال وإغاثة المتضررين من أبناء المناطق التي أكتوت بنار المؤامرة حيث تكونت القافلة

(١) صحيفة ٢٦سبتمبر بتاريخ ١٩٩٤/٥/٢٤م.
(٢) صحيفة الثورة، مايو/١٩٩٤م.

من ٨٠٠سيارة محملة بالفواكه والماشية والأغذية والمشروبات توجهت إلى مناطق شبوه وأبين قاطعة مئات الكيلومترات وسميت هذه القافلة (قافلة النصر) يقول الشيخ/ جرمان محمد جرمان[1] حينها:

هذه القافلة هي أكبر قافلة في الجمهورية لدعم جبهات القتال وإغاثة المناطق المنكوبة من جراء المؤامرة وهي إسهام بسيط والمواطنون مستعدون لتقديم الدعم والمساندة مرة بعد أخرى فالوطن وطن الجميع والوحدة ملك لكل أبناء هذا الوطن ونحن فخورون بما حققته القوات المسلحة من انتصارات على دعاة الردة والانفصال ونؤكد لهم أنهم لن يفلحوا وسيمضوا وتبقى الوحدة لأنها وجدت لتبقى.[2]

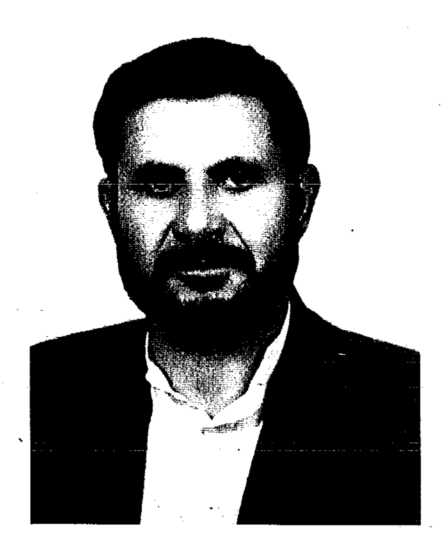
ترسيم الحدود:

تعتبر محافظة صعده البوابة الشمالية لليمن حيث تتصل ٨ مديريات من إجمالي مديرياتها الخمس عشرة اتصالاً مباشراً مع المناطق الجنوبية من المملكة العربية السعودية (نجران، عسير، جيزان، ظهران الجنوب) على طول (٩٠كم) من الشريط الحدودي. هذا بالنسبة للحدود السياسية أما الحدود القبلية فتمتد الكثير من الكيانات القبلية الكبيرة خولان عامر وهمدان زيد الممتدة إلى قلب مناطق المخلاف السليماني في نجران وعسير وجازان، كقبيلة (يام) الهمدانية و (فيفا وبني مالك) الجماعية و (قبائل بلحرث) الخولانية وغيرها كثير ولا تزال هذه الروابط القبلية الوثيقة قائمة بين هذه القبل رغم الفواصل

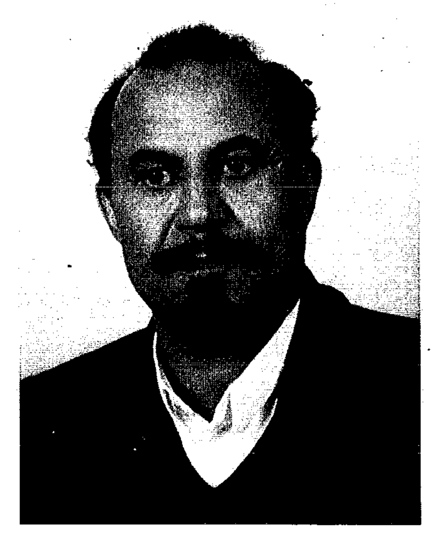
---

(١) جرمان محمد جرمان العويري من مواليد ١٣٧٠هـ – ١٩٥٠م بحصن بني عوير مديرية سحار – محافظة صعدة.. من كبار التجار ورجال الأعمال في اليمن ومؤسس "مؤسسة جرمان وإخوانه التجارية" صاحب مروءة وكرم أصيل ومن كبار المحسنين وأهل البر قدم بسخاء كثير من الأموال في ترميم وصيانة عدد من المساجد التاريخية وبناء مساجد جديدة وتنفيذ عدد من المشاريع التعليمية والخدمية. أسهم إسهاماً فاعلاً في دعم معركة الدفاع عن الوحدة في صيف ١٩٩٤م بالمال والأطقم ولعب دوراً بارزاً في تجهيز (قافلة النصر) أكبر قافلة إغاثة في الجمهورية لدعم جبهات القتال وإغاثة المناطق المنكوبة من خلال موقعة كتائب رئيس اللجنة الشعبية المناصرة للوحدة في المحافظة.

(٢) المصدر السابق، مايو/ ١٩٩٤م.



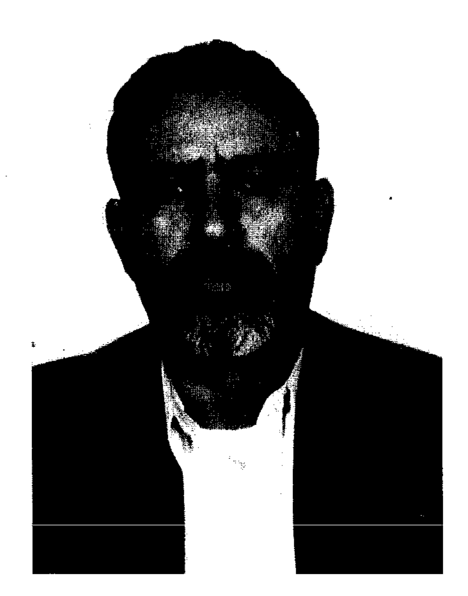
ربيع جرمان



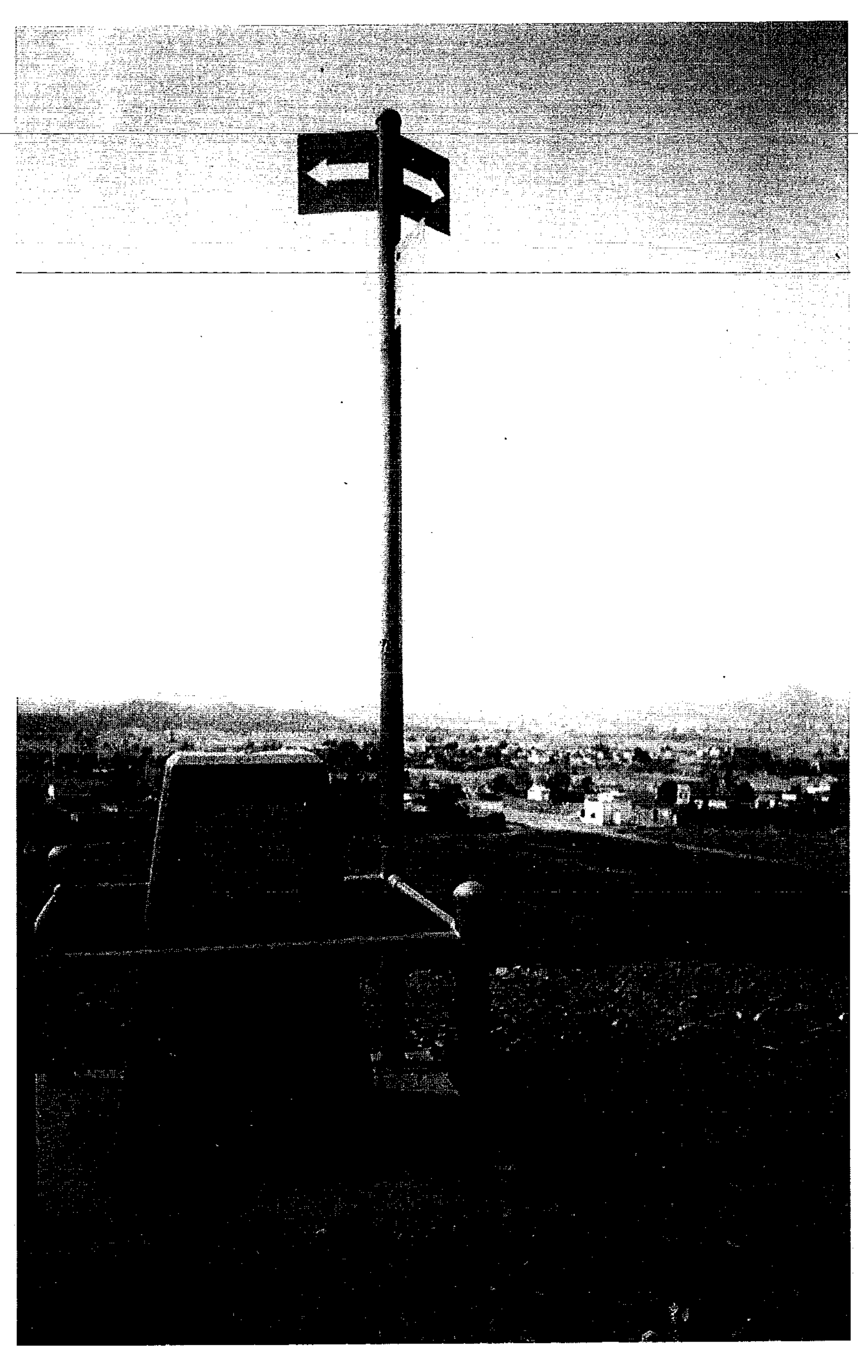
جرمان محمد جرمان



أحمد عيضه



عزيز العويري



العلامات الحدودية في رعشة

السياسية التي تفرضها الحدود ولذا فإن كثير من القبائل الحدودية من الجانبين على امتداد الشريط الحدودي لا تزال تربطها علاقات النسب والمصاهرة والحياة اليومية وهناك أسواق حدودية يفد إليها أبناء هذه المناطق من الجانبين للتسوق وتعتبر هذه العلاقات علاقات عشائرية ليس لها أي صلة بالسياسة الرسمية.

وفي الفترة الزمنية الطويلة التي تلت معاهدة الطائف بين المملكة المتوكلية اليمنية والمملكة العربية السعودية بعد الحرب (اليمنية- السعودية) ١٩٣٤م هدأت الأوضاع في المناطق الحدودية وتزايد التبادل التجاري الغير رسمي وأقرت الحكومة السعودية منح مرتبات كبيرة لمشائخ الحدود اليمنيين في مناطق صعده وأقيمت روابط وعلاقات وثيقة مع رموز المشائخ في هذه المناطق لدرجة ان صعده لم تعترف بالنظام الجمهوري إلا بعد اعتراف المملكة بهذا النظام في ١٩٧٠م.

وبعد ترسيخ النظام الجمهوري بدءً من رئاسة القاضي/عبد الرحمن الإرياني ومن بعده تردد في الشارع اليمني همساً ان هناك توسعاً من قبل السعوديين في مناطق صعده ومع بداية عهد علي عبد الله صالح تعزز النظام الجمهوري وبدأ قوياً عما كان عليه من قبل وانتشرت القوات المرابطة في الأطراف كقوات رمزية لمراقبة الحدود واستطاع الرئيس ان يحزم الأوضاع في الأطراف برغم أنه على معرفة بالدعم السخي الذي يحصل عليه مشائخ الأطراف إلا أنه كان يردد دائماً ويقول لمشائخ صعده وغيرهم من مشائخ المحافظات الحدودية (كلوا لكن لا تفرطوا بالأرض).

وفي عام ١٩٩٥م وللمرة الأولى تسبب حادث تصادم عسكري بين دوريات يمنية -سعودية إلى حدوث خلاف واضح وكبير هدد بحدوث صراع حيث أقدم أفراد من دورية سعودية على التمركز في (جبل المشرق) غرب منبه/ صعدة أحدث اشكالات على مستوى القيادتين اليمنية-السعودية وبلغ

الخلاف ذروته إلا ان حكمة القيادتين وقدراتها السياسية مكنتها من إزالة الإشكال وتحويله إلى قاعدة انطلاق لمعالجة اشكالات الحدود بين البلدين حيث لعبت (قمة مكة المكرمة) بين الملك فهد بن عبد العزيز والرئيس علي عبد الله صالح دوراً هاماً تم على اثرها تشكل اللجان الفنية لتجديد العلاقات الحدودية ومن ثم اللجان العسكرية المشتركة، وتمكنت اللجان الفنية من تجديد العلامات في كثير من مناطق صعده وحجة إلا أنها واجهت اشكالات معقدة في تحديد جبل ثأر[1] في المنطقة الشرقية من صعده وبرغم ما بذلته اللجان المشتركة على مختلف الاصعدة وتحقيقها نتائج إيجابية إلا انها لم تتمكن من وضع معالجات مرضية في هذا الجانب.

وفي خضم هذه التحولات الإيجابية زار الأمير/مشعل بن سعود بن عبد العزيز أمير نجران محافظة صعده في ١٩٩٨/١١/١٠م في زيارة ودية ثم زار بعد ذلك محافظة صعده العميد/علي بن علي القيسي منطقة نجران وهذه الزيارات عملت على تلطيف الأجواء وتهيئتها لحدوث تقارب كبير على مستوى القيادتين، وكان لحضور سمو الأمير/عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد السعودي على راس وفد رسمي رفيع المستوى إلى صنعاء لمشاركة اليمن احتفالاتها بمرور ١٠سنوات على قيام الوحدة اليمنية أثر كبير وفاتحة لقرار سياسي لمعالجة مسائل الحدود وبعد أقل من شهر وبالتحديد في ١٢/يونيو/٢٠٠٠م عقدت قمة جدة بين الرئيس/علي عبد الله صالح والملك/فهد بن عبد العزيز آل سعود وبحضور ولي العهد السعودي سمو الأمير/عبد الله بن عبد العزيز وقع خلالها اتفاقية الحدود اليمنية- السعودية البرية والبحرية التي حسمت خلافات حدودية عمرها ٦٤عاماً وبدأت العلاقات بين البلدين في العودة إلى مسارها الطبيعي.

وقد رحبت قبائل صعده بترسيم الحدود ووجهت برقيات التهنئة وأقيم

---

(١) جبل ثأر كان للشيخ محمد أحمد بن شاجع دور مهم في هذه القضية حيث قدم عدد من الوثائق التاريخية بخصوص هذا الجبل الذي تحدد على ضوئه حدود اليمن الشرقية.

احتفال واسع في المجمع الحكومي بصعده بهذه المناسبة وأكدت الكلمات ان اتفاقية الحدود منجز عظيم وضع حد لأطول وأعقد خلاف حدودي عربي في القرن العشرين وعلى ضوء هذه الاتفاقية بدأت عملية ترسيم الحدود في كثير من المناطق.

محافظو صعده منذ قيام الثورة[1]

١٩٦٢م سنة الثورة حملة عسكرية إلى صعده بقيادة الأخ/عبد الرحمن الدرزي ولم يكن بصعده محافظ فكانت الأمور بقيادته.

١٩٦٣-١٩٦٤م تعيين القاضي ناصر الظرافي

١٩٦٤-١٩٦٥م تعيين عبده كامل الذي استشهد نفس السنة.

١٩٦٥-١٩٦٦م إنابة القيادات العسكرية (مشلي القايضي ومحمد الوسع)

١٩٦٦م تعيين القاضي أحمد العرشي

١٩٦٧م تعيين النقيب عبد الله محسن ثوابه

٦٧-٦٩م احتلال الملكية صعده

١٩٦٩م دخول العميد/ مجاهد أبو شوارب صعده كقائد ومحافظ

١٩٧٠م تعيين عبد الله بن يحي الصعدي

١٩٧١م تعيين عبد الملك الطيب

١٩٧٢م تعيين أحمد عبد ربه العواضي

٧٢-٧٤م تعيين محمد بن ناجي القوسي

٧٤-٧٥م تعيين حسين شرف الكبسي

---

(١) قدم لنا هذه المعلومات الوالد القاضي العلامة/ أحمد قاسم المداني أبقاه الله، مدير عام محافظة صعدة سابقاً.

٧٥-٧٧م تعيين المحافظ ناصر الظرافي

٧٧-٧٨م تعيين أحمد زيد الرضي

٨٧-٧٩م تعيين محمد حسن دماج

٧٩-٨٣م تعيين هادي الحشيشي

٨٣-٨٤م تعيين يحي مصلح مهدي

٨٤-٨٥م تعيين حمود محمد بيدر

٨٥-٨٧م تعيين يحي محمد الشامي

٨٧-٩١م تعيين محمد شايف جار الله

٩١-٩٣م تعيين محمد علي القيرحي

٩٣-٩٤م تعيين يحيى عبد الله الشايف وكيل ينوب عن المحافظ

٩٤-٢٠٠١م تعيين علي بن علي القيسي

التنمية في صعده:

اهتمت الدولة من بداية السبعينيات بصعده بعض الاهتمام إلا ان النظرة إليها ظلت قاصرة نوعاً ما وظلت في نظر الكثير من القيادات صاحبة القرار في الدولة ما تزال أسيرة النظام الرجعي وحداً بمعظمهم إلى القول أنها ما زالت ملكية حتى نهاية الثمانينات والذي بدوره حد من التطور والنهوض وجعل أبناء المحافظة يسايرون الوضع على مضض حتى تولى علي عبدالله صالح مسئولية الحكم في ١٩٧٨م فحظت باهتمام أكبر دفعها للاندماج في المجتمع وحظيت باهتمام كبير بعد تحقيق الوحدة فانطلقت التنمية وبدأت مناطق صعده تحتل اهتمام يتسم بالتطور المستمر فشيدت المنشآت ونفذت عدد من المشاريع الهامة. ويقول العميد/ محمد عبده الحرازي إن الزيارات المتلاحقة لمسئولي الدولة لمناطق محافظة صعده بعد قيام الوحدة وخصوصاً

زيارات فخامة الأخ الرئيس/ علي عبدالله صالح لعموم مديريات المحافظة خلال زيارات ثلاث[١] متعاقبة في العشر السنوات الأخيرة من القرن العشرين شكلت دافعاً واضحاً لعملية التنمية ودمج المجتمع الصعدي في المجتمع اليمني ادماجاً كلياً وبدأت صعده تتنفس الصعداء وتلج ابواب العصر خاصة بعد تنفيذ شبكة الطرقات الرئيسية إلى المناطق والذي كان له أثر كبير في التحرر من بعض القضايا الاجتماعية كالثأر والتخلف العلمي والثقافي.

وخلال هذا العقد من الزمن حققت صعده قفزات تنموية وتطور شامل فاتسع نطاق الخدمات وتزايد مستوى التعليم العام ودخل التعليم الجامعي المحافظة حيث شيدت كلية التربية[٢] وأضيفت عدد من الكليات الجامعية كنواة لجامعة صعدة مستقبلاً. [٣]

ولأن العزلة التي عاشتها صعده بمختلف مناطقها هي نتاج التظاريس الصعبة التي فرضت على المحافظة عزلة تزيد عن عقدين بعد الثورة فقد أدركت القيادة أهمية استكمال شبكة الطرق الرئيسية في المحافظات فتم تنفيذ مشروع خط صعده- حرض، (الخط الدائري الشمالي)[٤]، ومشروع (خط صعده - كتاف البقع - خباش)[٥] خلال العقد الأخير من القرن العشرين وفي

(١) زيارات ثلاث متعاقبة: الرئيس علي عبدالله صالح أول رئيس في ظل حكومة الثورة يزور محافظة صعده وقد اسهمت هذه الزيارات في تعزيز تواجد الدولة في هذه المناطق ودفعت عملية التنمية وتنفيذ المشاريع في مناطق الأطراف النائية.

(٢) كلية التربية: تم افتتاحها عام ١٩٩٣م من قبل الدكتور/فضل أبو غانم وزير التربية والتعليم الأسبق وكان حينها عميد شئون الطلاب بجامعة صنعاء.

(٣) نواة للجامعة: تم إضافة كليتي الآداب والعلوم في ٢٠٠٠م وشراء أرضية ٢٠,٠٠٠حبلة وتسويرها وفي ٢٠٠٢م بدأ تنفيذ عدد من مباني الجامعة الجديدة.

(٤) الخط الدائري الشمالي: خط صعده- حرض بطول ٢٠٨كم يمر عبر عدد من المديريات الحدودية في محافظة صعده هي يسنم باقم- قطابر- منبه- غمر- رازح- شداء- الملاحيظ حتى حرض وقد تم بدء الشق الأولي فيه عام ١٩٩٠م بإدارة المهندس/علي أحمد القلمي مدير عام المشروع وبدأت السفلتة والأعمال الإنشائية من قبل شركة خط الصحراء العمانية عام ٢٠٠٠م وتكلفة المشروع تزيد عن ٧مليار ريال.

(٥) خط صعده- البقع: من صعده حتى خباش بطول ١٧٦كم بتكلفة ٥,٥مليار ريال بدء تنفيذه في ٩٣م حتى ١٩٩٥م وهو مشروع استراتيجي هام.

٢٠٠٢م بدأ تنفيذ مشروع (خط البقع – اليتمه – حزم الجوف) بطول ١٧٠كم وتنفيذ طبقة تقوية واسفلت لخط (صنعاء-صعده).

من المشاريع الهامة التي نفذت:

- المعهد العالي للعلوم الطبية.
- مشروع إنارة مناطق الأطراف.
- محطة كهرباء صعده.
- (٤٠٠) مدرسة مرحلية للجنسين.
- (٨٩) منشأة صحية (مراكز صحية ووحدات رعاية أولية).
- (٣) مستشفيات أحدهما (السلام) نفذته السعودية في ١٩٨٢م وتكفلت بتشغيله حتى اليوم.
- (١٨) مراكز رشادية.
- (٢٠) مشاريع مياه الشرب.
- (٧) سدود وحواجز مائية.
- (٦) خطوط طرق رئيسية بطول ١٠٠٠كم.
- (٥) سنترالات مواصلات بطاقة ٥٠,٠٠٠خط هاتفي.

وقد أسهمت عملية التنمية الشاملة في محافظة صعده خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين في أحداث نهوض شامل ثقافي وسياسي اقتصادي واجتماعي في مختلف مناطق المحافظة كان له الأثر الكبير في كسر الانغلاق الذي عاشته صعده سنوات طويلة بعد الثورة وكسر العزلة التي فرضت على هذه المناطق نتاج ظروف سياسية تمثلت في سببين هامين:

الأول: عدم استيعاب أبناء المناطق للانتقال المفاجئ في نظام الحكم لعدم

وجود أيادي لهم في الحكم الجديد بعكس السابق الذي كان لهم ايادي فيه وموقع متميز.

الثاني: النظرة الخاطئة من الدولة وغالبية صناع القرار السياسي إلى صعده واعتبارها ملكية أكثر من كونها جمهورية حتى ١٩٨٠م والذي كان له أثر كبير في حرمانها من المشاريع الضرورية لدعم عملية التنمية والذي جعل المواطنون يستشعرون هذه النظرة لتفرض عليهم انطواء وابتعاد عن المسرح السياسي برمته حتى ١٩٨٥م الذي بدأت صعده تفلت من قيود العزلة المفروضة وتعيش انفتاح متسارع مكنها من مواكبة الحياة الجديدة والاندماج فيها وتحقيق انطلاقة وثابه على كافة الأصعدة وغدت تحتل أهمية كبيرة، في الحياة السياسية اليمنية.

وقد شكل هذا التحول التنموي الكبير سبباً لدفع بعض الحكومات الصديقة الداعمة لعملية التنمية في اليمن وفي مقدمتها (حكومة مملكة هولندا) و (الحكومة الألمانية) لتبني تنفيذ عدد من المشاريع التنموية في المحافظة حيث تواصلت زيارات السفير الهولندي والسفير الألماني لصعدة لبحث سبل تنفيذ عدد من المشاريع التي تم الاتفاق مع الحكومة اليمنية لتنفيذها في محافظة صعده خصوصاً في مجالات الكهرباء والمياه.

المبادرات الأهلية في عملية التنمية:

وفي خضم القفزات التنموية الجبارة التي شهدتها محافظة صعده خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين (١٩٨٠-٢٠٠٠م - ١٤٠٠-١٤٢٠هـ) اسهم أبناء المحافظة إسهاماً كبيراً في دفع عملية التنمية في مناطقهم من خلال تنفيذ شبكة الطرقات الفرعية إلى العزل والقرى والمناطق والإسهام في تنفيذ عدد من المدارس والمعاهد ومشاريع المياه وغيرها من المشاريع الخدمية والتنموية.

إلا ان بناء وعمارة المساجد في صعده شكلت الصورة الواضحة والبارزة للمبادرات الأهلية والخيرية حيث اهتم رجال الأعمال ورؤوس الأموال

والمشائخ والتجار ببناء وتشييد المساجد الضخمة في عموم المناطق وعلى وجه الخصوص في مدينة صعده (عاصمة المحافظة) وبعض المدن الأخرى.

ومن أبرز المساجد الحديثة التي شيدت في صعده على نفقة المواطنين:

جامع نوح:

من أعظم وأبدع وأجمال المساجد الحديثة التي شيدت في محافظة صعده في القرن الرابع عشر الهجري جامع نوح غرب مدينة صعده بـ٣كم في مدينة السلام الجديدة شيده التاجر/نوح أحمد محمد مرق السحاري سنة ١٩٩٠م.

ويعد آية من الروعة والجمال والفن المعماري البديع بني من الحجر الأبيض والأسود الحبش بطول ٤٠م و٤٠م عرض يتكون من طابقين العلوي للنساء يطل من الداخل على الطابق السفلي وبه قبة ضخمة تتوسط الجامع وله صوح واسع من الحجر الأسود الحبش من الجهة الجنوبية وحمامات حديثة ودورات مياه وله مئذنة عالية من الحجر الأبيض والمطرز بالحبش يصل طولها إلى ٢٥متراً، وتم تأثيثه بأفخر الأثاث وله محراب جميل من الخشب المنقوش والمزخرف البديع وللجامع حزام منقوش بخط بديع وجميل مكتوب فيه (لله نور السموات والأرض)...

إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم والآخر... الآية.

ويتسع جامع نوح لـ١٥٠٠ مصلي تقريباً ويتولى الإنفاق عليه التاجر المذكور.

جامع النور

مسجد عظيم بين صعده ورحبان شيده الشيخ/ قائد شويط علي سنة ٢٠٠٠م-١٤٢٢هـ بتمويل من فاعل خير، بني من الحجر الأبيض (البلق) والأسود (الحبش) بطول ١٦م وعرض ١٦م وله صوح جنوبي من الحبش ودوره مياه وبه محراب من الخشب النفيس والمزخرف المنقوش جميل الصنع

بديع المنظر وقبة في سقف الجامع وحزام مكتوب على طول امتداد الواجهة الداخلية (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم والآخر...) الآية، وبه تقام الجمعة والجماعة ويتسع لقرابة ٦٠٠ مصلي.

جامع جميدة:

مسجد جميل البناء في مدينة السلام شيده التاجر/أحمد سالم جميدة سنة ١٩٨١م وشهد عدة توسعات يتميز بروعة تصميمه ورونقه يبلغ طوله ٣٢م وعرضه ٣٢م وله صوح من البلاط وحمامات ودورة مياه وبه تقام الجمعة والجماعة ويتسع لقرابة ١٠٠٠مصلي.

جامع الغمري:

تم تشييده عام ١٩٨٤م كجامع متواضع في قلب مدينة السلام ثم تمت توسعته عدة مرات كان آخرها في عام ٢٠٠٠م فأصبح واسعاً نسبياً بني من الحجر الصم على نفقة فاعل خير مع كافة توسعاته ويتسع لـ٧٠٠مصلي، وبه تقام الجمعة والجماعة.

جامع ابن سلمان:

بناه التاجر محمد منصور سلمان من سحار سنة ١٩٨٨م على نفقته وشهد توسعات عدة آخرها سنة ١٤٢٢هـ يتسع لـ ١٢٠٠مصلي وبه تقام الجمعة والجماعة وهو مسجد كبير به صوح واسع ودورات مياه ومرافق متكاملة وعليه قبة ضخمة شيدت مؤخراً.

الجامع الكبير بضحيان:

جامع واسع عظيم البناء، يتسع لقرابة ٨٠٠ مصلي وبه دورات مياه ومرافق متكاملة.

الجامع الكبير برحبان:

المسمى بـ(قبة الشريفه) جامع واسع قديم البناء هد إلى قعره وبني على

انقاضه مسجداً واسعاً تقام به الجمعة والجماعة ويتسع لقرابة ١٢٠٠مصلي وقد بني على نفقة أهالي رحبان.

جامع الإمام علي:

جامع الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بني سنة ١٤٠٦هـ وتكفل ببناءه القاضي/يحي محمد جعفر على مقربة من باب السلام الباب الغربي لسور صعده (باب المنصورة) يتسع لقرابة ٨٠٠مصل وبه صوح واسع مرصوف بالبلاط يوجد في نهايته من الجنوب قبر باني الجامع وتقام به الجمعة والجماعة.

جامع فليته:

جامع قديم هد إلى قعره وبني على أنقاضه مسجد جديد على نفقة الحاج أحمد حسن قلالة بني من الحجر الأبيض وله مئذنة حجرية وحمامات حديثة وصوح من الحجر الأسود الحبش ويتسع المسجد لـ١٥٠٠مصلي وتقام به الجمعة والجماعة والى جوار الجامع من الجهة الجنوبية مساكن مجاورة من طابقين أوقفت لصالح المسجد.

جامع الهيري:

مسجد قديم هد إلى قعره واعيد بناءه كلياً على نفقة المحسن الكبير/جرمان محمد جرمان وإخوانه سنة ١٩٩٥م وموقعه وسط مدينة صعده القديمة غرب قشلة صعده.

جامع قحزة:

شيد في المدينة الجديدة في (قحزة) على نفقة فاعل خير وهو جامع جميل تقام فيه الجمعة والجماعة بفعل موقعه في قلب التجمعات السكانية الجديدة. ومدينة (قحزة) تكونت مع بداية ١٩٩٥م كامتداد لمدينة صعده.

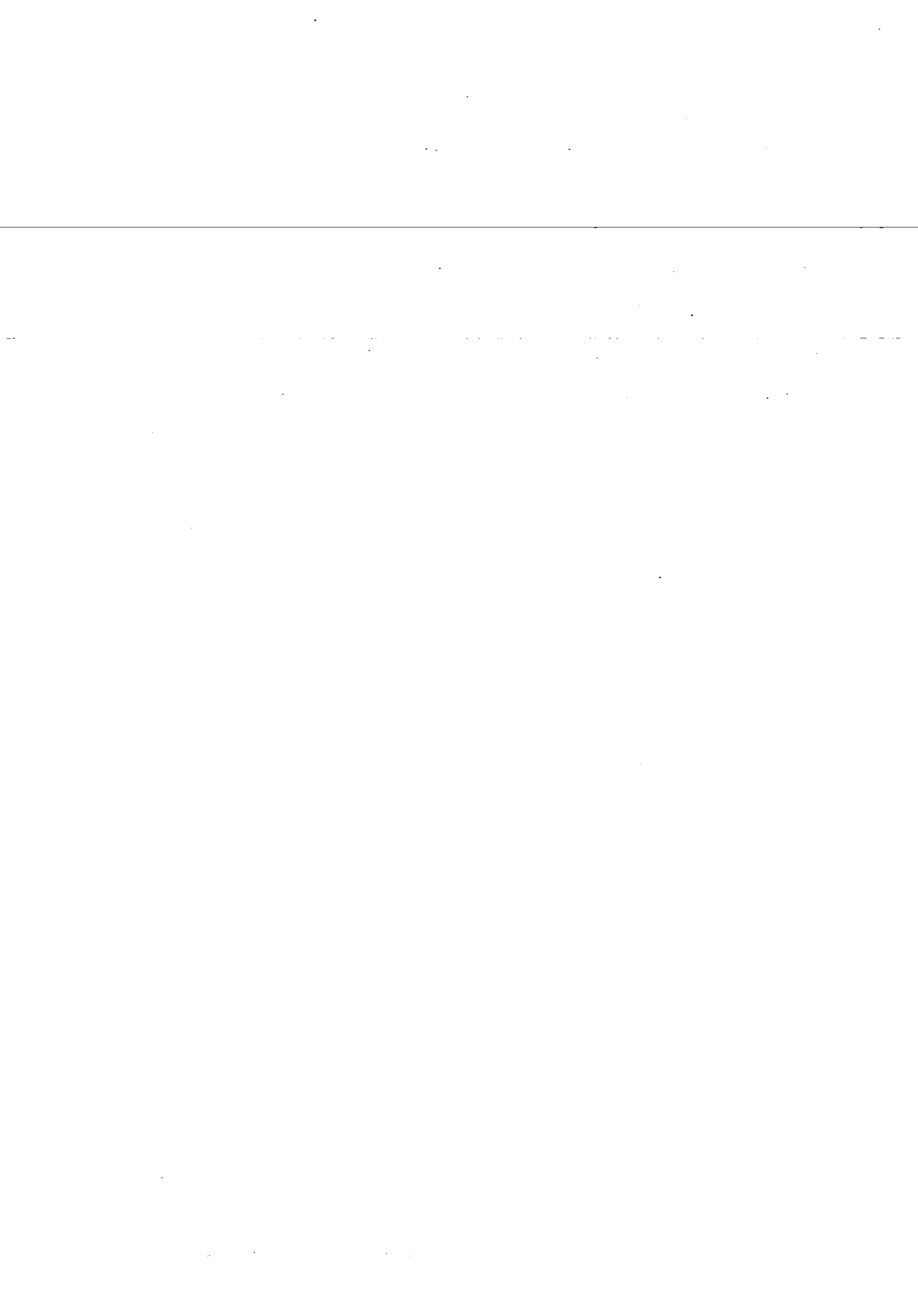
وبالحمزات جامعان:

جامع الوطن: ساهم فيه رئيس الجمهورية، وكثير من أهل الخير تقام به الجمعة والجماعة ويتسع لما يقارب ٥٠٠ مصلي (طول ٢٠×٢٠ عرضاً).

جامع الهذيمية: جامع شيد من الحجر الأبيض الأصم سنة ١٤٢٤هـ، ساهم في بناءه وتوسعته أهل الخير مع مرافقه الحديثة تقام فيه الجمعة والجماعة وطوله ٢٠متر × ٢٠متر عرضاً ويتسع لما يقارب ٥٠٠ مصلي[١].

وهناك جامع الحسينية شيد في ١٤٠٣هـ على نفقة أهل الخير في الحمزات.

(١) ذكر لي ذلك السيد العلامة/ محسن صالح جعدان الحمزي أبقاه الله.





الرئيس والقيادات المسئولة - في زيارة صعدة ١٩٩٥م



الرئيس علي عبدالله صالح والعميد/علي محسن صالح قائد المنطقة الشمالية والغربية والعميد احمد مساعد حسين



الشيخ قائد شويط في لقاء مع العقيد/عبدالعزيز الذهب ابان معركة الدفاع عن الوحدة





الشيخ / عبدالله بن حسين الاحمر ومحافظ صعده السابق
في افتتاح عدد من المشاريع في ٩ / ٩ / ١٩٩٩م



السفير الهولندي وعدد من قيادات الدولة
اثناء افتتاح محطة كهرباء صعده الجديدة



ابتهاج بتوقيع معاهدة الحدود اليمنية - السعودية
في ٢٢ / ٦ / ٢٠٠٠م



السفير الالماني في زيارته لصعده
لبحث تنفيذ مشروع المياه والصرف الصحي لمدينة صعده



محافظ صعده وامير نجران في احتفال كرنفالي بصعده ١٠ / ١١ / ٩٨م

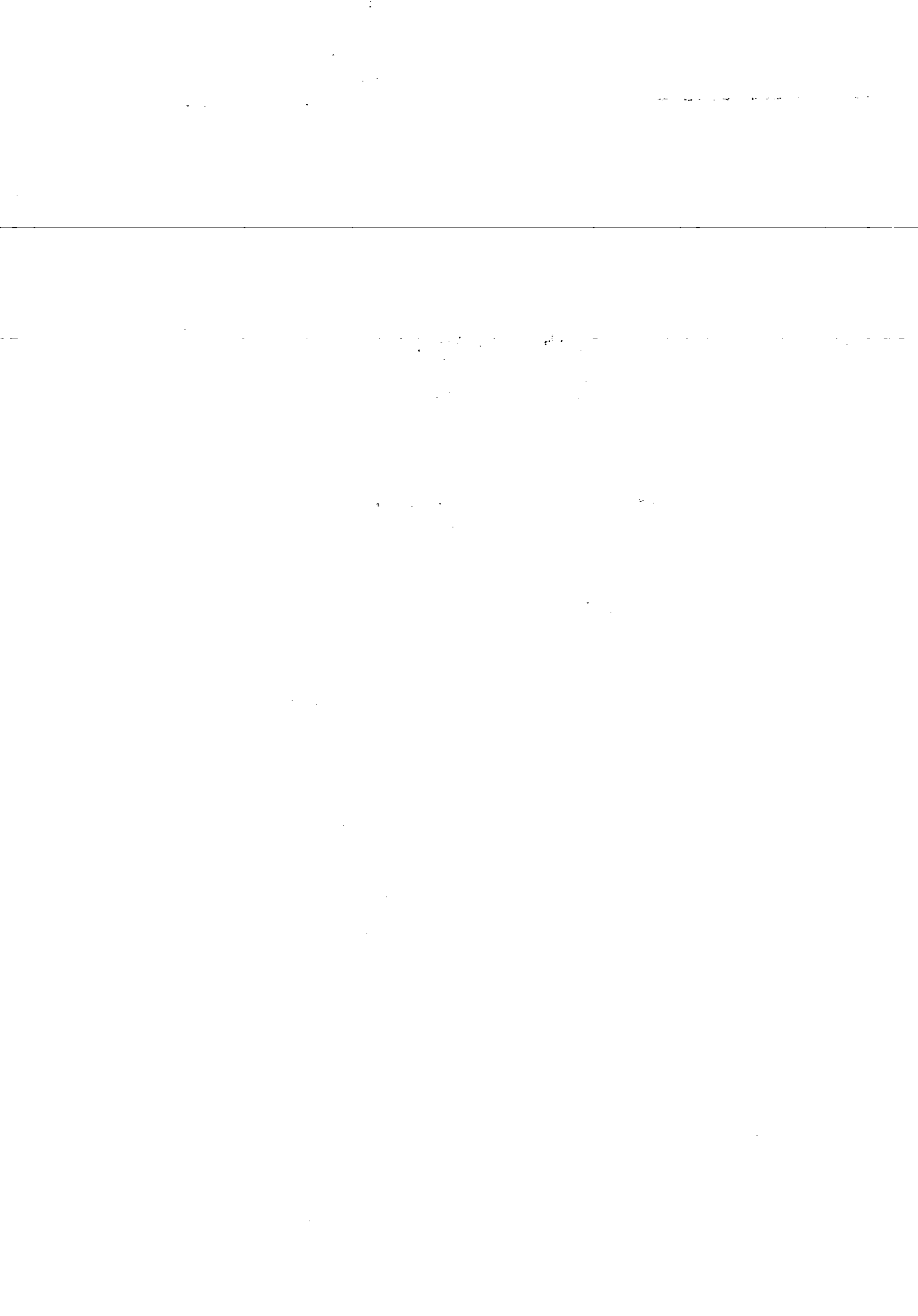


زيارة الامير مشعل بن سعود أمير نجران لمحافظة صعده

الباب الثالث

الحياة الاجتماعية

- التكوينات الاجتماعية
- العادات والتقاليد
- العرف القبلي
- الهجرات الصعدية
- قضايا اجتماعية



الحياة الاجتماعية

تتسم الحياة الاجتماعية في مناطق محافظة صعده بخصوصيات وتميز بفعل التركيبة الاجتماعية والتكوين القبلي المتسم بروابطه القوية والعرف القبلي الذي يعتبر المصدر الأول للتشريعات وحلول مشاكل المجتمع،(١) ووجود العادات والتقاليد الضاربة في القدم التي من الصعب جداً تجاوزها ولذا فإن الكثير من المفاهيم الاجتماعية والعادات والتقاليد والأعراف القبلية ما يزال المجتمع الصعدي يتشبث بها ولم تتمكن كل التحولات السياسية والاجتماعية العامة من النيل منها وتغييرها حتى في ظل الثورة التي أحدثت تغييراً جذرياً وشاملاً في حياة اليمنيين.

والحياة الاجتماعية في صعده هي انعكاس لمجتمع قوي متماسك ومحافظ تحكمه القيم والأخلاق والأعراف والمبادئ لتنسج في طياته أخلاقاً رفيعة وتقاليدَ حسنة تعكس روح الترابط.

التكوين الاجتماعي:

تتكون المجتمعات الصعدية من مجموعة من القبائل. والقبيلة هي (إطار اجتماعي قوي ومترابط يجمع أبناء المجتمع في مختلف ظروف الحياة سلماً وحرباً).

ومن خلال القبيلة استطاعت التكوينات الاجتماعية الصعدية المحافظة على ذاتها وترابط وتماسك أبناءها عبر قرون طويلة منذ الأزل وقد تجمع القبيلة عدد من المناطق والعزل أو عدد من القبل أحياناً فـ(همدان) تجمع قُبُل

(١) المصدر الأول: ما يزال العرف القبلي حتى الآن المصدر الأساسي في حل كثير من قضايا المجتمع القبلي وحلول مشاكل المجتمع للأفراد والجماعات.

(شاكر- وايلة- العمالسة- آل عمار- همدان الصفراء). وجُماعة تجمع قبائل (مجز- منبه- باقم- قطابر) بينما خولان عامر تجمع قبل (رازح - حيدان- ساقين- غمر- شداء - الظاهر) وتضم أيضاً (سحار) الربيعة إليها من حيث النسب التاريخي مع اعتبارها قبيلة مستقلة ذات إطار مستقل علي الواقع الاجتماعي وإذا كانت القبيلة تنقسم إلى مجموعة (عزل ومناطق) قبل صغيرة فإن القبيلة تنقسم في ذاتها من حيث التكوين الاجتماعي والتركيب القبلي إلى:

١- المشائخ (الأقيال).

٢- السادة (الهاشميين).

٣- القبائل (السواد الأعظم في المجتمع).

٤- أرباب المهن (الصناعون والمهنيون).

٥- أهل الذمة (اليهود).

١- المشائخ:

علية القوم في المجتمع وأصحاب العقد والحل وهم رؤساء القوم وتختلف أهميتهم باختلاف موقعهم القبلي ويأتون من أوساط المجتمع ومن قلب السواد الأعظم في المجتمع (القبائل) إلا ان أبرازهم وكفاءتهم ودورهم الاجتماعي المشرف يدفع بهم إلى موقع السيادة والمشيخ وينقسم المشائخ إلى طبقات هي:

* **الشيخ المرد (المراغه):**

أعلى سلطة في القبيلة ويعد شيخ القبيلة برمتها أو شيخ مجموعة قبل إليه ينتهي السؤدد والشرف والرياسة ومرجع القبل أو القبيلة في الاختلافات والنزاعات المختلفة ولدى الشيخ المرد (كتب أسلاف وأعراف القبل) وهي مرجع عند الاختلاف.

*** شيخ القبيلة (شيخ الضمان):**

الموقع الثاني في الرياسة القبلية وهو شيخ قبيلة مستقلة مطاع في قبيلته ورئيسها المباشر الذي ترجع إليه مختلف القضايا والنزاعات ليصدر أحكامه فيها وصاحب الأحقية الأول في التصرف في شئون القبيلة.

*** شيخ الشمل:**

الثاني في سلم المشيخ في القبيلة وهو شيخ مجموعة من العشائر التابعة للقبيلة، أو مجموعة من الأفخاذ والقرى.

٣- السادة والأشراف:

الهاشميون الممتد نسبهم إلى (البيت النبوي الشريف) وينقسمون إلى (حسنيين) و(حسينيين) وهم كيان راقي في المجتمع في العلم والمعرفة ولهم مكانة خاصة وقد ظلوا على مدى قرون طويلة من الزمن غاية السؤدد والشرف وقمة الهرم الاجتماعي باعتبارهم مرجع الفكر الزيدي وأسر عريقة توارثت العلم والفكر والإمامة كابراً عن كابر وهم أسر محافظة جداً انجبت أعلام العلماء والأئمة الحكام الذين حكموا اليمن قرابة عشرة قرون كاملة[1] وقد وفدوا إلى اليمن في القرن الثالث الهجري[2] وتناسلوا وانتشروا في عموم مناطق وأرجاء اليمن، ومن هذه الفئة كان بروز القضاة والحكام والفقهاء في الفترات الطويلة الماضية ولا يمنع بروزهم من بروز أبناء القبيلة (القبائل) المتعلمين الذي يصلون إلى مستويات تعليم تؤهلهم لذلك.

أما في عهد الثورة بفعل توسع رقعة التعليم فلم تعد مثل هذه المراتب

---

(١) عشرة قرون كاملة: استطاع الهاشميون السيطرة وحكم اليمن طوال أكثر من عشرة قرون من (٢٨٤هـ-١٣٨٢هـ) وتوالى على الحكم قرابة ٦٧إمام منذ عهد الهادي يحي بن الحسين حتى الناصر أحمد يحي حميد الدين.

(٢) الثالث الهجري: بدأت وفادة الهاشميين إلى اليمن بعد تأسيس الهادي للدولة الهدوية الزيدية في صعدة أواخر القرن الثالث الهجري سنة ٢٨٤هـ [ويُعدُّ الإمام علي بن أبي طالب (ع) أول هاشمي ورد اليمن].

الهامة محصورة وحكراً على السادة الهاشميين وغدا التعليم والتأهيل هو شرط الوصول إليها.

القبائل:

هم السواد الأعظم في المجتمع.

وتنقسم القبائل إلى (بدو) و(حضر) حيث ينتشر البدو في المناطق الصحراوية والجبلية الشرقية في بلاد وايله كـ(المقاش) و (أتيس) و (العطفين) وفي بلاد جماعة في آل مشيخ- منبه وسروم والنقعة مديرية الصفراء، ومناطق قليلة في صعده وحياتهم لا تعرف الاستقرار ويمتهنون الرعي بصورة أساسية ويتجهون مع الأيام إلى التحضر والاستقرار، أما بقية مناطق صعده فحضرية سواء كانوا في المدن أو في الأرياف في القرى والعزل التي امتهنت التجارة والزراعة والصناعة والمهن المختلفة[1].

وتعتبر فئة (القبائل) أهم تكوينات المجتمع الصعدي ومرتكز الفئات الأخرى إذا ما استثنينا فئة السادة الهاشميين فبمرور الوقت يصبح القبيلي نتاج عدة عوامل كالثراء والوجاهة والأعمال الجليلة لصالح المجتمع في مرتبة (شيخ القبيلة) وقد تدفعه الظروف المادية الصعبة إلى امتهان أعمال الحدادة أو النجارة أو الجزارة أو غيره ليصبح من (اصحاب المهن) وقد تدفع عملية التعليم والكفاءة العلمية بالقبيلي إلى مراتب القضاء والتفقه ليصبح قاضياً أو فقيهاً ناهيك أن أهل الذمة (اليهود) أيضاً هم جزء من فئة (القبائل) إلا أن الاختلاف العقائدي جعلهم أصحاب كيان مستقل داخل القبيلة.

وغالباً ما تتكون القبيلة ذاتها من مجاميع لمختلف الفئات (مشائخ، سادة، قبائل، أهل المهن، أهل الذمة) يعيشون في إطار واحد وحياة واحدة مع امتيازات في المراتب والوجاهة والشأن.

---

(١) انظر الباب الأول في (المساحة والسكان).

المهنيون:

هم الصناع وأصحاب الأعمال المهنية الذين يعيشون على خدماتهم للمجتمع في أعمال الصناعة والخدمة العامة والجزارة والدواشين والخرازين وما أشبه ذلك ويتمركز القسط الأكبر منهم في المدن في إطار احتياج المدينة من هذه الخدمات كالعاملين في المطاعم والفنادق والجزارة بينما يتركز قسط بسيط منهم في الارياف كالدواشين والقائمين بخدمة الناس في الأعراس والمناسبات ويسمى (مزين) ويقوم بأعمال الذباحة والخدمة ودق الطاسة والمرفع.

اليهود (أهل الذمة):

عندما لاح فجر الإسلام واشرقت أنواره على العالم وتناقلت القبائل العربية في شبه جزيرة العرب فضائله ومضامين دعوة النبي المبعوث محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس تدافعت القبائل العربية إلى المدينة المنورة تعلن إسلامها وكان في طليعتها القبائل اليمنية التي أسلمت في وقت مبكر ومنها قبائل خولان بن عامر القضاعية في الأطراف الشمالية(١) وقبائل همدان بن زيد التي تتكون من عدد من كبريات قبائل اليمن كـ(أرحب) و(حاشد) و(نهم) و(سفيان) و(يام)(٢) و(وايلة) و(دهم)(٣) في السنة السابعة للهجرة مسجلة مرحلة جديدة من الانتقال العقائدي لليمنيين الذين كان بعضهم ما يزال على الديانة اليهودية والبعض الآخر رهن الوثنية وعبادة الأصنام، وفي عهد الخليفة أبي بكر الصديق والخليفة الثاني عمر بن الخطاب شملت الديانة الإسلامية عموم مناطق اليمن باستثناء عشائر قليلة ومناطق محدودة ظلت تعتنق اليهودية ويسمون (أهل الذمة) لا تجب عليهم الزكاة وفرضت عليهم (الجزية) مقابل حماية المسلمين لهم ويمارسون حياتهم وطقوسهم بحرية كاملة في عموم

---

(١) انظر الحياة السياسية في (صعدة في العصر الإسلامي).

(٢) يام: قبيلة من همدان بن زيد تتبع اليوم إمارة نجران.

(٣) دهم: أبناء شاكر بن لهم بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن العصب بن دومان من بكيل.

مناطق اليمن ومع حركة الزمن ومرور القرون قرناً بعد قرن اعتنق الكثير من اليهود الإسلام واهتدوا إلى الدين الحق الذي أشارت إليه كتبهم السماوية وبشرت فيها بظهور أحمد النبي الخاتم فسمي هؤلاء (المهتدين) في عدد من المناطق وسموا في البعض الآخر بـ(المسلمانيين)[١] وحتى نهاية القرن العشرين الميلادي كانت قرى ومناطق اليمن لا تخلو من أفراد وأسر يهودية مع وجود تجمعات لهم وكيانات كبيرة في بعض المناطق كـ(ريدة) و(صعده) و(صنعاء) وكان (القاع) في صنعاء يسمى حتى وقت قريب بعد الثورة بـ(قاع اليهود).

وخلال النصف الأول من القرن العشرين شهدت اليمن في سنة ١٩٤٥م هجرة كثير من اليهود اليمنيين إلى إسرائيل وفي العقد الأخير من القرن كانت أكبر هجرات اليهود اليمنيين إلى اسرائيل بفعل الحوافز التي منحت لهؤلاء المهاجرين والاغراءات الكثيرة فكانت أوسع الهجرات ليهود اليمن إلى اسرائيل لأنها شملت كل مناطق اليمن وبأعداد كبيرة جداً أكثر من نسبة ٩٠% من اليهود ولم يتبق منهم سوى النزر اليسير[٢] موجودين في مناطق تجمعاتهم الأصلية كـ(صعده) و(ريده) وإذا كان "قاع صنعاء" و"ريده" قد شكلت تجمعات يهودية كبيرة خلال هذا النصف الأخير كقاعدة لليهودية في اليمن فإن محافظة صعده قد مثلت ثالث أكبر هذه التجمعات التي اتخذت من (مدينة صعده) و(الهجر) بـ(حيدان) وعدد من قرى سحار كـ(سبهلة في المهاذر) و(الصحن) و(غراز) ومن مناطق (شعبان وآل علي) برازح وفي بعض مناطق ساقين ووايله[٣] وآل سالم مناطق تكتلات كبيرة تمارس فيها طقوسها الدينية المختلفة وتتخذ من الأعمال المهنية كـ(صناعة الفضة)[٤] و(صناعة

---

(١) المسلمانيين: حديثي العهد بالإسلام الذين تركوا اليهودية واعتنقوا الإسلام.

(٢) حدثني بذلك العيلوم اليهودي يوسف موسى مرحبي من الحيد – وادي غرير – آل سالم.

(٣) في بلاد وايلة: في مناطق أملح وكتاف وآل أبو جبارة وغيرها.

(٤) صناعة الفضة: اشتهر بها على وجه الخصوص يهود مدينة صعده وهم يهود المدن، أما يهود الأرياف فكانت (الدباغة) و(صناعات الثياب الجلدية مع الفراء) أبرز نشاطاتهم.

الثياب المصنوعة من الفراء)[١] و(الدباغة للجلود) و(صناعة الفرد) [٢] و(صناعة الأحذية) وكانوا رواد هذا العمل وهذه المهن التي بدأت تختفي مع نهاية التسعينيات في عموم اليمن ولم يتبق منها سوى (صناعة الفضة) التي ظلت مزدهرة في صعدة حتى نهاية السبعينيات وفي الهجرة الأخيرة حمل هؤلاء المهاجرون معهم فنون وخبرة هذه الصناعة[٣] ومطابع الفضة ولم يتبق لبقية هؤلاء اليهود في صعده سوى الصناعات الفضية البسيطة من صناعة الخواتم والحِلَق والمكاحِل والعسوب الفضية والمطابق والمباسم ومـا زالت دكاكينهم في مدخل مدينة صعدة القديمة عند (باب اليمن) وقد خلف هؤلاء اليهود ورائهم الكثير من المصنوعات والتحف الفضية والحلي التي كان اليمنيون يعتمدون عليها في تزيين النساء وحلت بدلاً عنها المصنوعات الذهبية من قلادات واساور وغيرها وما تزال الأسواق اليمنية مليئة حتى اليوم بهذه المصنوعات المتميزة في صورها وأشكالها ودقة صناعتها التي تعكس خبرة عريقة فريدة من نوعها في المنطقة العربية برمتها.

الهجرات الصعدية القديمة:

مما لاشك فيه أن اليمن هي منبع العرب وهي ذلك الخزان الذي أروى بقاع العالم بالهجرات المتواصلة المختلفة في زمانها ومكانها بحيث انتقلت من اليمن إلى شتى الأقطار والبلدان عبر المراحل الزمنية المتفاوتة العديد من القبائل اليمنية والبطون فاستقروا في بلاد الشام والعراق ومصر وبلاد المغرب وتوطن منهم جموع وقبائل أخرى في أقصى الغرب والشرق كبلاد التبت

---

(١) الثياب من الفراء: مثل (القصيرة) وهي بشكل كوت و(مزابي الأطفال) من الجلد (والفروة) فرش تحت الأطفال، و(الجروم) مفردها (جرم) دجلة مع الفرو من خارجها يكون لونه أبيض أو أسود أو غيره.

(٢) صناعة الفرد: مفردها (فردة) وهي بمثابة (المفرشة) اليوم أو (السجاد).

(٣) خبرة هذه الصناعة: كان اليهود حتى منتصف القرن يقومون بصناعة كافة أنواع الحلي القديمة من الفضة وكثير من متطلبات الزينة والتحف وروادٍ هذه الصناعة بلا منافس. وكما يقول العيلوم اليهودي يوسف مرحبي أن المصنوعات الذهبية حلت بدلاً عن مصنوعات الفضة وعصفت المنافسة الأجنبية بكثير من الحرف والصناعات القديمة.

والأندلس وبلاد ما وراء البحار ولعل أهم الأسباب التي دعت إلى الهجرات اليمنية المتواصلة هو ما شهدته اليمن عبر العصور الماضية من الأحداث التاريخية الهامة منها انهيار سد مأرب ورحلات التجارة والفتوحات الإسلامية ومروراً بالصراعات السياسية والحروب التي عاشتها اليمن في عهود الدول المستقلة ولذا ورغم مرور القرون العديدة لازالت الكثير من الأسماء المكانية في العديد من الدول تشير إلى هذه الهجرات اليمنية المختلفة في الأندلس والمغرب العربي وبلاد الشام والرافدين وغيرها من البلدان والأمم والتي ما زالت الأسماء اليمنية منحوتة في ذكريات الزمان وفي معظم هذه البلدان ومناطقها.

وعلى مدى قرون كاملة من الزمن شهدت صعده الكثير من الهجرات التي ذكرها المؤرخون ومن أشهرها هجرة الهلاليين من مشرق اليمن في المناطق الصحراوية البدوية ما بين نجران إلى حضرموت واستقرارهم في برقه وقابس ومن ثم تونس والمغرب العربي وليبيا حيث كان هؤلاء البدو يسكنون وسط الجزيرة العربية وكانت مساكنهم في بلاد صعده تتمركز في المناطق الشرقية في بلاد وايلة بن شاكر وقد تركوا وراءهم الكثير من الكتابات والنصوص والنقوش القديمة في مناطق تواجدهم في وادي أتيس والعطفين والعقيق، كما تدل على ذلك نقوش ونصوص (جبل ميهر) ولايزال أبناء وايلة جيلاً بعد جيل يتناقلون أحاديث وأخبار أبو زيد الهلالي وشروده إلى رأس جبل ميهر وحكايته مع ضيوفه وقوله:

شردنا من الضيفان إلى رأس ميهر[(١)] وجينا وميهر مهبط الضيفان

ومن الهجرات الصعدية القديمة التي تذكرها كتب التاريخ هجرة قبائل "شعب حي" الخولانية من صعيد صعده إلى صعيد مصر قبل الإسلام حيث تولى اخراج هذه القبيلة من خولان إلى مصر عمرو بن زيد بن مالك المسمى

(١) ميهر: جبل في منطقة وادي اتيس بلاد وايلة سكن به الهلاليون قبل هجرتهم إلى المغرب العربي.

(المغرق الأكبر) وهو من بني سعد بن خولان وقد سمي بالمغرق لأنه أركب أصحابه البحر فغرق بعضهم فسمي بهذا الاسم.[1]

وقد كانت قبائل شعب حي من أكبر القبائل الخولانية التي امتدت مساكنها من سفوح جبلي عنم وخنفعر حتى قلب مناطق ساقين.

أما في العصر الإسلامي فقد انتشرت قبائل همدان بن زيد وخولان عامر في عموم حواضر الإسلام منذ العام التاسع للهجرة وتزايدت حدة هذه الهجرات بعد أن فتح الخليفة الراشد/عمر بن الخطاب مخلاف خولان في السنة ١٣هـ ومنها تفرقت القبائل في الفتوحات الإسلامية في الشام ومصر وافريقية والأندلس حيث استوطنت قبائل خولان وهمدان هذه البلدان المفتوحة وشكلت تكتلات كبيرة وبزغ منها عدد من القادة الأعلام والعلماء الفضلاء يقول المؤرخ/محمد عبد القادر مطرف في كتابه "الجامع":

"أعتنقت خولان الإسلام سنة ١٠هـ وعدهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خير القبائل لكنهم ارتدوا ثم أعادهم أبو بكر الصديق إلى الإسلام وقد افترقت خولان في الفتوحات الإسلامية فنزل كثيراً منهم الشام ولعب آخرون دوراً مهما بين اليمنيين الذين اشتركوا في فتح مصر والأندلس، وكانت لهم خطة بالفسطاط وكانو يتربعون في قرى أهناس والبهنساء والقيس من محافظة الميناء، وهم أصحاب مصلى خولان الشهيرة، كانوا كثيرين بمصر وعلى شواهد القبور بكثرة في أوراق البردى، وكان عمرو بن قزحم الخولاني أحد القادة العظام في جيش عمرو بن العاص أحد الذين اشتركوا في تخطيط الفسطاط وكان من وجوه شيعة عثمان، وكان ابنه عبد الرحمن بن عمرو من رجال الدولة في عهد سلمه بن مخلد، وكان عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني (٦٩-٨٣هـ) من أفقه الناس وقد جمع له القضاء و(القصص) رواية التاريخ الإسلامي وبيت المال وكانت لخولان القيادة في الشعر في مصر فكان منهم

---

(١) الإعلام ٧٨/٥ قصة الأدب في اليمن /٢٣٦.

الشاعر/مسرور الخولاني والشاعر/يحي الخولاني الذي عرف بتعصبه الشديد للعروبة، ومن كبار الفاتحين بالأندلس السمح بن مالك الخولاني.[١]

كما برز من أعلام خولان من مصر مالك بن شراحيل بن عمرو الهمداني المعروف بالخولاني قاضي مصر (٨٥هـ) وكان من جلساء الخليفة/عمر بن الخطاب وعده السيوطي من الأئمة المجتهدين.[٢]

ومع مجيء الإمام الهادي يحي بن الحسين بن القاسم الرسي من جبل الرس[٣] إلى صعده تشكلت الدولة الزيدية ووفد إلى صعده اعداد كبيرة من أنصار الإمام الهادي وتنامى عدد البيوت الهاشمية في صعده فأقاموا الهجر العديدة وتفرقت أنسالهم في عموم مناطق اليمن وخلال هذه الفترة الزمنية الممتدة من القرن الثالث الهجري حتى القرن الثالث عشر هجري تحولت صعده إلى محطة اشعاع فكري وعلمي وغدت من أهم الحواضر اليمنية وتدفقت إليها جموع المهاجرين[٤] من العلماء وطلاب العلم من كل اليمن فاستقروا بها وشكلت الأوضاع السياسية السائدة آنذاك ومحاولات نشر العلم والفكر الزيدي وتولي المناصب السياسية المختلفة في عهود الأئمة الحكام عامل انتقال الكثير من الأسر الصعدية إلى عموم اليمن فهاجرت الكثير من الأسر إلى مناطق صنعاء وشهارة وذمار وإب وغيرها.

أما الهجرات الخارجية فلم تسجل كتب المؤرخين أي هجرات إلى خارج اليمن باستثناء هجرة الحمزيون إلى براك الشاطي بلدية سيها من ليبيا الشقيقة وسميت هناك بالحمامزة وما زالت تعرف بهذا الاسم حتى الآن وفي فترة سابقة كنت قد تناولت بعض الهجرات القديمة من صعده إلى المغرب العربي

(١) جامع المهاجرين/ ١٩٩.

(٢) المصدر السابق/ ٤٥٠.

(٣) جبل الرس: بالمدينة المنورة.

(٤) المهاجرين: تناقلت الكثير من الأسر الهاشمية من صعده إلى مختلف مناطق اليمن فاستوطنوها كشهارة وذمار وكوكبان وثلاء وغيرها.

في عدد من الصحف لأفاجأ برسالة من أبناء هذه القبيلة تتساءل عن مدى معرفتي حقيقة أنسابهم تقول الرسالة:

نحن أفراد قبيلة الحمامزة بليبيا المقيمين في مدينة براك الشاطئ بلدية سيها لا يخالجنا شك حسب الوثائق التي لدينا أننا من اليمن الحبيب وقد بينت لنا إحدى الوثائق ان جدنا سافر من اليمن إلى المغرب ولم يعرف كيف كان سفره حتى استقر في ليبيا؟! وهل سافر من اليمن حتى انتهى إلى براك وهذا هو السؤال الذي نتساءل عنه منذ القدم ولقد تبين لنا من الوثائق التي لدينا أسماء الأجداد الذين انتقلوا من اليمن إلى المغرب ثم إلى ليبيا حيث استقروا بها إلى هذا الحين وتبين لنا من الوثائق بأن الجد الأكبر من صعده باليمن واليكم بيانات توضح اسم الجد الذي استقر في مدينة براك الشاطئ ببلدية سيها بليبيا وهو (محمد أبو دالي بن حمزة عبد الله بن حمزة بن سليمان بن داود حمزة بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحي بن عبد الله بن الحسن) وقد جاء إلى ليبيا عام ١٠٨٠م هذا ما بينته الوثائق التي بحوزتنا وقد علمنا ان الجد الذي خرج من اليمن من الوثائق هو (سليمان بن حمزة) وهذا موجز أسماء النسب التي لدينا والتي حصلنا عليها من الوثائق التي كتبها جدنا الفقيه (محمد ابودالي) الذي من براك الشاطئ بفزان ليبيا.

نرجو من الله العلي القدير أن يوفقكم في البحث عن أهلنا في بلادنا اليمن الحبيب وان يجمعنا على خير بكم وبهم.

أخوانكم/ قبيلة الحمامزة- مدينة براك الشاطئ

فزان – ليبيا

الحمامزة وموطنهم الأصلي:

ومن خلال هذه الرسالة يتأكد لنا استمرارية الهجرات اليمنية القديمة على مدى القرون الماضية ومن خلال ما قدمته هذه الرسالة من معلومات يتبين لنا ان هذه القبيلة اليمنية الأصل التي سكنت وعاشت على مدى تسعة قرون كاملة هي فرع من أولاد عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن الحسن العالم المشهور الذي ذاع صيته في القرن السادس للهجرة ومن الأرجح أن الذي هاجر إلى المغرب هو حمزة بن عبد الله بن حمزة حيث أنجب ولده محمد (أبودالي) هناك ثم تواصلت الهجرة إلى ليبيا لتستقر فيه هذه الأسرة في مدينة براك الشاطئ ببلدية سيها وهذه الهجرة لم تكن جماعية كما يتصورها البعض بدليل إغفال الكتب التاريخية لها وعدم الإشارة إليها وقد ظل البقية من أولاد عبد الله بن حمزة في منطقة الحمزات على بعد ٥-٦كم من مدينة صعده التاريخية وقد لعبت الحمزات دوراً هاماً في مقاومة الأتراك حتى نهاية القرن التاسع الهجري ومنها ظهر الأمراء الحمزيون الذين شاركوا في حكم اليمن في تلك الفترة الزمنية العصيبة من تاريخ اليمن ولا زالت الحمزات حتى اليوم ذات أهمية كونها إحدى أهم مناطق الزراعة في صعده وملاذ العلماء علاوة على كونها تلعب دوراً في النشاط التجاري الذي تتمتع به المحافظة وهي من أجمل ضواحي صعده لذا فهجرة الحمامزة بدأت من صعده إلى براك ورغم مرور تسعة قرون ما زالت تحتفظ بنسبها واسمها مع تحريف بسيط هو نتيجة فارق لهجة المواطنين في اليمن وليبيا. [١]

(١) الثورة العدد (١٠٢٩٧)، الثلاثاء ٢٦رجب ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٣/١/١٩م.

العادات والتقاليد:

اتسمت صعده بخصوصيات اجتماعية ومميزة خاصة مكنتها الاستقلالية في واقعها الاجتماعي وقد كان للطابع القبلي المهيمن على الحياة الاجتماعية أثراً كبيراً في بقاء الكثير من العادات والتقاليد وظلت الكثير من المفاهيم الاجتماعية سائدة في عموم المناطق رغم التحولات والتغيير الشامل الذي احدثته ثورة اليمن وتعاظم واقع الإتصال الذي شكل قضاءً كبير على العزلة وخلق التواصل بين المناطق اليمنية المختلفة.

وظلت صعده بمختلف مناطقها متمسكة بالعادات والتقاليد المتوارثة منذ القدم وهي عادات حسنة وطيبة تعكس روح الإخاء والإيثار والكرم والنخوة والمروءة بين أبناء المجتمع الصعدي ومن هذه التقاليد والعادات الآتي:

الغدير:

أهم وأعظم المناسبات الدينية في صعده يقام سنوياً في الثامن عشر من ذي الحجة من كل عام احتفاءً بذكرى يوم (غدير خم) عندما أسندت البيعة بالخلافة للإمام/علي بن ابي طالب[1] وتحيي قبائل صعده هذه الذكرى على مر القرون الطويلة أكثر من (١٤) قرناً من الزمن. قبل يوم الغدير تكتب اللافتات المحددة لموعد الغدير ومكان الاحتفال به وكتابة بعض الكلمات المعبرة عن الحدث وأهمية هذا اليوم وأبيات من الشعر تخط على الجدران العامة وفي ليلة الغدير تبدأ فعاليات الاحتفال والتعبير عن الفرحة باطلاق سيول من الطلقات النارية[2] في الجو تحول الليل إلى ضوء مسفر في كثير من مناطق صعده وخاصة مدينة صعده والمناطق المتاخمة لها في سحار وبلاد جماعة وهمدان وخولان ورازح (وفي الصباح الباكر يجدد عيد الاضحى ثوبه البالي وتخرج جموع من

---

(١) علي بن أبي طالب: الخليفة الراشد الرابع (٣٥-٤٠هـ) وقد اسندت إليه الولاية في غدير خم.

(٢) سيول الطلقات النارية: العيارات النارية تحول صعده في الليل في هذه المناسبة خوف ورهبة من ضخامة هذه العيارات التي تلون أجواء صعده بأضوائها الكاشفة.

الناس في كل حدب وصوب بالطاسات والمرافع والزوامل المعبرة في صفوف منتظمة نحو موقع الاحتفال بالغدير لتجتمع هناك في مشهد عظيم لا يتكرر في بقية العام. وحول جبل المخروق[١] شمال صعده تتوافد القبائل من كل منـاطق همدان وسحار وجماعة يزيدون عن (١٠,٠٠٠) شخص وفي قلب الزحام يلقي العلماء الخطب الطوال في مناقب الإمام/علي بن أبي طالب والأهمية التاريخية ليوم الغدير كما تنطلق من فوهات البنادق عيارات نارية طوال ساعات الحفـل تقدر بمئات الآلاف من الطلقات وتفجير الألغام التي يهز انفجارها المكان كمـا يتم إطلاق عيارات نارية من مدافع مصنعة محلياً تعبأ بالبارود وتسد بـالخرق وتصدر اصوات قوية ويتبادل الناس السلام فيما بينهم في قلب الزحام ويمتـد الاحتفال حتى موعد صلاة الظهر من نفس اليوم.

وقد تباينت آراء الشيعة في استخدام العيارات النارية للاحتفال بهذا اليـوم وأصدر العلماء بياناً في السنوات الأخيرة دعوة إلى عدم اسـتخدام العيـارات النارية باعتبارها ضياع للحقوق وإتلاف للممتلكـات وخطـر علـى سلامة العامة.[٢]

ومن الزوامل الشعبية الرائعة التي تردد عند مسير الشـيعة إلـى جبـل المخروق للاحتفال بيوم الغدير.

* ســلام بــالمليون يقســم مثــل المطــر والله يعلــم
* تبلــغ أمــير المؤمنــين هــو ســيد الســادات
* يوم الغديــر يــوم معظــم مــن شــيده بــالفوز يغنــم

---

(١) جبل المخروق: مكان الاحتفال الدائم بعيد الغدير في صعده وهناك مناطق أخرى يقام بها الاحتفال في بقايا مناطق المحافظة كـ(شعارة) و(النظير) برازح و(المرازم) بخولان عامر.

(٢) هناك من يصر على بقاء استخدام العيارات النارية في التعبير عن الاحتفال حباً في الإمام علي كمـا يقولون رغم أن كل غدير ينجم عنه قتلى ومصابون وهؤلاء قلة من الشيعة خصوصاً وأعـلام العلمـاء ومنهم السيد/مجد الدين المؤيدي قد أصدروا تعميماً بنبذ هذه الظاهرة.

* وشـيعة أهــل البيــت مــا هــي تخلــف الميعــاد[1]

وزامل آخر يقول:

* يــا ســلام الله لم الحــاضرين مــن قريــب ومــن بعيــد
* يا بني هاشم ويــا شـيعة نبينــا يومكــم نــور ســعيد

في ولاية من تزكى في ركوعه

* محكم التنزيل بيملــي علينــا مــن تــأمل يســتفيد
* قد غدا من حبهم في الفــائزين يــوم مشــهود وشــهيد

ويــل مــن ينكــر على البــاري وقوعــه

الختــان:

في مناطق سحار وهمدان بن زيد يتم ختان الطفل في وقت مبكر.[2]

وفي منطقة جماعة يبلغ والد المختون أقاربه ومنهم أصــهاره بــالكفلان ويقول (كفالكم وحفظكم في وجهي) ويتوجب عليهم الحضور أما إذا لم يكفلــهم فإنهم يقبلون عليه بعدد كبير يصل إلى (٥٠-١٠٠) شخص ومعــهم الــهدايا والكباش ويكون تكليف هذه المطالب على صاحب الختان.

وفي الختان تتم التداريم[3] قبل الختان بأيام وفي صباح الختان تخرج لحمة المختون في زامل ويقفون أمام العرضة ويختتون الطفل والذي يتوجب عليــه ان يشرد[4] (وعلى جماعته أن يلحقوه ويرموا من أمامــه بالبنــادق وتطلــب

(١) مجلة العالم (تحقيق صحفي عن مركز أهل البيت للدراسات والبحوث بصعدة) العــدد ٦٦٥، في ٣/ أبريل/ ١٩٩٩م بعنوان (الاحتفال بعيد الغدير في صعدة باليمن ولاء لأهل البيت لم تغيره القرون).

(٢) ختان مبكر: في الأيام الأولى من ٧-١٢يوم وحتى سنة بينما في منبه يتم الختان في الخامسة عشر من عمر المختون (التفاصيل في فصل عادات وتقاليد من منبه) في مكان آخر.

(٣) التداريم: الرقصات الشعبية والبرع والأهازيج.

(٤) يشرد: يهرب ويفر من أمام الجموع.

رجوعه إلى البيت وإذا لم يلحقوه ليردوه كان عيباً عليهم.

العـزاء:

العزاء في الماتم تتم من أربعة إلى ثمانية أيام حيث يقيم صاحب العـزاء مخيماً ويستقبل المعزين صباحاً ومساء ويأتي المعزون بالأغنام وبعض السلع الأساسية ويقدمونها لأسرة المتوفىّ فأما المعزي القريب من الأسـرة والقريـة فينصرف بعد العزاء أما المعزي الآتي من مناطق بعيدة فيبقى ضيفاً، والأغلبية اليوم تضيف المعزي البعيد والقريب ويتحمل صاحب العزاء تكـاليف كبـيرة حيث يقوم بالذبائح طوال أيام المعزاء للعجول والكباش بحدود (٤-٨) كبـاش يومياً وعند دفن الموتى يتم كتابة لوح على القبر "من حجر البلق" يـدون فيـه اسم ونسب المتوفي وتاريخ وفاته وآيات من القرآن الكريم[١]، وقد عد الـهمداني صعده من مناطق النياحة على الموتى[٢] وهذا ما تؤكده مراسيم العزاء.

الأعـراس:

في الأعراس يتم البدء بتجهيز بيوت العريس وفي يوم الخميس[٣] الذي يبدأ فيه العرس يتم استقبال الضيوف عصراً حيث يبدأ أصحاب العـرس بـإطلاق الرصاص ترحيباً بالضيوف الذي يطلقون الرصاص أيضاً ومن ثم يصطـف المستقبلون والضيوف ويتم أداء زامل الترحيب ومن ثم الحوار والترحيب وتبدأ الرقصات والبرع على دقات الطاسات[٤] ويتم إدخـال العـروس إلـى بيـت العريس[٥] وفي اليوم الثاني يتم دعوة الأقارب والأصحـاب وأبنـاء القريـة للضيافة في موائد فخمة وفي السابق كانت الزوامل والطاسـات خـلال ليلـة

(١) انظر الباب السابع في الحديث عن مقابر صعدة للتوضيح.
(٢) قال الهمداني "صعدة وخيوان ويكلى من مواضع النياحة على الموتى" صفة جزيرة العرب/ ٣٢١.
(٣) الخميس: هو اليوم الذي يتم اختياره دوماً للأعراس في اليمن.
(٤) الطيسان: آنية مجوفة من النحاس مغطاة بجلد مزال الشعر يدق فيصدر صوت مميز، والمرفـع أصغـر حجماً يصدر صوت مختلف عن الطاسة.
(٥) إدخال العروس: يتم إدخال العروس إلى بيت زوجها في اليوم الثاني في بعض مناطق صعده كـالعبدين ومناطق خولان.

العرس هي آلية التعبير عن الفرحة وزفة العريس وقد حلت محلها الزفة التي دخلت حياة الناس بعد الثورة مع بداية الثمانينات للتعبير عن هذه الفرحة.

أما بعد العرس فتعود العروس إلى بيت الجد لمدة ٣-٦-٧ أيام لرد الجد[1] وفي رازح عادات وتقاليد أخرى مميزة في هذا الجانب حيث يعتبر عقد النكاح بداية الزواج فيحق للزوج الإقامة في بيت أهلها واعتباره زوجاً وعند تيسر حالته يمكن له إقامة مراسيم الزواج وإقامة العرس،[2] ولو بعد سنوات من الزواج.

الضيافة والكرم الأصيل:

الكرم العربي الأصيل يتجلى بوضوح في كرم الضيافة الصعدية ولا يجاريها في ذلك أي من مناطق اليمن فقد توارث الصعديون كرم الضيافة جيلاً بعد جيل فالضيوف لهم مكانة خاصة ووضع خاص لدى أبناء القبيلة حيث تمد للضيوف الموائد الفاخرة الحافلة بأطيب أصناف الطعام ويتفانى الجميع في خدمة الضيف وتلبية مطالبه والترحيب به بين الحين والآخر وما يقدم للضيف الوافد يعكس سخاء وكرم نادر وفي مقدمة القبائل المضيافة في بلاد صعده قبائل (سحار) و(همدان) و(جماعة) و(وايلة) و(الحمزات) ومن الأقوال القديمة الدالة على كرم قبائل شاكر همدان (وايله، دهمه) قولهم "حياكم الله وحيَّ شاكر قوماً يفادون الضيوف باكراً ويطعمون الضيف والمجاور".

وكرم الضيافة لا ينعكس فقط في ضيافة الوافد فحسب بل هي عادة اعتادت عليها القبائل في المناسبات والأعراس والعزاء حيث يقوم صاحب الشأن بذبح الكباش، بأعداد كبيرة بمعدل كبش واحد لجماعتين (الجماعة من

---

(١) رد الجد: مسمى لعودة العروس إلى بيت أبيها بعد العرس في سحار وتسمى في بلاد جماعة (دعي المحق) ويكون خروجها بعد أسبوع، وفي سحار أصبح رد الجد يوم واحد تلتقي فيها أسرة العريس والعروس في سهرة جماعية.

(٢) إقامة العرس بعد سنوات من الزواج في رازح: كانت هذه العادات معمول بها حتى وقت قريب لكنها انقرضت مع بداية العقد الأخير من القرن العشرين.

٧-١٠اشخاص) وبهذا القدر تقدم بقية الأطعمة ويحـرص الصعديـون علـى ضيافة الغرباء وتقديم الأطعمة للوافدين وعابري السبيل وبلغ كـرم وسـخاء النفس لدى بعض من عالية القوم وكبار المشائخ والتجار ان بيوتـهم مفتوحـة للغاد والباد والقريب والبعيد على حدٍ سواء لا يسألون الوافد والمغـادر عـن شأنه.

ولعل هذا الكرم الأصيل المتجذر في النفوس قد أكسبهم سمعة طيبة وخلـق لهم مكانة مرموقة في نفوس الناس على مستوى اليمن فنـالوا مـا لا ينالـه الآخرون بحسن الكرم.

وطوال بقائي في صعده أكثر من عقد من الزمن لم أر في حياتي مأدبـة عظيمة تماثل مأدبة أقامها التاجر الكبير/جرمان محمد جرمان وإخوانه علـى شرف القيل اليماني الشيخ/ عبد الله بن حسين الأحمر خلال زيارتـه صعـده ومعه جموع عظيمة من قبائل حاشد وبكيل وغيرهم عام ١٩٩٩م حيث امتـدت المأدبة إلى الفناء الواسع لداره المشيد في البقلات لتكفـي قرابـة ١٥٠٠فـرد بأفخر الطعام وقدر المذبوح حينها بـ٦٠عجل و٢٠٠كبش وآل جرمـان وآل شويط من البيوت العامرة بالكرم في القرن العشرين بصعده.

الأعياد الدينية:

تتمثل الأعياد الدينية في عيد الفطر وعيد الأضحى ومع إعلان نبأ العيـد السعيد ليلة العيد يبدأ إشعال النيران (التناصير)[1] على قمم الجبال فـي ريـف صعده وفي المدن الآهلة بالسكان تعبيراً عن الفرحة والسرور وتبـدأ عمليـة الاستعداد للعيد منذ وقت مبكر حيث يتم تنظيف الأثاث في البيـوت الصعديـة وطلاء الجدران الداخلية للمنازل ومع حلول أول أيام العيد ينهض الصعديـون مبكرين لصلاة الفجر وتناول الإفطار والتأهب للخروج إلى مصلى العيد فـي

(١) التناصير: إيقاد النيران على رؤوس الجبال عادة يمنية متأصلة في كل مناطق اليمن وتوقد النيران ليـالي العيد (الفطر) و(الأضحى) والنيران عند العرب عشرة. (ذكرها كثير من المصادر التاريخية القديمة).

جماعات لأداء الصلاة وفي الريف يتجمع أبناء القرية الواحدة في موقع معين ثم يتوجهون بالزوامل المعبرة على دقات الطبول حتى يصلوا المصلى وبعد صلاة العيد يخرج الناس لقضاء الحاجات وشراء متطلبات العيد وتبادل السلام بين أبناء القرية أو الحي وزيارة الأرحام وإرسال بعض الصدقات للأسر الضعيفة والمحتاجة ومن ثم يقومون بزيارات العلماء أو يخرجون مع شيخ القبيلة في ضواحي المدن لزيارات المسئولين ورجال الدولة وفي عيد الأضحى يقوم الناس بذبح الأضاحي أول أيام العيد حتى اليوم الثالث بينما يفضل الأغلبية المطلقة ذبح أضحياتهم في اليوم الثالث.

المصاهرة والنسب:

تنطوي تحت راية القبيلة فئات وطبقات المجتمع المختلفة (سادة) هاشميون و(قبائل) مختلفي التصنيفات.

فالسادة الهاشميون المنتسبون إلى البيت الهاشمي من أولاد (السبطين الحسن والحسين عليهما السلام) وأولاد محمد بن النفس الزكية الممتد نسبه إلى الحسن بن علي عليهما السلام يشكلون جناح القبيلة الأول وقد جاءوا إلى اليمن واستقروا بها وكانت صعدة مهدهم الأول في اليمن في زمن الإمام الهادي عليه السلام ثم تناسلوا واستوطنوا بعد ذلك كثيراً من مناطق اليمن.

ويشكل القبائل الجناح الثاني الأهم والأكبر والأوسع وهم من أصول عربية عريقة يمتد نسبهم إلى حمير كقبائل خولان عامر والربيعة من أولاد عمرو بن الحاف بن قضاعة ويمتد نسب قبائل أخرى إلى كهلان بن سبأ كقبائل همدان (وايلة، ودهمة أبناء شاكر) ومن هذا الجناح انبثق (المشائخ) (القضاه) (الفقهاء) (القبائل) العاملين في التجارة والزراعة إلى جانب (أهل المهن) الصناعيين وأهل الخدمة ويعود هذا الانبثاق في التكوين الأساسي نتاج ظروف سياسية واقتصادية على مدى فترات طويلة دفعت بهؤلاء إلى علية القوم وبأولئك إلى أدنى سلم التكوين الاجتماعي.

وقد شكلت الأنساب حواجز بين هذه الأجنحة والتكوينات في الكثير من العلاقات الاجتماعية ومجرياتها لتشكل اربعة حواجز اجتماعية قوية خلقت أربع مكانات في المجتمع:

١- الحاجز الأول بين السادة والقبائل بمختلف تكويناتها.

٢- الحاجز الثاني: بين القبائل (مشائخ، قضاة، فقهاء، قبائل) و(أهل المهن).

٣- الحاجز الثالث: بين السادة وعلية القوم (المشائخ، القضاة، الفقهاء).

٤- الحاجز الرابع: بين السادة و(أهل المهن).

وقد شكلت اختلافات الأنساب والواقع الاجتماعي للأفراد أثراً كبيراً في خلق حاجز منيع في المصاهرة بين أفراد القبيلة على مختلف تكويناتها (سيد، شيخ، قاضي، فقيه، قبيلي، مهني) إذ أن من أساسيات المصاهرة التساوي في النسب أو التماثل في التكوين الاجتماعي غالباً مع إمكانية أن يتزوج الفرد من الطبقة الأدنى فنادراً ما يزوج السادة الهاشميون أفراد التكوينات الاجتماعية[1] (المشائخ، القضاة، الفقهاء، القبائل) مع ان هؤلاء السادة قد يتزوجون من هذه الفئات ومن القبائل السواد الأعظم، مع وجود تقارب بدرجات متفاوتة في المكانة الاجتماعية مع ان هناك حالات محدودة لزواج الشيخ أو القبيلي من السادة وهذا لا يعني التقليل من قيمة ومكانة الشيخ أو القبيلي إنما هو من باب العادات المتاصلة في المجتمع. مع أن هناك من المشايخ والقبائل من هم أصحاب مكانة رفيعة في المجتمع وزعامة في القبيلة تخضع لها مختلف الفئات بما فيها طبقة السادات وهذا الحاجز المنيع بين الفئات للتصاهر قائم منذ القدم خصوصاً بين (القبيلي) العربي و(السيد) الهاشمي العربي (فالقبيلي يزوج ولا يتزوج من السيد) و(السيد يتزوج ولا يزوج القبيلي) وبرغم أن الحياة المدنية ورياح العصر قد طمست الكثير من التكوينات الاجتماعية في بوتقة واحدة إلا

(١) هذا الحاجز شهد تداعيه نسبياً مع حلول القرن الأخير.

أنها لم تتمكن من كسر كلي لهذا الحاجز بين القبيلي والشريف في كثير من مناطق اليمن عامة وصعده على وجه الخصوص وبشكل أكبر، أما أصحاب المهن من الصناعيين الذين يطلق عليهم (اهل الثلث) في بلاد صعده فعملية المصاهرة محدودة بين أفراد هذا التكوين الاجتماعي ومن الاستحالة الزواج من الفئات الأخرى التي تعزف عن الزواج من هذه الفئة باعتباره منافياً لتقاليد القبيلة ومن هنا يتضح ان عملية المصاهرة والزواج لا تستند في الغالب على المعايير الشخصية للفرد وإنما على أساس النسب والتكوين الاجتماعي للفرد.

الأزياء والسلاح:

اعتاد الصعديون على لبس الملابس (الأثواب) الفضفاضة ويشدون أوساطهم بحزم جلدي في وسطه الخنجر المعروف بالجنبية التي تتخذ ميولاً جهة اليمين للقبائل بينما القضاة والسادة فيلبسون الخنجر (الجنابي) بصورة مميزة بحيث تتخذ ميولاً أكبر جهة الشمال ومن الملفت للنظر أن قبائل صعدة تضع الجنبية بشكل مميز ومرتفع عن غيرها من المناطق (عند السرة) فتبدوا مناظرها عمودية تماماً ليس لها ميول من رأسها إلى الأمام مثل بقية مناطق اليمن وفي مناطق جماعة (منبه) (مجز) (باقم) (قطابر) يتمنطق أبناء هذه المناطق بدلاً عن الجنابي بسلاح آخر هو (السبيكي) ذو الغمد والذي يشكل نصف سيف يحل محل الجنبية و(السبيكي) سلاح فتاك مصنوع من حديد قوي سميك نسبياً مرهف الحد أشبه بالسيف المعروف.

ويلبس أبناء قبائل صعدة في المناسبات (المحزق) وهي أحزمة جلدية تتشكل على صدر الفرد خطين (×) ويسمى (المسبت) في بعض المناطق ويتلاقى في أسفل الصدر مع (الشكة) وهي حزام إضافي فوق حزام الجنبية والسبيكي، وكلاً (الشكة) و(المسبت) تصنع من الجلد ويصنع بها فتحات متجاورة توضع الطلقات الخاصة بالأسلحة التي يتمنطقون بها (البندقية) ويعتبرونها ضرورة من ضرورات الحياة وكمال الملبس وتأخذ (الشكة)

و(المسبت) أهمية أكبر وعناية لدى أبناء قبائل همدان في المناطق الشرقية للمحافظة (وايلة-دهمة) ابني شاكر.

ومن مميزات الأزياء الصعدية (العمامة) المدورة الشكل ذات اللون الأبيض والتي يتخذها السادة والقضاة.

ويتعمم القبائل بـ(الصماطة) التي تأخذ الوان شتى ومطرزة يتم عصبها على الرأس وتختلف من منطقة إلى أخرى فهناك (عصبة همدانية) (عصبة سحارية) (عصبة جماعية) (عصبة رازحية) كما تختلف من طبقة إلى أخرى فتكون عصبة المشائخ والأعيان والتجار ذات تميز وهي من قماش فاخر غال الثمن ويحرص هؤلاء على ارتداء الدجلة وهي كوت طويل يمتد إلى أسفل الركبة وهي مميزة لعلية القوم حتى غدت مضرباً للمثل فيقال (دجلة شيخ) وكذا (عصبة شيخ).

حمل السلاح:

الصعديون يعتبرون السلاح من ضرورات الحياة ومقومات الأمان منذ القديم بفعل ما شهدته مناطق صعدة من صراعات سياسية وحروب وحياة لم تعرف الأمن والاستقرار قرون طويلة من الزمن.

وإذا كانت الجنبية (الخنجر) التي يتمنطقها أبناء صعده عموماً باستثناء قبائل جماعة (قطابر، باقم، منبه، مجز) الذين يتمنطق غالبيتهم (السبيكي) وهو سيف قصير فإن البندقية تلازم غالبية أبناء القبائل في الريف والمدينة في الحل والترحال ويشعرون دوماً بأنها الرفيق الأصدق والأكثر وفاءً.

يقول الصحفي سليم زبال في استطلاع نشرته مجلة العربي الكويتية[1] عن صعده بعنوان (صعده على طريق الانفتاح بعد انغلاق استمر أكثر من ألف عام).

---

(١) العربي/ العدد ١٨٨ يوليو ١٩٧٤م، ص٧٦/٧٧/٧٨.

"...في شوارع صعده لا يسير الناس إلا والأسلحة على الأكتاف وكأنما الحرب على الأبواب بينما العكس صحيح فليس هناك حرب أو حتى شبح حرب.. لكن الناس من فرط تعودهم على الحرب نسوا الحياة في سلام.

ويقول: عندما زرنا أحد معارض السلاح قال بائع السلاح في معرضه عبد الله جابر الغرازي.. ماذا تريدون؟ لغم صيني.. قنبلة؟!)

وعندما رأى دهشتنا قال: (أنتم ما عندكم قنابل في بلادكم.. هنا كل مواطن يمني عنده خنجر وبندق وقنبلة ومسدس ورشاش).

ومباني صعده تعكس الطابع الحربي للمدينة مساكن أشبه بقلاع مصنوعة من الأحجار والتبن والتراب سمكها ٦٠سنتيمتر.

اعتقادات قديمة خرافية:

اعتقدت القبائل الصعدية منذ القدم ببعض الخرافات الناتجة عن الحكايات الخرافية بسطوة الجن وتحكمهم في قضايا الناس فاتخذوا عدد من المواقع التي جرت فيها أحداث خرافية مواضع للتبرك وتقديم القربات والاستئذان عند الشروع في بعض الأعمال الفردية والجماعية.

ففي مديرية حيدان غرب مدينة صعدة بـ٥٠كم يوجد جبل يسمى (ابو زوبعة) يقدم له الأهالي السمن والعسل التماساً للبركة والتوفيق في كثير من الأمور وظلت هذه العادة سائدة حتى بداية العقد الأخير من القرن العشرين قرابة سنة ١٤١٢هـ.

وفي جبل بني عوير مديرية سحار جنوب مدينة صعدة بـ٢٠كم يوجد جبل مماثل يقال له (طايح) يعتقد ان الجن تسكنه وكانت تقدم له النذور من سمن وعسل يصب على موقع في الجبل للتبرك وطلب التوفيق.

وفي وادي "حنبه" مديرية قطابر من بلاد جماعة شمال غرب صعدة بـ٧٠كم وعلى مقربة من قرية الثاهر يوجد موضع يقال له (الصخرا) يعتقد

أن به مساكن للجن تقدم له النذور التي تصب على الصفيح الصخري من سمن وعسل ولباً (منتج حيواني طيب تخلفه البقر والأغنام عند ولادتها) للتبرك بهذه النذور وعندما يهم السكان بعمل جماعي كبير من قتال أو غيره يطلـــق أحــد الأفراد (٣-٤) أصوات قوية على مقربة من هذا الموضـــع لإشـــعار ســكان الموضع من الجن بهذا العمل وطلب العون والحماية وبعد ظـــهور الأسـلحة الحديثة (البنادق) تم استبدال هذه الأصوات بإطلاق بعض العيارات النارية.

ويفيد الشيخ/ جبران حسن الحنبي ان هذه العادات تلاشت منذ أكـثر مـن ثلاثين عام. أما في منطقة (آل مشيخ) مديرية منبه من بلاد جماعـــة شـمال غرب صعده بـــ٩٥كم فيعتقد السكان حتى وقت قريب أن (عبلة) ملكة الجـــن هي صاحبة الارادة وتتمتع بقدسية وإجلال فإذا حدث لأحد أفراد القبيلة خطـب معين أو رد على تهديد أو توعد آخر يقول صارخاً (أخو عبلة) بمعنـــى أنــه (أخو عبلة) بمثابة استنجاد وإعلام بأن (عبلة) هي نصيرة.

عادات وتقاليد من منبه

الزي المنبهي:

بإمكانك التعرف على أبناء منبه من خلال الزي المتميز الـــذي يلبســونه والشعر الكبير المجعود المتصل إلى الكتف وعلى الرأس طـــوق حديـدي أو نباتي ذو رائحة طيبة من (النباتات العطرية) وفي الوسط يثبت الكاذي وبعـض النباتات بحيث ينبعث من الفرد رائحة قوية وهناك أشـخاص يرتـدون علــى رؤوسهم أغطية (عصابة) من القماش الأسود الخفيف أو من الشاش المصبـوغ باللون الأسود أما المعوز (الإزار) الذي يلبسونه على النصف السفلي للجســم فمن نوعية قديمة كانت تستخدم في منتصف القرن في تهامة ومناطق صنعــاء وما حولها كـــ(شال) وهو قماش من النوع الكاكي القوي به خطوط عريضــة نسبياً ملونة تمتد من أعلى إلى أسفل ويستخدم البعض معاوز لماعة ويختلفــون عن بقية المناطق اليمنية اذ لا يحملون (الجنبية) المشهورة في كل اليمــن بــل

يحملون بدلاً عنها (السبيكي) وهي عبارة عن سيف قصير داخل غمد يشد على الوسط بشكل مائل كالجنبية ويشكلون مع مناطق فيفا وبني مالك ومناطق عسير في المخلاف السليماني نمطاً موحداً حيث يقعون جميعاً في إطار جغرافي وقبلي واحد ومن مظاهر اهتمام أبناء منبه الزائد بالمظهر العام تجدهم يحملون المرآة في جيوبهم ويتفقدون مظهرهم من حين إلى آخر أما النساء فيلبسن الملابس العادية بدون (خمار) غطاء الوجه وفي مناطق تلبس النساء قميص من الحرير الأسود ومعوز (إزار) مخطط كالذكور ومن الملاحظات العجيبة ان البيئة الجبلية والعزلة المفروضة على هذه المناطق بسبب تضاريسها الصعبة قد دفعت النساء إلى اكتشاف مساحيق طبيعية من أوراق الشجر ونباتات برية خضراء يتم سحقها ووضعها على اليدين والوجه وحول العينين ومواقع التعرض للشمس لفترة ٦-٨ ساعات يكون لها أثر كبير في تلطيف حرارة الشمس والحفاظ على نعومة الوجه واليدين وتعد المرأة في هذه المناطق شريكة الرجل في القيام بالأعمال اليومية وتقدر مشاركة المرأة في الحياة العامة بـ ٧٠% ولعل الحياة البدائية التي تتسم بها كثير من مناطق منبه هي تعكس عادات وواقع الحياة اليمنية القديمة قبل قرون فالبدو في المناطق النائية يعيشون على وجبة طعام واحدة في اليوم هي وجبة الغداء التي تتكون غالباً من السمن والحقين والخبز الذي يتم إعداده بصورة بدائية جداً من خلال اسطوانة حديدية صغيرة بحجم علبة حليب النيدو الكبير ولذا فإن هؤلاء البدو عند انتقالهم إلى المدن يتأففون من أكلات المطاعم ويفضلون أكل كسرة من الخبز وحبات طماطم أو بصل فقط. ولأن هؤلاء يعتمدون على المنتوجات الحيوانية من الألبان والسمن والعسل فإنهم في غاية الصحة وأجسامهم قوية ذات بناء سليم.

الختـــــان:

من أبرز العادات والتقاليد في منبه هو الختان حيث يتم ختان الذكر بعـــد وصوله سن الرجولة وقبل زواجه حيث يتم إحضار الختين أمام قبيلتـــه ويتـم ختانه بصورة بدائية من خلال قطع الجلد المحيط بالذكر بالمشرط (السكين) ثـم جذب الجلد الخارجي بقوة أشبه بالسلخ وعلى الختين التجلد والصبر وعدم إبداء أية مقاومة أو صراخ باعتباره عيباً ينقص من حقه بين الرجال وقد يؤدي إلـى رفض خطيبته الزواج منه لأنه ليس برجل، كما أنه مــن العيــب أن يجتمـع الشاب مع المرأة المتزوجة في حديث أما العذارى فيسمين (الخوالي).

مظاهر الشكيمة والضيافة والنجدة:

ولأن أبناء منبه يحتفظون بعادات وتقاليد أصيلة فــهناك عــادات جميلــة وتقاليد محببة جداً فهم أهل شكيمة وبأس وغيره على الــذات وإقــدام وشــدة ومراس ومن هذا المنطلق وقف المنبهيون أمام كل الإغراءات التي قدمت لــهم لتقديم كثير من التنازل في مسائل الحدود لصلابة انتمائـــهم وحبــهم للوطــن وافتخارهم به فترى الصغير متحمساً جداً للدفاع عن كل شبر من الوطن ويكاد يتفجر وطنية وحمية عربية ومن الأخبار العجيبة التي رويت أن لجان ترســيم الحدود بين اليمن والمملكة العربية السعودية (اللجنة الفنية) عندما زارت منطقة آل مشيخ لتجديد العلامات تصدى لها أبناء المنطقة ومنعوها وعندما أخــبرهم الفريق اليمني بأنهم مكلفون من الرئيس رفضوا أيضاً وقالوا (يروحــوا عنــد الرئيس) وهذا من باب الحماس للوطن والانتماء الصادق. كما يمتاز أبناء منبه بكرم الضيافة الأصيل والترحيب بالغريب ونجدة الملهوف ورغــم مصــاعب الحياة يقدمون للضيف الأكل والشراب والشاي وينصرفون عنه حتى يفرغ من الأكل كما لا يسألون الضيف عن مدة بقاءه لديــهم وأن تجـاوز عليــه أيـام ويعاملونه كواحد منهم لا يبخلون عليه بشيء ومن الحوادث العجيبة لي أننــي قمت بالسفر على سيارة خاصة بي (تكس) قبل استكمال تنفيذ الخط الدائــري الشمالي (حرض-صعده) الذي يشق منبه إلى نصفين وفي منعطف ترابي أمـام

هاوية كادت السيارة ان تخرج عن الخط ومنعها من السقوط تمسك أسفلها بصخرة فظلت معلقة فخرجت من الخلف منها في ذلك الجبل (أسفل جبل العر) المسمى (القهر) وفجأة شعرت بإطلاق النار من ربوة في الخلف وعندما ألتفت وجدت أحد الكهول يطلق النار من بندقيته القديمة (الجرمل) على أثرها توالت طلقات النار من كل جانب وتوافد العشرات الذين رحبوا بي، وعندما لم يجدوا سيارة شاص لسحب السيارة قاموا بربطها بعدة حبال من الخلف وقاموا بسحبها وإخراجها إلى الخط العام في إحساس وشعور طيب وعجيب نحو الغريب وضرورة النجدة وإغاثة الملهوف.

العرف القبلي :-

شكل العرف القبلي في مناطق صعده منذ القدم الركيزة الأساسية والمصدر القانوني الأول الذي على ضوءه تقوم العلاقات بين القبائل وبعضها البعض وبين القبيلة والفرد وبين الأفراد وبعضهم الآخر وهو الفيصل في حل النزاعات بين الأفراد داخل القبيلة ويكتسب العرف قوة القانون بفعل التعارف عليه واكتسابه القبول الدائم في أوساط المجتمع ناهيك عن قوة الترابط القبلي والمكانة المعتبرة للمشائخ وأعيان القبيلة ويكتسب (العرف) صفة إلزامية لا يجوز الخروج عنها، وللقبائل الكبيرة (مراغة) أو شيخ مرد هو مرجع القبل المتفرعة في أسلاف وأعراف القبيلة. ويعد (آل مقيت) في جماعة هو المرد لقبائل خولان عامر برمتها والتي تضم أربع قضوات هي (خولان) (جُماعة) (رازح) (سحار).

وفي القضايا ذات الاختلاف خصوصاً الحساسة منها تقوم الأطراف بالتحكيم إلى عدد من المشائخ أو شيخ القبيلة وكتابة (رقم التحكيم) إقرار بقبوله وتقديم (العدال) الضمانات أو ما تسمى في مناطق صعده بـ(الرباخات) ليتم وضع حلول ومعالجات للمشكلة وفق أعراف وأسلاف القبيلة. ومن خلال التحكيم يتم وضع حلول لأكثر المشاكل تعقيداً كالقتل والثأر ومنازعات القبل والقطاعات القبلية أو القضايا ذات الأهمية الكبيرة التي قد تؤدي إلى خلافات

على مستوى القبيلة أو منازعات وحروب قبلية واسعة بين قبيلتين أو أكثر (أطراف النزاع).

الرهائن:

الرهائن عبارة عن تقديم مجموعة أشخاص على ذمة قضية معينة كضمانة لتنفيذ اتفاق أو معاهدة بين طرفين كما بين الأئمة ومنازعيهم... وقد عرفت قبائل صعده هذه الظاهرة.. وعندما تفجرت الثورة في خولان عام (٩٣٥هـ-١٥٢٨م) عمل على التمثيل بالرهائن وقطع أيديهم وأرجلهم).[1]

وعندما دخل الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين اليمن (سنة ٢٨٤-٨٩٧م) لم يكن يمتلك عصبية كافية للسيطرة على اليمن اضطر إلى حجز رؤساء القبائل الثائرة كما فعل مع قبيلة وائله من قبائل همدان شرق صعده واحتفظ بهم رهائن ليضمن عدم ثورتهم على السلطة. إلا ان ذلك لم يكن استراتيجية لدى الهادي بقدر ما كان استخدام هذا النظام لظرف طارئ.[2]

وقد كان نظام الرهائن استراتيجية لدى كثير من الأئمة الذين حكموا اليمن وفي فترات النضال الوطني عمد الإمام يحي ومن بعده أحمد يحي حميد الدين إلى أخذ رهائن من القبل لضمان ولائها وطاعتها له وأودع الرهائن من أهل صعده في عهد الإمام أحمد في السخنة أكثر من عام.

والجانب الأهم في نظام الرهائن أخذ مجموعة رهائن لضبط الأطراف ومعالجة قضية مستعصية ومعقدة وإلزام الأطراف بالانصياع لها حيث تودع الرهائن السجن ولا يتم إطلاقهم إلا بعد إنهاء القضية كلياً ومن الجوانب السلبية لهذا العرف ان هناك أبرياء يدخلون السجن كرهائن ويظلون لسنوات دون معالجة القضايا المطلوبة.

---

(١) الفتح العثماني الأول لليمن سيد سالم/١٣٤، و(نظام الرهائن) أحمد محمد فقيه/مجلة الحكمة اليمانية العدد ٢١٠ في ١٩٩٨م. والثورة المشار إليها ثورة خولان على الإمام شرف الدين والذي دفع ولده الأمير المطهر بن شرف الدين إلى قتل ٦٠٠رهينة من خولان عامر والتمثيل بهم في حادثة شهيرة.

(٢) (دولة اليمن الزيدية) المجلة التاريخية المصرية مجلد رقم (٣) عدد ١ صـ٣٢ سنة١٩٥٠م.

النقــاء:

يعني في المفهوم القبلي قتل القاتل والتنقي منه لقتلـــه أخ أو أب أو أحــد أفراد المتنقي أو سيرة[١] وقد يكون التنقي بعد يوم أو شهر أو عام أو أكـثر وإذا لم يتنقَّ الموتور (قريب المقتول) تهبط منزلته إلى الحضيض ويصبـــح مثــار سخرية لأبناء قبيلته مهما كانت منزلته وشرفه بين القبيلة.

الظاهــرة:

هي قيام شخص من القبيلة باستئجار الدوشان لإعلان الظاهرة على المــلأ حيث يصعد إلى مكان مرتفع "دكان أو منزل" في قلب السوق ويصيح بـــأعلى صوته (ان قبيلة أبو فلان أو أن فلان بن فلان يشهد الغائب والحاضر أنــــه لا علاقة له بكذا وكذا... وأن فلان بن فلان..) ويحدد موقفه إزاء قضية معينة أو مشكلة كقتل أو نزاع قبلي أو غيره.

بهذه الظاهرة[٢] يخلى الفرد أو القبيلة مسئوليته من قضية معينة.

البيضاء:

رفع البيضاء هي عبارة عن خرقة بيضاء[٣] موضوعة على عصى مثـــل الراية ترفعها قبيلة معينة أو فخذ أو عشيرة وتطوف بها في الأمـــاكن العامـــة وفي مداخل الأحياء أو أحد أبواب المدينة في موقع بارز عرفان لقبيلة أو فخــذ أو عشيرة معينة واعترافاً بشهامتها ومروءتها في العفو عن القاتل الذي قتـــل أحد أفرادها عن طريق الخطأ بدون عمد، فرفع البيضاء هو عرفان وتقدير من جماعة أو قبيلة إلى جماعة أو قبيلة أخرى على موقفها النبيل والعفو عن قـــاتل دون أخذ أي شيء مقابل العفو.

(١) سيرة: السير الرفيق في الطريق والمعاش.
(٢) الظاهرة: يقول فيها الدوشان ما هو المراد إبلاغه للناس بأشهاره على الجميع.
(٣) خرقة بيضاء: قطعة من القماش الأبيض اللون.

القطاع:

القطاع[١] يتمثل في اعتراض وتصدي جماعة أو عشيرة أو قبيلة لجماعة أو عشيرة أخرى وأخذ بعض ممتلكاتها في طريق عام كرهينة لترديد فرد أو جماعة وإرجاعه إلى الصواب وإعادة حقوق مغتصبة أو مسلوبة أو حق ترفض تسليمه لأحد أفرادها والقطاع يأتي بطلب فرد أو أكثر من أفراد القبيلة بعد إخفاق الحلول وقد يقود هذا القطاع إلى قطاع مماثل من الطرف الآخر وفي نهاية المطاف يخضع المقاطعون للتفاوض أو التحكيم لإنهاء الخلاف.

ويقول الأخ/ عارف قائد شويط[٢] أن القطاع ظاهرة دخيلة على المجتمع الصعدي خلال العقدين الماضيين وأن القبيلة والمشائخ قادرون على ترديد كل خارج عن أعراف وأسلاف القبل دون حاجة إلى القطاع.

الغُرم:

حصة من المال يدفعها فرد القبيلة مع عشيرته أو قبيلته لتحمل تكاليف معينة كالضيافة والدية في القتلى وهناك غرم يدفعه الأفراد داخل الأسرة الواحدة حسب الاتفاق لتحمل تكاليف الأعراس والضيافة والختان وغيره وما يزال الغرم عادة قائمة من العيب تجاهلها والامتناع عن أدائها وهي ملزمة للفرد ويقول الحكيم الأول (من لا يغارم ويغرم له المنايا[٣] تشله) وتحدد الأغرام من خلال تحديد تكاليف ما تم احتماله من تكاليف وتوزيعه بالسوية بين الغرامة.[٤]

(١) القطاع: هو خلاف التقطع الذي يهدف إلى سلب ونهب ممتلكات وحقوق الآخرين دون وجه حق كما يحدث في الخطوط الطويلة للطرق الرئيسية.

(٢) عارف شويط: أكبر أبناء الشيخ/ قائد شويط علي من الشباب المتطلع ومن رجال الأعمال في صعدة.

(٣) المنايا: الموت والهلاك.

(٤) الغرامة: الأفراد الذين يدفعون الغرم في القبيلة أو العشيرة أو الأسرة.

نظام السَيِّر:

سير القاتل (رفيقه) إذا سار معه اكتسب الأمان داخل القبيلة ومن يجيره أحد أفراد القبيلة أو استجار به أصبح آمناً وإن سار معه في القبيلة أصبح في حماها وعيب قتله وإن كان خائف أو عليه قتل والذي يسير القاتل أو يجيره هو من له عرض والذي ماله عرض (مهني) لا تمكنه من تسيير قاتل والذي عيبوه في سيره (قتلوا رفيقه) ولو كان قاتلاً توجب عليه ان يتنقى له (قتل القاتل) وإذا لم يتنق من القاتل سقط شأنه وتحول إلى مرتبة من لا يجير ولا يسير كالدوشان والجزار[1] ويمتد الاجارة والحماية أحياناً إلى الجنين فمثلاً إذا تزوج الهمداني من السحاري وحملت زوجته (في بطنها جنين) ووقع حادث للسحاري في همدان وشل المرأة في يديه خرج من بلاد همدان بسبب حماية الجنين ولا يتعرض له أحد.

العيوب في القبيلة:

في سحار: عيب بط الزيل:

وهذا العيب على الذي يقتل سيرة (رفيقه) أو حليفه ويستلزم خراب بيته وقلع أشجاره وأعنابه وتدمير أملاكه وطرده من البلاد.

النقيصة:

وهي أن يقتل سيرك (رفيقك) وما هو (سيرك) أي أنه سار معك ولم ينبهك أنه خائف أو عليه قتل وما نبأك فهذا عيب نقيصة يتوجب دفع الدية كما يدفعها القاتل.

المربع:

المربع تمثل في عيب بسيط فمثلاً إذا حدث حرب بين قبيلة وأخرى

---

(١) يقول الشيخ/قائد شويط علي مفنداً أن غالب أسباب تحول بعض علية القوم وأصحاب الأعراض إلى مرتبة أدنى بين المجتمع لأنهم لم ينتقوا للمقتول بينهم وسيرهم (رفيقهم) في الحال والترحال.

وقامت القبيلة التي كسبت الموقف بأخذ القتلى وجب عليهم عيب مربع أربعة أمثال الشيء وفي بعض القبل يأخذ المحدعش[١] ١١أمثال الشيء.

الإخراج من الصحب:

تخرج القبيلة الفرد إذا خرج عن أعرافها وشروع القبيلة بعيب أو خيانة أو عمل يسيء للقبيلة وتتبرأ منه ليس عليها أي شيء عليه أو لها شيء منه ويتم إخراجه من الصحب بإعلان ظاهرة من الدوشان في السوق أو في مجمع عام.[٢]

الظواهر الاجتماعية السلبية

١- ظاهرة الثأر:

ظاهرة الثأر من أخطر الظواهر الاجتماعية التي تكبدت من جرائها قبائل صعده كثيراً ودفعت ثمنها غالياً من أبنائها النجباء وطالت المذنب والمسيء وهددت أمن واستقرار وترابط المجتمع القبلي فالمقتول ظلماً وعدواناً يدفع قرابته أو عشيرته إلى الأخذ بثأرها من القاتل أو أحد عشيرته إذا كانت عشيرة أو قبيلة القاتل لم تجنح للصواب ووفرت الحماية للقاتل ولم ترضخ لمطالب عشيرة وقبيلة المقتول وتسوي القضية قبلياً.

لذا فإن قضية القتل تعتبر عدواناً على القبيلة أو العشيرة يتوجب رده فتدفع لأحد قرابة المقتول إلى الأخذ بثأره من أحد قرابة القاتل أو من عشيرته ليحدث رد فعل[٣] من الطرف الآخر وبروز سلسلة من الثأرات قد تدفع بمجموعة إلى

---

(١) المحدعش: الشيء مضروباً في ١١مرة فالدية عند العيب ١١دية والبندق في العيب بـ١١بندق وهكذا.

(٢) إذا خرجت القبيلة الفرد من الصحب انقطعت صلته بها ولم تعد القبيلة مسئولة عنه أو تتحمل تبعات أفعاله وتصرفاته مع الآخرين، وليس لها حق أو دعوى ضد أحد إن حصل له مكروه أو غيره.

(٣) رد فعل: هناك نماذج كثيرة على حوادث الثأر في صعده بأعداد كبيرة منها ما دام لعقدين أو عقد زمني بعد تكبد الطرفين خسائر كبيرة في الأرواح من خيرة أبناء القبيلة. وتسمى بـ(الثأرات المزمنة) تلك التي مرت عليها عقود زمنية كاملة دون حلول جذرية ونهائية.

الاعتداء على مجموعة من الطرف الآخر والنيل منهم لتكبد الطرفين خسائر كبيرة في الأرواح وتستمر على ضوء منطق الحسابات الزايد والناقص والرابح والخسران لتمتد هذه الثأرات سنوات وأحياناً عقود زمنية كاملة يتوارثها الجيل اللاحق من السابق.

وقد برزت في مناطق صعده خلال النصف الأخير من القرن العشرين الميلادي عدد من الثأرات الزمنية التي ذهب جرائها خيرة الرجال فانتهى عدد منها وما زال عدد آخر من هذه الثأرات تقتات الرجال والممتلكات وتتطلب توجه عامٍ لمعالجتها ووضع الحلول الجذرية لها للقضاء على هذه الظاهرة خصوصاً وأن رغبة الناس في الاستقرار والحياة المستقرة قد حد من هذه الظاهرة التي يحاول أبناء القبائل تفاديها وتجنبها قدر الإمكان باعتبارها مصدر خوف دائم وعدم استقرار وتعطيل لمصالح الناس.

٢- غلاء المهور:

من أهم الظواهر الاجتماعية السلبية التي تعاني منها بعض المناطق وبرغم أنها ظاهرة خطيرة إلا أنها ذات إطار محدود في مناطق معينة وتتلاشى رويداً رويداً بمرور الأيام ولعل مناطق مديرية منبه في الشمال الغربي من المحافظة أكثر مناطق صعده التي عانت من جراء هذه الظاهرة حيث وصلت المهور فيها إلى حد خيالي وبملايين الريالات خاصة وأن أهالي مناطق منبه اعتادوا التعامل حتى وقت قريب ١٩٩٥م-١٤١٥هـ بالفرانصي (ماري تريزا) العملة الفضية التي كانت اليمن تستخدمها في بداية الثورة في السبعينات وكان الريال الفرانصي يعادل الريال الورقي (القرش) ورغم الارتفاع الكبير للريال الفضي باستمرار ليصل قبل سنوات إلى ٣٠٠ريال إلا أن أبناء المنطقة ظلوا يدفعون المهور بالعملة القديمة ليصل المهر من (٣٠,٠٠٠ إلى ٤٠,٠٠٠ريال) فرانصي وبعملية ضرب للمبلغ في قيمته الراهنة يصبح المهر أكثر من ٩مليون ريال وهو مبلغ خيالي خصوصاً في الظروف الريفية وانعدام مصادر العيش لأبناء هذه المناطق والذي شكل عزوفاً

لدى الشباب عن الزواج في غياب القدرة المادية. وقد شكل وصول شبكة الطرق لهذه المناطق بعد ١٩٩٦م أثراً في كسر الجمود الاجتماعي التي عاشته هذه المناطق وبدأ الناس يستشعرون مخاطر هذه الظاهرة ومن ثم إعادة النظر في المهور لتصل إلي واقع نسبي شبه مقبول إلا أن المعالجة الجذرية لهذه القضية المؤرقة للشباب لم تحل كلياً حتى الآن.

وهناك مناطق وعزل من صعدة متفقة على مهور بسيطة ومحددة ففي قرية الهزيمية عزلة الحمزات تبنَّى عقال هذه القرية تحديد مبلغ سبعين ألف ريال يمني فقط يدفعها الخاطب منهم إلى ولي المرأة والمبلغ هذا هو مهر للزوجة ويشتري به وليّها لها ذهباً وكسوةً وضيافة. وإلى تاريخ هذا المؤلَّف قد تزوج من أبنائهم ما يقارب الخمسين شاباً وهذه سنة حسنة ينبغي الأخذ بها في كل المجتمعات وهي من باب التعاون على البرِّ والتقوى[1].

٣- تكاليف الأعراس:

وإذا كان الكرم المتأصل في نفوس أبناء مناطق صعده عادة حميدة وطيبة إلا أنها أورثت ظاهرة سلبية تتمثل في البذخ في إقامة ولائم الأعراس ومناسبات العزاء التي تكلف مبالغاً باهضة على أصحاب الشأن وصار القيام بهذه الواجبات مهمة شاقة وعبء كبير على غالبية أبناء المجتمع خاصة إذا ما علمنا أن هناك تفاوت كبير في المستوى الاجتماعي والقدرات المادية فالميسورين والقادرين من أفراد المجتمع الصعدي لا يتجاوزون ٣٠% من السكان بينما هناك ٢٠% متوسطي الحال و ٥٠% من السكان أغلبهم من المعدومين الغير قادرين على تحمل تكاليف الأعراس وتكاليف العزاء.

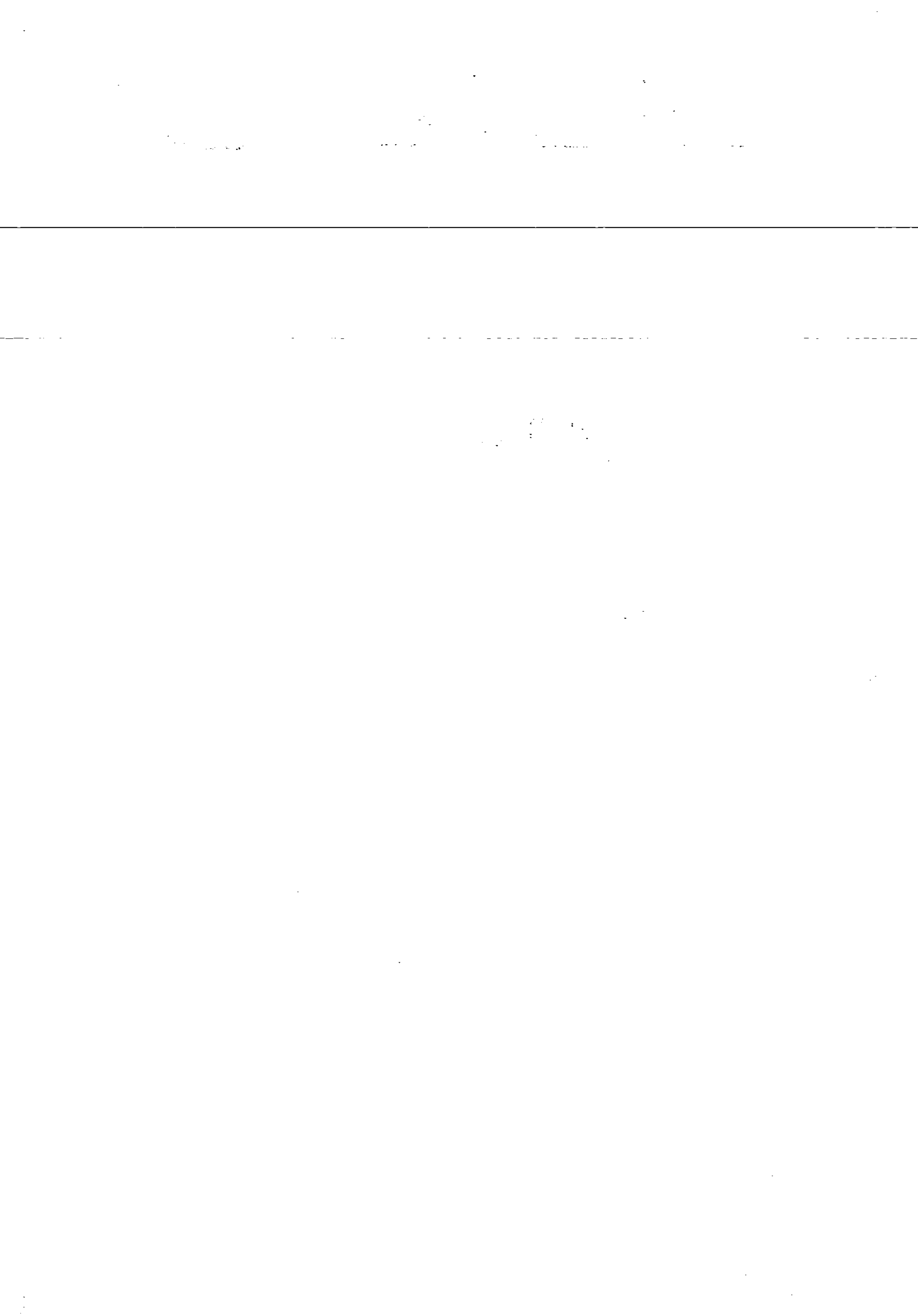
وقد وجه علماء صعده قبل سنوات مناشدة بالحد من تكاليف الأعراس والعزاء ونجم عنها تجاوب إيجابي لدى العامة.

(١) ذكر ذلك الأستاذ العلامة/ محسن صالح الحمزي وهو من مواليد ١٣٧٣هـ في الحسينية بالحمزات مديرية سحار، تلقى تعليمه على يد عدد من العلماء منهم السيد العلامة المرحوم يحي محمد راويه والسيد العلامة محمد أحمد أبو علي.

الباب الرابع

الحياة الاقتصادية

- الزراعة والرعي
- التجارة
- الصناعات القديمة
- فن البناء والتشييد (العمارة الصعدية)



الفصل الأول

الحياة الاقتصادية

تنوعت مناحي الحياة الاقتصادية في صعده عبر قرون مضت وقد اشتهرت صعده منذ وقت مبكر بالزراعة، وشهدت حركة تجارية مزدهرة لموقعها المتميز بين جنوب وشمال الجزيرة العربية ولموقعها على طريق (خط قنا التاريخي) الممتد من بحر العرب حتى حوض البحر الأبيض المتوسط وقد أهل هذا لنشاطات أخرى كالرعي والصناعة والذي بدوره أدى إلى قيام حركة مزدهرة ونهوض شامل وظلت صعده همزة وصل بين عدد من البلدان المجاورة وعزز ذلك تحول صعده إلى مسرح سياحي وموطن علم وفكر من نهاية القرن الثالث الهجري حتى القرن الـ١٣هـ فشيدت الكثير من المدن والقلاع والحصون والمساجد وازدهرت العمارة بشكل كبير.

ويمكن تحديد نشاطات السكان على مدى قرون مضت في التالي:

١- الزراعة والرعي.

٢- الصناعة.

٣- التجارة.

٤- العمارة والتشييد.

١ـ الزراعـة:

اشتهرت صعده عبر التاريخ كمنطقة زراعية حتـــى صـــارت مضـــرب الأمثال فقيل (كمهدى القضب إلى صعده) [١] وقد ساعد على ازدهار الزراعـــة وجود الأودية الزراعية الخصبة الصالحة لزراعة كافة المزروعات ناهيك عن وجود قاع صعده المسمى بـــ(قاع صعيد صعده) وهو أحد حقول اليمن الهامـــة كما كان لتنوع التضاريس والمناخ في مناطقها أثر كبير في تعـــدد أصنـــاف المزروعات والمنتجات الزراعية فاشتهرت بانتاج (العنب) الكروم و(الرمـــان) و(القضب) و(الحبحب) و(البن) و(الموز) وأنواع الحبوب المختلفة.

يقول القيل/محمد بن ابان الخنفري

أقمنا الكروم على الخنفريـــــن منشأ وسهـــل ومـــاء معينـــا

ورغم أن كثير من مناطق صعده تعتمد بالمقـــام الأول علـــى الأمطـــار الموسمية كمصدر أساسي لمياه الري إلا أنها استعانت لتوفير المياه اللازمة من خلال إقامة السدود والحواجز المائية التي من أهم ما ذكرها المؤرخيـــن (ســـد الخانق) [٢] الشهير في عهد الملك سيف بن ذي يزن و (سد ساقين)[٣] و(ســـد نسرين)[٤] و(سدود أم ليلى) [٥] و(سد السنارة)[٦] كما أقيمت الـــبرك الواسـعة لجمع المياه في مختلف مناطق صعده لتحقق استخدام واستغلال أمثـــل لميـــاه الأمطار في عملية الري وهناك مناطق عديدة تمتعت بوجود الغيول والينـــابيع

---

(١) صفة جزيرة العرب ٣٦٨.

(٢) سد الخانق: شيده الوالي الحميري نوال بن عتيق مولى سيف بن ذي يزن وأخر بـــه إبراهيـــم العلـــوي "الجزار" سنة ٢٠٠هـــ وموقعه جنوب مدينة صعده بـــ١كم في (وادي العبدين).

(٣) سد ساقين: شيد أيضاً في عهد الملك سيف بن ذي يزن في موضع الجرفين شرق هجرة ساقين بـــــ١كم وهدمه الجزار العلوي سنة ٢٠٠هـــ.

(٤) سد نسرين: شمال صعده بـــ٢كم وما يزال باقياً حتى الآن، شيده شمس الدين بن الإمام شرف الدين.

(٥) سدود أم ليلى: يوجد قرابة ٧سدود في قمة جبل أم ليلى بيسنم لا تزال.

(٦) سد السنارة: شيد هذا السد في قمة جبل السنارة داخل القلعة الحصينة في عهد الإمام المـــهدي شـــرف الدين (الأخير) بن عبد الله بن عبد الرحمن المتوفي في المدان سنة ١٢٨٠هـــ.

في الأودية والمناطق الجبلية وفي القيعان تم جفر آبار المياه التقليدية التي أسهمت في ري المزروعات.

المنتجات الزراعية ومصادر الري:

إن التاريخ المترابط الحلقات يؤكد أن الحاضر ليس إلا امتداداً للماضي العريق وأن الحياة المزدهرة والحركة الزراعية الفريدة التي تعيشها صعده اليوم تعكس صورة قد تكون أوسع للأمس الغابر فالحركة الزراعية في صعده حدث هام حيث تطورت بشكل كبير فغدت صعده من أهم مناطق إنتاج الفواكه والخضروات والحبوب في اليمن حيث تعتمد قرابة ٨٠% من مناطقها على مياه[1] الآبار الجوفية التي يبلغ تعدادها في قاع صعده قرابة ٤٨٠٠بئر ارتوازية[2] بينما ٢٠% من مناطق صعدة تعتمد على مياه الينابيع والغيول والبرك المقامة في الجبال وسهولها وخلال السنوات الأخيرة عمدت الدولة إلى إقامة وتنفيذ عدد من السدود والحواجز المائية منها (سد الحساو) في الجعملة بمجز و(سد المدحن) بالأبقور سحار و(سد احماء الطلح) و(سد الميفاع) و(سد صبر) في سحار و(سد وادي الحجر) مجز و(سد العتمي) قطابر وهناك توجه لتنفيذ عدد من الحواجز والسدود في إطار ١٦سداً[3] وحاجزاً مائياً تم دراستها ولم يتبق لتنفيذها إلا إيجاد التمويل اللازم لها ومنها (سد نجوان) باقم و(سد عكوان) الصفراء و(سد الحاجبين) غمر. أما الواقع الزراعي حالياً فقد تنوعت

---

(١) تعتمد ٥٠% من مناطق محافظة صعده على مياه الآبار الجوفية خصوصاً في قاع صعده الذي تتركز فيه زراعة الفواكه والخضروات.

(٢) ٤٨٠٠بئر ارتوازية: هذا بالنسبة لقاع صعده فقط والذي بدوره أدى إلى انخفاض منسوب المياه الجوفية في حوض صعده من ٣-٦أمتار سنوياً على مدى العشر السنوات الأخيرة من القرن العشرين ووصلت عمليات تعميق الآبار إلى صخور القاعة الغير منفذه التي لا تحتوي على مياه ويقدر التصريف السنوي من الحوض إلى ١,٣٣×١٠م٣/سنة رغم صغر حجم الطبقة الحاوية للمياه في الحوض التي يتراوح سمكها من ١٢٠-٣٥٠م فقط والذي يهدد بنضوب كبير لمياه الحوض وبالتالي زيادة الملوحة (حسب تقرير وحدة الحفريات بمكتب الزراعة بصعده قدمه لنا المهندس/علي محسن العراسي).

(٣) ١٦حاجزا: هذه الحواجز تم إعداد دراستها الأولية والتصاميم لها منذ سنوات وقد تم تنفيذ عدد منها ولا تزال هناك حواجز هامة في انتظار التنفيذ.

أصناف المزروعات من الفاكهة والخضروات فأضحت مناطق صعده تنتج بعد دخول أصناف جديدة من المزروعات غالبية الفواكه والخضراوات (العنب، الرمان، البرتقال، اليوسفي، النخيل، الفرسك، الخوخ، المشمش، الحبحب، العمب،..) و(الطماط، البطاط، الخيار، البصل، الجزر، البامية، الفاصوليا) وقد بلغت عدد المحميات الطبيعية[1] لإنتاج الخيار في منطقة الطلح من سحار قرابة (٢٥٠٠بيت محمي)، والمنتجات الهائلة[2] لصعده من الفواكه والخضراوات يتم تسويقها إلى مختلف مناطق اليمن والى خارجه وتقدر نسبة تغطية هذه المنتجات الزراعية لاحتياج السوق المحلية اليمنية بنسبة ٤٠% ويعود ذلك إلى قيام كبار رؤوس الأموال من التجار والمشائخ إلى إقامة المزارع الواسعة جداً في قاع صعده التي تحتوي بعضها على ٦-٨آبار ارتوازية وفي طليعة هذه المزارع (مزرعة جرمان) (مزرعة العوجري) (مزرعة أبو مسكه) (مزرعة السربي) (مزرعة مناع) وعشرات المزارع الأخرى ويقدر حجم الاستثمارات الزراعية في صعده خلال السنوات العشر الأخيرة بحوالي ٦٠مليار ريال تكلفة إنشاء وتجهيز هذه المزارع النموذجية أما إجمالي الأرض الزراعية المزروعة في المحافظة فتقدر بـ٥٤,٠٠٠ هكتار وهي لا تشكل سوى ٥٥% من الأراضي الزراعية في المحافظة.

مناطق الإنتاج الزراعي في صعده:

ومن أهم المناطق والأودية الزراعية الخصبة في مناطق صعده (وادي علاّف) (وادي العبدين) (الصحن) (وادي صبر) (بني معاذ) (الأزقول) (البقلات) (الضميد) (فروة) (غراز) (الأبقور) وجميعها من سحار و (وادي

---

(١) المحميات الطبيعية: هي عبارة عن حقول مغطاة بنسيج خفيف ظلي على شكل نصف دائرة يغطي نبات الخيار.

(٢) المنتجات الهائلة: من مختلف الفواكه والخضراوات وخلال العشر السنوات الأخيرة من القرن العشرين دخلت زراعة الحمضيات وغيرها أثبتت التجارب نجاحها وأن صعده بأرضها الخصبة صالحة لزراعة مختلف المزروعات.

دماج) (وادي نشور)[١] (وادي عكوان)[٢] (وادي مـذاب) (آل عمـار) مـن الصفراء همدان و(وادي اتيس)[٣] (وادي العطفين)[٤] (وادي العقيـق)[٥] (وادي أملح) (الفرع)[٦] (وادي غرير)[٧] (آل سالم) في بلاد دهمة من شاكر.

وفي حيدان خولان (جبل مران) [٨] (جبل ولد عيـاش)[٩] (وادي زبيـد) (ذويب السفلى)[١٠] وفي ساقين (وادي فوط) (الشعف)[١١] (الخوالد) (بني بحـر) (وادي خير) (وادي الممجع) (الوقيشين وجبل السعدي) (وادي الحبال).

أما في بلاد رازح (وادي بدر)[١٢] (الأزد)[١٣] (الشـوارق) (بركـان)[١٤] (بني صياح) (بني ربيعة).

---

(١) وادي نشور: وادي جميل زاخر بالزروع وأشجار النخيل في الصفراء من بلاد همدان.
(٢) وادي عكوان: من أجمل وأهم أودية صعده ويقع في قلب مديرية الصفراء همدان وفيه تتجمـع سـيول عدد كبير من أودية جماعة وسحار وهمدان وصعده إليه ليصب في مضيق شوك ومنه إلى وادي نجران.
(٣) وادي أتيس: في بلاد وايلة بن شاكر صعده بـ ٨٠كم واد واسع مليء بالزروع.
(٤) وادي العطفين: في قلب الرملة الشرقية من المحافظة وينقسم قسمان الشرقي والغربي ملـيء بـالزروع والعمران والحياة ويتصل بالبقع من الجهة الشمالية وهو من اودية وائلة بن شاكر.
(٥) وادي العقيق: في بلاد وايلة بن شاكر يوازي وادي أتيس من الناحية الجنوبية كثير الزروع والخـيرات وهو واد زراعي قديم أهل بالسكان وبه مآثر قديمة.
(٦) وادي زراعي مشهور في فرع نجران لأبناء وايلة بن شاكر ذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب.
(٧) وادي غرير: من آل سالم مشهور جنوب صعده بـ ١٥كم كثير الزروع والخـيرات ويقـع في منطقـة تاريخية من بلاد همدان.
(٨) جبل مران: مران من أولاد خولان بن عمرو بن الحاف وجبل مران جبل شاهق كبير أهل بالسكان يطـل على الملاحيظ وبه مدرجات واسعة وهو من أخصب وأجمل جبال السفوح الغربية للمحافظة وتجود به زراعـة القات والبن ويتبع حيدان وهو عزلة كاملة.
(٩) ولد عياش: عزلة من حيدان وهي على قمة جبل يماثل جبل مران ويحاذيه من الجنوب يشبه إلى حد مـا جبل مران في مدرجاته ومناظره الخلابة آهل بالسكان.
(١٠) ذويب السفلى: من حيدان في الجهة الجنوبية تتصل بمناطق حجة وفيها يقع جبل طلان الأخضر.
(١١) الشعف: المناطق الجبلية المرتفعة من ساقين.
(١٢) وادي بدر: من أكبر وأهم وأعظم الأودية الزراعية الغربية للمحافظة وهو كثير الخيرات ومركز لمديرية غمر ويطلق على المديرية أحياناً اسم "وادي بدر" ويستقبل السيول من كثير من مناطق خولان عامر ومنبـه ويصب في وادي جيزان ومنه إلى سد جيزان.
(١٣) الأزد: منطقة جبلية جميلة من رازح بها كثير من المدرجات الخضراء والزروع.
(١٤) بركان: بركان الأخضر منطقة أسفل جبل رازح ذات مناظر خلابة سـاحرة وهـواء عليـل كثـيرة المدرجات والزروع تطل على مناطق عقارب "شداء".

وفي بلاد جماعة[١] (وادي يسنم) (وادي الحجر) (ضحيان) (وادي عساية) (مدينة جاوي)[٢] (جبل العر)[٣] (وادي باقم) (بطين منبه) (جبل شوذان).

حوض صعدة:

كتب عنه الأستاذ القدير/محمد المساح في عموده اليومي بصحيفة الثورة.[٤]

يعتبر حوض صعده في المرتبة الثانية بعد حوض صنعاء في درجة استنزاف المخزون الاستراتيجي للمياه. هذا ما تؤكده الدراسات الأخيرة بالأرقام حيث يصل السحب السنوي من حوض صعده إلى حدود ٦٥مليون م^{٣} في العام مقابل تغذية طبيعية تصل إلى ٦,٥مليون م^{٣} في السنة وفي هذا الحال تصل نسبة السحب إلى ١٠٠٠% مما يؤدي إجمالاً إلى انخفاض المنسوب المائي في الحوض ٦.أمتار سنوياً في هذا الحوض.

وبطريقة أخرى لتبسيط المسألة وبلغة عادية غير الأرقام حتى تكون الأمور أكثر وضوحاً بعد هطول الأمطار لا تشتغل الآبار لمدة نصف ساعة ذلك الفرق الزمني يوضحه أحد العاملين في إحدى مضخات السحب في إحدى الزارع.

.. حوض صعده ملتقى أودية العبدين وغراز والصحن وعلاف ومياه الأمطار الهابطة من جبال سنحار ومجز وساقين.

---

(١) بلاد جماعة: جماعة من خولان عامر وتضم عدد من المديريات تحتل الركن الشمالي الغربي والشمالي الأوسط من صعده وتحدها شمالاً قبائل بني مالك وفيفا من جيزان.

(٢) مدينة جاوي: من منبه تتصل بمجز جماعة من الجنوب واد مزروع وواسع، وقد ذكرت من البقاع المشئومة المحرمة، الاكليل ١٩٣/٨.

(٣) جبل العر: جبل شامخ ضخم تتناثر في أحضانه وسفوحه عشرات القرى والتجمعات السكانية في منبه وبه مدرجات وزروع ومناظر خلابة.

(٤) الأستاذ القدير محمد المساح من رجال الصحافة في اليمن وصاحب عمود ثابت في صحيفة الثورة بعنوان (لحظة يا زمن).

هذا الحوض الذي يمتد طوله بالتقريب وليس بالتحديد ٢٠كم في عرض ١٠كم ويوجد داخله حوالي خمسة آلاف مضخة على الأقل في هذا الحوض المحيط بمدينة صعده، ويمتد منها حتى منطقة الجعملة تتجاور فيه المزارع المسورة والمفتوحة وصعده معروفة بأنها مصدر اساسي من مصادر تغطية السوق اليمنية بالخضراوات والفواكه وفواكهها تتميز بجودة جيدة مثل الرمان والفرسك والبرتقال والتفاح والأعناب، كما تتناثر في مزارعها وتلفت النظر تلك البيوت البلاستيكية (البيوت المحمية) التي تنتج محصول الخيار وخضروات أخرى.

ونحن نشير إلى تفاقم الوضع المائي وخطورته مستقبلاً حيث يمس جوهر الحياة فلابد من وقفة جدية تتبعها وقفات عملية وتطبيقية وليس مجرد كلام.

الرعي:

تعتبر حرفة الرعي من الأنشطة المكملة في حياة أبناء مناطق صعده الذين يحرصون على اقتناء المواشي والأغنام وتربيتها وخصوصاً في مناطق الريف الصعدي التي تعتمد على المنتجات الرعوية من ألبان ودهون ولحوم وما يزال الاعتماد على هذه المنتجات الرعوية دافعاً لاقتناء أعداد من هذه المواشي والأغنام حتى اليوم. أما عملية الاقتناء بهدف الرعي وكنشاط اقتصادي فإنه يمثل قرابة ١٠% من نشاط السكان ويتركز في المناطق البدوية في الرملة والأودية الشرقية (بلاد همدان) حيث يوجد الكثير من البدو الرحل المعتمدون على تربية الأغنام والعمل على تسويقها إلى الأسواق المحلية أو تسويقها إلى المناطق القريبة من الحدود (نجران) وغيرها وتدر مبالغ مالية جيدة. وفي القاطع الغربي لمحافظة صعده تتركز تربية الأغنام والمواشي بشكل كبير في السفوح الغربية والسهوب التهامية ومناطقها. وتتمثل مناطق الرعي هذه في المناطق الحدودية كـ منبه ورازح وغمر وشداء والملاحيط وأجزاء من حيدان.

وقد عزز من واقع الرعي وجود الكثير من المناطق على الشريط الحدودي والذي يوفر لها أسواق رائجة وأرباح طائلة ومن خلالها يتم تغطية احتياج الأسواق المحلية والمجاورة من هذه المواشي والأغنام وتعد (الملاحيظ) مركز رئيسي لتسويق الثروة الحيوانية يعد الأول والوحيد من نوعه في محافظة صعده.

٢ـ التجارة:

اسلفنا القول أن الموقع الجغرافي المتوسط لمناطق صعده بين جنوب وشمال الجزيرة العربية وموقعها على طريق القوافل التجارية القديمة (خط قنا التاريخي)[١] قد هيئ لحركة تجارية مزدهرة في صعده منذ القدم أكدتها الكتابات القديمة ورسوم القوافل التجارية في العصور الحميرية الأولى فأقيمت محطات للقوافل التجارية في منطقة الفحلوين ونجد الفارس في بلاد وايلة بن شاكر كما نشئت الأسواق التجارية في مختلف المناطق ولعل أقدمها (سوق سلبان)[٢] الواقع على خط قنا و (مدينة صعده) وهي السوق الكبرى لبلاد خولان عامر ومدينة (حيدان) القديمة و (ساقين) و(مجز) و(باقم) و(آل عمار) كما أن كل ناحية من نواحي صعده تضم عدد من الأسواق الأسبوعية التي كانت تقام خلال أيام الأسبوع وتختلف هذه الأيام باختلاف المناطق فأسواق (الأحد) في صعده و(الاثنين) [٣] و(الثلوث) و(الاربعاء) و(الخميس) و(السبت)[٤] في المديريات.

وفي الوقت الحاضر يعد (البقع) واحد أهم المنافذ البرية الشمالية لليمن وبه حركة تجارية جيدة كـ(سوق الطلح) في مديرية سحار شمال مدينة صعده.

---

(١) خط قنا التاريخي: الممتد من بحر العرب إلى حوض البحر المتوسط ويقطع صعده في مناطق أتيس والعشاش ومرورا بجبل أيوب حتى مضيق شوك ثم إلى نجران.

(٢) سوق سلبان: في أسفل وادي أتيس ومنه كانت تمر القوافل التجارية القديمة، وكان يسمى (سوق مكعيل) قديماً.

(٣) سوق الاثنين: آل عمار وجنوب ساقين في منطقة الشرف.

(٤) سوق الأربعاء في بلاد خولان عامر في حيدان والملاحيظ وأسواق الخميس في منبه والسبت في الطلح.

وهو منفذ تجاري مهم بين اليمن والمملكة العربية السعودية وتم بعد توقيع معاهدة الحدود افتتاح منفذي (علب) في صعدة و(الوديعة) في حضرموت، وسيسهم هذا المنفذ الجديد (علب) في دفع حركة التبادل التجاري بين البلدين مستقبلاً.

سوق الطلح:

واحد من أهم الأسواق الشهيرة في اليمن ملئت شهرته الآفاق[١] لا يضاهيه سوق تجاري آخر في اليمن في الشهرة والشكل والمساحة وتنوع السلع والبضائع المختلفة التي تفد إليه من كل حدب وصوب والطلح مقسم إلى أسواق (سوق الأثاث) (سوق الحراج) (سوق المواشي) (سوق الخضرة) (سوق المواد الغذائية) (سوق مواد البناء) (سوق المعدن) (سوق المقالي) (سوق السلاح) (سوق السيارات والآليات والمعدات) (سوق البن والحبوب وغيرها)، وهو سوق يومي وهو سوق صعده وضواحيها ومجز وقراها أيام الجمعة والسبت، كل ما يحتاجه الإنسان يجده في سوق الطلح.

قال عنه الأستاذ/ محمد المساح في عموده اليومي بصحيفة "الثورة":

سوق الطلح في صعده.. يبعد عن المدينة بحوالي عشرة كيلو متر الذهاب إليه والعوده لا يكلف كثيراً ستون ريالاً في الباص ثلاثون في الذهاب وثلاثون في العودة.

الطلح اسم السوق كان له رنين في تلك الأيام التي طوت معها ذلك الرنين حين كان السوق يستمد شهرة اسمه من فورة النفط في السبعينات والثمانينات وحتى نهاية التسعينات من قرن طوى شملته الزمنية ومضى ومضت معه مرحلة صاخبة وصلت تأثيراتها حينذاك إلى سوق الطلح حين كانت تصله

(١) ملئت شهرته الآفاق: باعتباره أهم وأكبر سوق تجارية في اليمن وسوق حر لكل البضائع والسلع التي تتوافد إليه من كل المناطق ويأتي إليه اليمنيون من كل أرجاء البلاد وهو واسع أقيمت به المباني والدور وأضحى يشكل مدينة جديدة.

أحدث الالكترونيات والتلفزيونات والمسجلات اليابانية وخينها تعبر تلك البضائع طرقاً خفية لتدخل إلى بقية الأسواق اليمنية.

مضت تلك الفورة التي حملت معها ذلك الغبار المتصاعد الذي تثيره أحدث السيارات الشاص والهيلوكس وهي تغيب في المنحنيات والملفات، ومع تقلب الأحوال وتأثيرات الأمكنة حين تتجاوز تسري تلك التقلبات بصورها الحزينة على الأسماء والأماكن أيضاً وأسماء البشر.

شيء وأشياء فقط تثير في بعض الأحيان تساؤلات عند البعض ومن تلك التساؤلات أتى ذكر ذلك الرنين لاسم وشهرة سوق الطلح".

٣ـ الصناعات الحرفية القديمة:

عرفت صعده منذ القدم كثيراً من الصناعات الحرفية الهامة التي اشتهرت وتفردت بها في عصور الجاهلية والإسلام منذ ان كانت موضع الدباغ في الجاهلية ومروراً بالعصر الإسلامي الذي احتلت فيه صناعة الحديد والفضة مركز الريادة ومركز الإنتاج الأول لتغطية احتياجات الأسواق اليمنية.

وبين هاتين الحرفتين تناثرت عدد من الحرف الهامة إلا أن شهرة صعده ومناطقها تمثلت في عدد من الصناعات الحرفية الهامة الأخرى.

حيث عرفت صعده في الجاهلية كسوق تجارية هامة في اليمن ونقطة التقاء بين شمال وجنوب الجزيرة وأبدع الصعديون القدماء في دباغة الجلود وصناعتها في كثير من احتياجات الحياة اليومية حتى أطلق عليها "موضع الدباغ" في الجاهلية وظلت هذه الصناعة مزدهرة حتى القرن السادس الهجري ثم تلاشت نسبياً لتحل محلها صناعة الحديد التي ازدهرت في ذلك الحين.

شواهد تاريخية:

هناك آثار وشواهد تاريخية متعددة تشهد بقدم وشهرة مدينة صعدة كواحدة من مدن اليمن الصناعية وكان من أهمها صناعة (الخناجر) التي يطلق عليها

النصال الصعدية أو (النصال الصاعدية) التي أكد علماء العراق القدماء أنـــها من صعدة اليمن وإنما يقال (صاعدية) محل صعدية إذا اضطر شاعر كما ذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب.

وكان لهذا النوع من النصال شهرة واسعة فـــي كثـير مــن الأمصـــار الإسلامية وكانت مدينة (صعده) القديمة في القرن السادس الـــهجري وحتـــى العاشر الهجري تحوي ٧٠٠حوي (دائرة صغير) بها ٢١٠٠فرن بدائي لصـهر الحديد في كل دائرة ثلاثة أفران وكان "بمجز" المجاورة أعداد كبيرة من هـــذه الأفران التي ظلت قائمة وصناعاتها مزدهرة حتى ١٩٥٠م فاغلقت الحويـــات أبوابها.

ومادة الحديد تستخرج من (كهلان) شرق مدينة صعدة و(رغافة) في بـــلاد جماعة شمال مدينة صعده وجبل (خنفغر) غرب صعده ونسبة الحديد في هـــذا الجبل تفوق ٧٠% ومن أهم الصناعات الحديدية الأخرى في صعدة الســيوف، الخناجر، المعاول، الزبر، الفؤوس، والصبرات المستعملة في قلـــع الصخــور وحفرها ومتطلبات النشاطات اليومية من المواقيـــد علـــى اختـــلاف أنواعـــها والأقفال على الأبواب (المراتج) بمختلف الأحجام وأضيف إليها بعض الشـــيء من النحاس الأصفر لاكتساب المرونة وصنعوا من الحديد كل ما يستلزم مـــن المسامير الطويلة الكبيرة الصلدة مدببة في النهاية. وفـــي الواجهـــة صفـــائح صغيرة مدووة بحجم القطعة الذهبية وتستخدم لتزيين الأبواب الخشبية (ابـــواب المدن والدور والمساجد والحصون) فتبدو مـــن خارجـــها وكأنـــها مرصعـــة بالجوهرة و(المراتج) وهي عبارة عن مغالق خشبية على شكل قطعة مستطيلة بها منايم وفتحات وتثبت على جانب الباب تدرج عند إغلاقـــها فـــي بـــرواز حديدي قوي في الفتحة الأخرى للباب فتصبح محكمة الإغلاق[1].

(١) يعد إبراهيم اسماعيل الظفاري المولود سنة ١٣٠٠هـ من المبدعين في الصناعة، صنع أقفـــال منافســـة للأقفال الغثيمية وأقفال مختلفة عنها في طريقة الفتح، ونجح في إيجاد آلة لها عجلة من الخشب وعجلات مـــن الحديد لرفع الماء من الآبار. "مدينة صعدة تراث روحي"

وقد ازدهرت صناعة الحديد في صعدة وتجارته أيضاً التي كانت تمتد إلى كثير من البلدان العربية المجاورة وتركيا حتى ان الأتابك (سنقر) اشترط في الصلح بين (وردسان) والإمام يحي بن حمزة أن يقوم الإمام بتوريد مائة حمل جمل من الحديد لوردسان.

وكان كثير من الصناعيين يستعينون بالقرود في نفخ الكير حيث يحكي ان أحد المهنيين في صعده لم يكن له ولد يساعده في عمله فاشترى قرداً وعلمه النفخ فلم يفلح فاشترى تيساً وعلمه أمام القرد كيف ينفخ الكير فلم يتعلم فقام الرجل بذبح التيس أمام القرد الذي خاف ان يلقى نفس المصير فقام بنفخ الكير واتقن العمل.. خوفاً من الذبح!!

ومن الدلائل على قدم هذه الصناعة في صعده وجود العديد من الأسواق الخاصة ببيع المصنوعات التي تعتمد على الحديد حتى وقت قريب ففي حارة (الجربة) كان يوجد سوق (المفرصين) والفرص معروفة وتستخدم في تقطيع الأخشاب والصخور، وفي اوائل القرن العاشر الهجري ظهرت البندقية (في زمن احتلال الشراكسة لليمن) وقد أدخل الإمام شرف الدين بن شمس الدين آنذاك تحسينات كثيرة على السلاح وفي عهده تم صناعة أحجام للرصاص "أبو فلقتين وثلاث".

كما اشتهرت صعده بانتاج (البارود) الذي ما تزال صناعته قائمة حتى اليوم في سوق الطلح ويتم تعبئة الظرف الفارغ للطلقة من جديد ويسمى (معبر معوض) وقد تفنن الصناعيون فاستطاعوا ان يقلدوا كثيراً من أجمزاء السلاح وقطع البنادق المختلفة.

الصناعات الفضية النحاسية:

كما اشتهرت صعده بصناعة النحاس جيث كانت تصنع فيها الأدوات المنزلية والتحف ومقابض الأسلحة وزينتها وزخرفة المصنوعات الخشبية للمباني والمنازل وصناعة الأواني التي تضفي لمسات جمالية للبيوت من الداخل. أما صناعة الفضة فقد اشتهرت بها مدينة صعده شهرة كبيرة لا نظير

لها حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري وكان اليهود هم رواد هذه الصناعات في صعده واليمن بشكل عام ومن المصنوعات الفضية الحلي والخواتم المنقوشة والمفصفصة وصناعة المكاحل والعسوب الفضية وأغمدة الخناجر والمطابق والمباسم والحلق) وقد تأثرت هذه الصناعات في السنوات الأخيرة بسبب غلاء المواد الخام وهجرة الكثير من يهود صعده الذي اخذوا معهم مطابع الفضة وفنيات وخبرات هذه الصناعة التي لقيت رواجاً كبيراً وكانت الأسواق المحلية اليمنية وخارج اليمن تشكل أسواقاً رائجة للمصنوعات الفضية الصعدية.

قبل سنوات، وفي زيارة لمحلات صناعة الفضة في مدينة صعدة لاحظت الملامح الخافتة لهذه الصناعة بعد هجرة اليهود من اليمن وفي احد المحلات توقفت أسأل أحد الصناعيين اليهود (اسمه خرسان حيم) وقد وقف إلى جواره أخواه (يهودي حيم) و(يوسف حيم) عن واقع هذه الصناعات فقال لي: أن الصناعات الفضية التي يقوم بها اليهود في صعده تتمثل في صناعة (المكاحل والعسوب الفضية والمطابق والمباسم والحلق وبعض المصنوعات الفضية الخفيفة والبسيطة أما المصنوعات الفضية الكبيرة فلا يقومون بها لأن الذين هاجروا إلى اسرائيل اخذوا معهم مطابع الفضة عند رحيلهم واخذوا كل ما هو قيم ومهم وتركوا الشيء البسيط والعمل بسيط نوعاً ما حيث يتم تسخين السلك الفضي وصهره ليتم تشكيله حسب الحاجة. واستطاعوا منذ القدم الاستفادة المثلى من الطبيعة وتسخيرها في توفير متطلبات الحياة اليومية وباكتفاء محلي.

النحت في البلق وصناعة الألواح:

فن النحت في البلق وصناعة الألواح من البلق وصناعة الألواح الحجرية المكتوبة على الأضرحة من الفنون الإبداعية القديمة التي عرفتها وتفردت بها صعده، ويعود تاريخ بعض الألواح القديمة إلى القرن الثالث الهجري مثل الألواح الموجودة في (مشهد الإمام الهادي وأبنائه) حيث يتم قطع ألواح مستطيلة من حجر البلق الأصم القادر على مقاومة الزمن والبقاء مئات السنين ثم يتم بعد ذلك تصميمها وزخرفتها وكتابة مضمون الترثية للمتوفي وتاريخ

وفاته وآيات قرآنية وقصيدة شعر تشكل هذه الألواح تخليداً للأعلام من العلماء والفضلاء والأئمة ولهذا الفن خصوصياته وفنونه وبفضله تم معرفة الكثير من المعلومات التاريخية الهامة وأحداث التاريخ المختلفة وتواريخ العلماء والأئمة في صعده على مدى أكثر من عشرة قرون كاملة.

ومن القدماء الذين عملوا في هذا المجال عبدالله بن عبدالله بن صديق المطلالي في القرن الـ ٧هـ ويحيى بن حسن البشري وأحمد بن حسين بن إبراهيم البشري في القرن الـ ٨هـ ولكل قرن مبدعوه ورواده في هذا العمل الفني البديع وهو ما توضحه الألواح المكتوبة في المشاهد والمقابر التاريخية القديمة وأهمها مقبرة القرضين بصعده.

ويقول الأستاذ الأديب/ (جمعان) محمد بن عبدالله الذويد أحد أبرز محترفي ورواد هذه الصناعة عن طبيعتها "أنه يتم جلب هذه الأحجار (حجر البلق الأصم) من مناطق المهاذر مخصوصة لهذا الشأن نظراً لقوة تحملها وصلابتها ومقاومتها لتقادم الزمن حيث تظل باقية محتفظة بنقوشها وكتاباتها مئات السنين، ويتم قطعها إلى قطع مناسبة حسب الطلب فبعض الأحجار طولها (١-١,٢٥متر) وعرض (٩٠سم) ومنها ما طوله من (٦٠-٨٠سم) وتكون واجهة اللوح ملساء تماماً، وعليها يتم نقش وكتابة ما يراد كتابته وأقدم هذه الألواح موجود في مشهد الإمام الهادي منذ القرن الثالث الهجري وفي مقبرة القرضين بصعده وتعود إلى القرن الخامس الهجري.

وهناك نوع آخر من الأحجار السوداء الصلدة استخدمت لهذا العمل خلال القرنين السادس والسابع الهجري إلا أنها صغيرة الحجم ويوجد الكثير منها في مقبرة صعده.

الفصل الثاني

البناء والتشييد وفن العمارة الصعدية

على مدى التاريخ الطويل شهدت مناطق صعده ازدهاراً عمرانياً كبيراً وخلفت القرون الخوالي كثيراً من القصور والمعابد والسدود والحصون لتشكل إرثاً تاريخياً عظيماً ومتفرداً.

والعمارة الصعدية ذات تميز وتعكس الأصالة اليمنية وشاهد على الإبداع الطويل في البناء والتشييد ولها سمات ومميزات فريدة كما ان اعتبارات عدة قد أسهمت على مر القرون في تحديد ملامحها لتشكل ابداع متفرد ونمط مستقل وأثر معبر وفي هذا الفصل نتناول مراحل تطور العمارة الصعدية وفنونها واعتبارات البناء والتشييد.

مراحل تطور العمارة الصعدية:

المرحلة الأولى:

المرحلة الأولى والمتمثلة في العصر القديم فترات ما قبل الإسلام حتى القرن الثاني الهجري والمتميزة بطابع معماري موحد ونمط وأسلوب بناء متقارب وخلال هذه الفترة الزمنية الطويلة عنى الأوائل باختيار مواضع البناء فشيدت المنازل والدور والقصور والحصون والقلاع على قمم جبال شاهقة وعرة المسالك محدودة الطرق نموذج (دور المحاما – منبه) (حصن أم ليلى باقم) (دور شوذان منبه) (حصن العبلاء – سحار) (المصنعة– وادي نشور الصفراء) (قصور الثاهر وحُميده– حنبه قطابر) (الهجر –حيدان) وخلال العصر الحميري الأول اعتمد الصعديون في البناء على الأحجار السوداء

الصلدة فشيدت بها القلاع والدور والحصون والمنارات باستثناء (المعابد) التي شيدت من الأحجار البيضاء البلق على شكل أعمدة ضخمة مستطيلة الشكل يصل العمود الواحد إلى ١,٥متر (نموذج معبد مذاب بالصفراء) (معبد عرو-ساقين) أو قصور الملك الهامة كـ(قصر كهلان بالقلابت) والتي شيدت من أعمدة ضخمة جدا من الرخام يصل طول بعض أعمدتها إلى ٥متر، ماعدا ذلك سادت عملية البناء استخدام الأحجار السوداء المنزوعة من الصخور الصلدة وتهذيبها على شكل رقائق حجرية عريضة ذات طول نسبي وبنيت بشكل متداخل ومترابط واستخدام القضاض في ضمان ترابط البناء وبرغم خلو المباني من أي زخرفة أو نقوش فإن التراص المنتظم والدقيق بهذه الرقائق الحجرية السوداء والطول الفارع للمباني التي أقيمت على شكل غرف واحدة فوق أخرى لتصل إلى ٧-٨طوابق وتشكل منارة قد عكست تصميم دقيق وبناء أدق فأركان البناء تبدو على طول امتدادها من الأسفل إلى الأعلى في قمة المبنى خطاً مستقيماً يزيد المبنى روعة وجمال ويعكس إبداع متفرد نموذج (قصور المحاما – منبه) (قصر الهجر) (دور شوذان) (دور حنبه) أما في المناطق التي تتواجد فيها أحجار البلق بكثرة فقد شيدت المنازل والدور والحصون من أحجار البلق والجرش البيضاء واختلفت صور وشكل البناء وفق الفترة الزمنية وتمثل هذا في عملية البناء والتشييد في الهضبة الوسطى والمنطقة الشرقية من صعده فقد استخدمت الأحجار البيضاء المربعة الشكل الحجم العادي المهذبة نسبياً المغطاة السهوات والفوارق بينها بالقضاض والأحجار الصغيرة (الشلف) نموذج (قرى جبل أم ليلى) (دور حنبه) واستخدمت أحجار بيضاء بلق أكثر تهذيباً في مراكز الدولة وأكبر حجماً وبناء دقيق وتصميم أفضل نموذج (حصن العبلاء بصعده) ويزيد ذلك وضوحاً في مباني (حصن ومعبد أم ليلى) بياقم، وقد ظلت هذه المباني محكمة البناء، ضخمة البنيان قرون كاملة من الزمن.

وتتميز المباني القديمة بصغر فتحات النوافذ التي لا تتجـــاوز ١٠×٥ســـم وكذلك أبواب صغيرة ارتفاع ١متر× عرض ٠,٧٥متر، لها مردمان في أسـفل وأعلى الباب نموذج (دور المحما) (حصن بني عوير) (دور شوذان)، كمـــا أن واجهة هذه المباني تماثل داخلها إذ لم تكن هناك أي زخرفة أو نقوش أو صور إبداعية وتتمثل روعة البناء في تلك الفترات في دقة وإحكام البنـــاء وروعـــة التصاميم الهندسية والمظهر الغام والارتفاع الشاهق لهذه المباني وتحصيناتـــها الحربية، وقدراتها الدفاعية لصد الهجمات في الوقت الذي كانت فيه الأســـلحة محصورة على السيف والرمح والقوس وغيره. وقد حملت المباني الطينية فـــي بعض المناطق من صعدة نفس صفات ومواصفات البناء الحجري من حيـــث الارتفاع والتحصينات وفتحات التهوية نموذج (وادي أملـــح، وادي العقيـــق، وادي آل أبو جبارة).

المرحلة الثانية:

ومع نهاية القرن الثاني الهجري بدأت صعده خطواتها الأولى نحو حيـــاة الاستقرار والذي تعزز بصورة أكبر مع قدوم الإمام الهادي يحي بن الحســـين الرسي عليه السلام وقيام الدولة الزيدية سنة ٢٨٤هـــ وفي ظل قيـــام الدولـــة الجديدة بدأت تتشكل التجمعات السكانية في عدد من مناطق صعـــده فنشـــأت التجمعات السكانية الكبيرة في القيعـــان والأوديـــة الخصبـــة وعلـــى ســـفوح المدرجات الزراعية لتشكل مدن وقرى كبيرة فشيدت هذه المباني من الأحجـــار البيضاء (البلق) على سفوح الجبال ومدرجاتها نموذج (مدينة حيـــدان) (قلعـــة رازح) (دار نشوان) (حصن بني عوير) واستخدام الطين بصورة أكـــبر فـــي إقامة القرى والمدن الآهلة بالسكان في القيعان والأودية نموذج (مدينة صعـــده) (العبدين) (مجز) (مدينة ساقين) (علاف) (درب بني عوير) (وادي أملح) بينمـــا تم الاعتماد على الأحجار في بناء القلاع والحصون والمساجد نموذج (قلعتـــي الصمع والسنارة) (الدامغ والقفل) بساقين (جامع الإمام الهادي بصعده) جـــامع

عز الدين بيسنم) (مشهد أحمد بن سليمان بحيدان).

وخلال هذه المرحلة الممتدة من بداية القرن الثالث الهجري حتى بداية الرابع عشر هجري وضعت في اعتبارات البناء والتشييد الجانب الدفاعي والمعيشي والروحي بنسب متساوية، ولم تشهد عملية البناء والتشييد تطوراً واضحاً في أساليب ونمط البناء إلا في القرن السادس الهجري الذي شكل البداية الأولى لتطور فن العمارة ففي المرتفعات الجبلية وسفوحها شيدت الدور والمنازل والحصون والمساجد بالأحجار البيضاء الكبيرة (البلق) المهذبة تماماً ذات الوجهين (من الداخل والخارج)[1] والتي تأخذ شكلاً مستطيلاً في الأغلب بطول ٤٠سم وعرض ١٥سم وارتفاع ١٥سم نموذج (مقدمة جامع الهادي(ع)[2]) (دار نشوان بن سعيد بحيدان) (قلعتي الصمع والسنارة) واستخدام القضاض في ربط عملية البناء وتزيين المباني والمنشآت من الداخل والخارج كما أقيمت فتحات مراقبة في الدور بارزة في واجهة المباني وجوانبها وطلاءها من الداخل بالنورة.

أما في الأودية والقيعان الخصبة التي استخدمت فيها مادة الطين في البناء فقد شيدت المباني وفق تصاميم هندسية جميلة وأسلوب بناء بديع وبدأت المباني والدور العالية تأخذ شكلاً مائلاً في الشكل العام وإقامة فتحات مراقبة في أعلى الدور وتزيين الشرفات بأشكال هندسية مختلفة وإقامة بعض الملامح الفنية من عقود داخلية في المنازل وإقامة فتحات تهوية إضافية مغطاة بشبابيك حديدية قوية واستبدال الأعمدة الحجرية (المداميك) التي فوق الأبواب بمداميك خشبية ضخمة مزخرفة مكتوب عليها آيات قرآنية كـ(إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وحكم وأدعية كـ(يا داخل الدار صلي على المختار) أو (إلا يا دار لا يدخلك حزنٌ) .. نموذج (حارة الدرب بصعده)

---

(١) ذات الوجهين: أحجار مهذبة من الجانبين (الداخل وخارج المبنى) والحجر الواحدة بعرض المبنى.

(٢) مقدمة جامع الهادي: المقصود بها المقدمة التي بناها الأمير شمس الدين بن شرف الدين سنة٩٤٧هـ، انظر (المعالم الأثرية والتاريخية- مسجد الإمام الهادي).

(حارة السفال).

وفي عملية البناء الطيني لنوب الحراسة والأسوار والقلاع الطينية اتخذت عملية بناء النوب والقلاع أشكال دائرية واتخذ السور تعاريج عمليات إخفاء وتمويه وأماكن مراقبة من الداخل نموذج (سور صعده) (نوبة باب اليمن) (نوبة باب نجران) (قشلة صعده).

كما دخلت في عملية البناء مادة (الياجور) الطين المحروق في الطوابق العليا أما الطوابق السفلى ففي الأغلب من الطين ومن الأحجار البيضاء أحياناً مع زخرفتها وتزيينها بالقضاض من الواجهة وحول فتحات النوافذ والأبواب والتهوية نموذج (حارة شيبان) (حارتي مكسله والمصموط بصعده).

وخلال القرن السادس حتى العاشر بدأت في ظهور بعض الملامح الفنية والهندسية وصور تطور العمارة فبدأت فتحات النوافذ والأبواب في الاتساع ضعف ما كانت عليه فالنافذة (بطول ١٥سم × عرض ٢٠سم) والباب (ارتفاع ٢م × عرض ١م) إلى جانب وجود فتحات التهوية والإضاءة الجانبية والعلوية، وبلغت عملية الزخرفة والنقوش والفنون الهندسية أوجها في بناء المساجد والدور والقصور والمآذن والقباب ومحاريب المساجد التي نقشت بعناية بالخطوط الكوفية الجميلة وكذلك أحزمة المساجد التي كتبت عليها آيات قرآنية وزخرفات وتاريخ البناء نموذج (جامع الهادي) (جامع النزاري) (جامع الفوطي).

ولعل هذه الفنون المعمارية البديعة قد استوحاها الصعديون من حواضر الإسلام كـ(دمشق) و (بغداد) و(القاهرة) فهذبوها وعدلوها وطوروها بمرور الوقت لتلائم الاحتياج وتحقق الغاية منها مع قولبتها في قالب يمني خالص وأصيل وإذا كانت الفترة من القرن الـ٦ حتى الـ١١الهجري قد شكلت غاية التطور المعماري في محافظة صعدة فإن القرون التي تلتها حتى بداية القرن الـ١٤هـ قد شهدت تطور ملحوظ في تصاميم البناء والتركيز على الزخرفة

والنقوش وتشييد المباني ذات الارتفاع الأكبر والأكثر اتساعاً والاهتمام ببناء البساتين (فناء المنزل) و(المناظر العلوية) لتعزز هذا التوجه فيما بعد وتجعله شرطاً من شروط البناء وأساسياته في كثير من مناطق صعده.

المرحلة الثالثة: الفن المعماري الحديث في صعده:

ومع بداية القرن الـ ١٣هـ بدأت العمارة الصعدية تأخذ طريقها إلى آخر مراحل التطور والرقي في فنون العمارة التي شكلت مع هذا القرن خلاصة التطور فشيدت المباني والمنشآت الواسعة ذات الفخامة والتصميم الدقيق والنقش البديع وأقيمت المناظر (الدواوين الواسعة) في قمم المنازل العالية واستخدمت في المباني الطينية (الياجور) الطين المحروق في تشييد الطوابق العلوية بما فيها الدواوين التي شيدت بعناية على هامة هذه الدور في الوسط لتشكل تاجاً لهذه الدور نموذج (بيت القروطي) (بيت مدغة)(١).

وخلال النصف الثاني من القرن ١٤هـ شهدت مناطق صعده تطوراً كبيراً في عملية البناء والتشييد بفعل الاستقرار الذي عم البلاد بعد قيام ثورة ٢٦سبتمبر ١٩٦٢م وترسيخ النظام الجمهوري في ١٩٦٩م فشيدت المباني الحديثة المحتفظة بالأصالة والتي جمعت بين مظهر الحداثة وفنون وإبداع العمارة القديمة مع أحداث التطورات فشيدت المنازل الطينية والحجرية والاسمنتية لتشكل غاية في الروعة والجمال المتفرد وقد أضاف استخراج الأحجار الصعدية البيضاء من (القطاط)(٢) جمالاً ورونقاً كبير على العمارة الصعدية الحديثة وشيدت المباني الواسعة الضخمة الطينية والحجرية ذات الأسوار العالية والتصاميم الحديثة وأقيمت المجالس الواسعة (الدواوين) ليصل

---

(١) بيت مدغة والقروطي: من أجمل وأعظم دور مدينة صعده شيدا في القرن الـ ١٣هـ في درب المعلاة (حارة النجار) حالياً يتكونا من خمسة طوابق الطوابق الثلاثة السفلى من الطين وطابقين أخيران من الياجور وهما متجاوران.

(٢) القطاط: من مناطق المهاذر يستخرج منها الأحجار البلق البيضاء الجميلة التي ترحل إلى مختلف المحافظات اليمنية لجمالها ورونقها ولعل أجمل مباني عدن وصنعاء وتعز والحديدة وغيرها من كبريات المدن اليمنية مبنية بهذه الأحجار التي تسمى بـ(الحجر الصعدي) وتستخرج أيضاً من جبل بني عوير الشرقي.

طول بعضها إلى ٣٠متراً طولاً وأنفقت عليها مبالغ باهضة في نقشها وتزيينها وزخرفتها غدت بعضها تحفة فنية رائعة نموذج (بيت جرمان)[١] من الحجر (بيت السربي)[٢] من الطين كما أخذت في بعض المباني فنون هندسية حديثة في التصميم وشكل البناء نموذج (بيت أبو مسكة) (جامع نوح)[٣].

إن المباني الصعدية الحديثة تعد نموذجاً معمارياً فريداً يعد خلاصة إبداع وفن قرون زمنية عديدة من التطور الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة ولعل النماذج المشار إليها تعد معالم هامة تشكل انعكاساً واضحاً وجلياً للفن المعماري الحديث في صعده وتمثل أيضاً صورة من صور الإبداع اليمني المتطور في مجال العمارة الجامع بين أصالة البناء وحداثة التصميم.

اعتبارات في عملية البناء والتشييد:

شكلت عملية البناء والتشييد أهمية كبيرة في حياة أبناء صعده منذ القدم تعكس نزعة متأصلة في النفوس نحو الحياة المستقرة الآمنة فاستطاع القدماء إقامة نهضة عمرانية واضحة المعالم يتضح في ذلك الكم الهائل من المباني المشيدة والقلاع والحصون والسدود والحواجز المائية والمساجد والمعابد والقصور القديمة التي لا تزال آثارها ومعالمهما خالدة حتى اليوم وشاهدة على عظمة الإنسان اليمني القديم الذي استطاع ترويض الطبيعة الخرساء ليجعل منها مصدر خيره ومعاشه وحصنه المنيع ضد الظروف القاهرة والأخطار وصروف الزمن.

وبرغم أن أبناء مناطق صعده قد عكسوا من خلال هذه النهضة العمرانية

---

(١) بيت جرمان: قصران متجاوران من ستة طوابق من الحجر في منطقة البقلات شرق المدينة في نهايتهما أقيم جسر يربط بين كلاهما.

(٢) بيت السربي: من أجمل الدور الطينية الحديثة وأوسعها وموقعه في بني معاذ-سحار غرب مدينة صعده بـ١٠كم.

(٣) جامع نوح: تحفة فنية بنيت من الأحجار البيضاء والحبش وهو مسجد عظيم وأكبر مساجد صعده الحديثة شيده التاجر نوح أحمد مرق.، وبه مآذن عالية من الحجر ويتكون من طابقين الأعلى للنساء ويقع غرب المدينة القديمة قرب الصحن.

نزعة الاستقرار وهاجس الحياة المستقرة إلا أنهم قد وضعوا اعتبارات عدة في عملية البناء والتشييد القديم حتمتها الظروف المعيشية والواقع الاجتماعي والصراعات السياسية الطويلة ومن هذه الاعتبارات:

- الجانب الحربي والدفاعي:

من أبرز الاعتبارات التي روعيت في عملية البناء والتشييد في صعده منذ القدم الجانب الحربي والدفاعي الذي تجسد في الواقع العام والخاص لأفراد المجتمع فعلى المستوى العام للمجتمع اهتمت الكيانات السياسية القديمة (الدولة، القبيلة) بهذا الجانب فأقامت مباني الحكم ومراكز السيطرة على قمم الجبال الشاهقة المحدودة الطرق والمسالك واهتمت ببناء القلاع والحصون وأبراج المراقبة على قمم الجبال وإقامة الأنفاق الأرضية التي تصل هذه المنشآت إلى مناطق بعيدة وقد تجسد هذا في النفق الموجود في (مدينة تلمص القديمة) التي سبقت صعده حيث يؤدي هذا النفق إلى غرب الجبل وكذلك النفق الموجود في قشلة صعده والذي يربطها بجامع صبيح المجاور وتجسد هذا الاهتمام في بناء سور صعده في عهد الإمام شرف الدين (يحيى) بن شمس الدين في القرن العاشر الهجري على امتداد ٤,٥كم ليحيط بمدينة صعده القديمة وبارتفاع ٦-٨متر وعرض ٣,٥متر إلى جانب ٣٦٠فتحة مراقبة على طول امتداد السور دائرياً فأقيمت هذه الفتحات بشكل مائل ضماناً للسلامة عند مواجهة المهاجمين للسور إلى جانب عدد من نوب الحراسة في أجزاء السور وتحديد ٤أبواب فقط للمدينة هي (باب المنصورة)[1] (باب جعران) (باب نجران) (باب سويدان)[2] وقد اتخذ السور شكلاً متعرجاً وتغطي أبوابه منعطفات وزوائد تحجبها عن الأنظار لمن هو خارج السور على بعد ١كم فأكثر كما هو عليه الحال في (باب نجران) اما على الجانب الفردي فقد راعى سكان المناطق هذه الاعتبارات من خلال اختيار الأماكن الحصينة على قمم الجبال المنيفة لبناء

---

(١) باب المنصورة: يعرف بباب السلام اليوم بعد أن تم فتح ثغرة في السور على مقربة من الباب الأصلي.

(٢) باب سويدان: يعرف اليوم بباب اليمن وهو الباب الجنوبي باتجاه رحبان.

المساكن والدور كما هو عليه الحال في مناطق رازح ومنبه وخولان عامر واتخاذ تجمعات سكانية كبيرة في الأودية والسهول الخصبة وإقامة الأسوار المنيعة حول هذه المنازل والتي خلقت عادة متوارثة لدى سكان المناطق السهلية في صعده تتمثل في بناء أحواش البيوت قبل الشروع في بناء المساكن وتقوية مداميك البناء للبيوت وإقامة فتحات مراقبة في أعلى المنازل وتحديد النوافذ بفتحات بسيطة بهدف التهوية والإضاءة البسيطة كما حرصت المجتمعات المستقرة في المدن على إقامة المباني المتجاورة التي تشكل كتلة من المباني تشكل حارة لها مداخل ومخارج محدودة ولها أبواب يتم إغلاقها مع غروب الشمس بينما تشكل أحياء وحارات المدن سلسلة متجاورة ومترابطة من الأحياء داخل المدن. كما هو الحال في احياء وحارات مدينة صعده المشكله من حارات وأحياء مستقلة كـ(حارة شيبان، عليان، القصر، الجربة، الدرب، وغيرها).

- الجانب الاقتصادي:

ومن اعتبارات البناء والتشييد في مناطق صعده الجانب الاقتصادي حيث وضعت التكاليف المادية للمنازل والأسوار والقلاع ومواقع العبادة في مقدمة الاعتبارات فسكان المناطق الجبلية الشاهقة والسفوح اعتمدوا كلياً على الأحجار في البناء والتشييد المتنوع لتوفرها كما هو قائم في مناطق (حيدان- رازح- منبه- ساقين-جماعة) بينما اعتماد سكان السهول والأودية الخصبة على الطين في عملية البناء لتوفر الطين الذي يمتاز بقوة تلاحم حبيباته ويشكل مانعاً قوياً صلداً يقاوم الزمن كما هو عليه في (صعده- سحار- باقم- آل أبو جبارة- الصفراء- العقيق- أملح- آل سالم- قطابر) وغيرها.

وعلى هذا الصعيد روعيت الحالة المعيشية فسكان المناطق الجبلية أقاموا مساكنهم على قمم المدرجات الجبلية الزراعية في مناطق خصبة وقرب موارد المياه وممرات السيول وفي المروج الخضراء لاعتمادهم على الزراعة

والرعي أما سكان القيعان والأودية فقد شيدوا مساكنهم قرب الينابيع وفي ممرات السيول ومواقع تجمعها في المضايق الجبلية لري الأراضي الزراعية التي تعد نشاطاً مساعداً إلى جانب نشاطاتهم التجارية والصناعية والحرفية كما روعي في عملية البناء للمنازل إقامة المدافن الخاصة بالغلال وإقامة مخازن الحبوب والمنتجات الزراعية ومساكن للمواشي والأغنام في كل مسكن وقد اهتم سكان المناطق الجبلية والوديان والقيعان على حدً سواء ببناء السدود والبرك والحواجز المائية الكفيلة بحجز مياه الأمطار والسيول باعتبارها المصدر الأساسي والدائم للري والشرب أيضاً وقد زخرت صعده بعدد من السدود القديمة التي أنشأت في مراحل زمنية مختلفة كسد (الخانق الشهير)، (سد نسرين)، (سد ساقين)، (سد أم ليلى)، (سد السنارة) أما البرك الحواجز فقد انتشرت في عموم مناطق المحافظة.

- الجانب الروحي:

يحظى الجانب الروحي باهتمام كبير في حياة أبناء صعده منذ القدم ويتجلى ذلك بوضوح في وجود المعابد القديمة والمساجد التاريخية في قلب التجمعات السكانية المختلفة ولعل الكم الهائل للمساجد التاريخية القديمة التي تصل إلى ٢٧مسجداً قديماً داخل مدينة صعده رغم مساحتها المحدودة دليل على عظمة هذا الاهتمام الكبير وفي ساقين (المركز) تجد ثلاثة مساجد تاريخية متجاورة في موقع واحد (الداعي، عز الدين، النفيش) وفي حيدان تجد مناطق لا يفصل مسجداً عن آخر سوى ١كم كما هو الحال عليه في زبيد الفدين بين (مشهد أحمد بن سليمان) و (مسجد نشوان) أو في منطقة فوط أو هجرة فلله وغيرها فهذه المساجد شيدها الأئمة الأعلام والأمراء الحكام والعلماء العظام في القرون الماضية التي شهدت ازدهار فكري وأدبي وعلمي منقطع النظير تحولت خلالها هذه المساجد إلى مدارس علمية لنشر الفكر الزيدي وما زالت حتى الآن. كما ان الكيانات السياسية المتعاقبة قد قامت على قاعدة الدين فدفعت

الرموز الأعلام من الأئمة والحكام إلى بناء المساجد وإحياء حلقات الـــدروس وتعزيز قاعدة المذهب الزيدي وتحصينه فـــي وجـــه التوســـعات القرمطيـــة والباطنية وغيرها. كما شيدت المعابد قديماً في قلب التجمعات السكانية وفـــي المدن ومراكز الحكم (معبد عرو، معبد أم ليلى).

وقد اهتم الصعديون الميسورين ببناء المساجد الخاصة بهم كملحقات للدور والقصور والمباني الواسعة وهي عادة القبائل الصعدية حتى اليوم.

- التلاؤم مع الطبيعة:

المنازل الصعدية والقلاع والحصون التي أقيمت على سفوح وقمم الجبـــال والمدرجات الزراعية بنيت في الأغلب من الأحجار لإمكاناتها فـــي مواجهـــة مخاطر السيول والأمطار وعوامل التعرية الطبيعية وتناسبها مع مناخ المناطق الباردة كـــ(رازح، حيدان، منبه، شداء، غمر، ساقين).

أما في الأودية والقيعان والمضايق الجبلية فقد شيدت المنازل من الطيـــن المتلائم مع التغيرات المفاجئة للمناخ فمن خاصية البناء بالطين خزن الحـــرارة الشديدة للشمس خلال النهار لتعكسها داخل المنازل لمدة مساوية لـــهـا وتقـــوم بتخزين البرودة خلال الليل لعكسها داخل المنازل خلال النهار.

وقد حرص الصعديون في تشييد المنازل والدور العالية على بناءها بشكل انسيابي (/\) وإحاطة أسفل المباني بالقضاض لتقليل حدة مخاطر الأمطـــار الموسمية التي تستمر ساعات كاملة أحياناً كما وضعوا أنظمة لصرف الميـــاه في الأحياء إلى المناطق الزراعية للحد من أخطار تجمعـــات الســـيول وميـــاه الأمطار.

اهتمامات البناء الصعدي:

القلاع والحصون:

مناحي كثيرة لاهتمامات البناء الصعدي في طليعتها إقامة الحصون والقلاع والمنارات وأبراج المراقبة والأسوار فالظروف السياسية الغير مستقرة وتحول الكثير من مناطق صعده إلى ساحات للصراع السياسي والتقلبات السياسية المفاجئة طوال القرون الماضية والتي علمت الصعديين الحذر ونبهتهم إلى أهمية إقامة القلاع والحصون والتحصينات الأخرى ضماناً للسلامة وجعلها محطة انطلاق آمن لمواجهة الغارات أو الإغارة على الأعداء وحماية التجمعات من غوائل الأيام وتقلبات السنين فقد أحرق الحميريون قاع الحقل بصعده وجاء العباسيون ليوجهوا حملات التأديب المختلفة لمناطق صعده بقيادة معن بن زائده الشيباني سنة ١٤٠هـ ثم جاء داعية ابن طباطبا بقيادة إبراهيم بن موسى العلوي الملقب بـ(الجزار) سنة ١٩٩هـ ليدمر كثير من المناطق ويسفك دماء الأبرياء حتى أطلق عليه لقب (الجزار) لكثرة من قتل عندما دخل صعده وهدم سد الخانق وسد ساقين ودار تضراع وأحرق قاع الحقل وهدم الدور أو مثلما حدث في عهد الدولة الهادوية عندما حارب الإمام الناصر بن الهادي آل فطيمة سكان العشة في (مصنعة كتفا) وفي (يوم الباطن) التي يعد من أيام العرب أو عندما أخرب الإمام الناصر بن الهادي مدينة باري فخلدها الشاعر الصائدي بقوله:

أسفر وجهي وانجلى عني الفتر لم يبق منها حجر على حجر

ولذا فقد شيدت عدد من القلاع والحصون الجاهلية القديمة كـ(العبلاء) بصعده و(حصن المفتاح) بحيدان و(حصن دفا) بأم ليلى و(حصن المنمار) بساقين و(حصن بني عوير) بسحار و(حصن الازد) و(حصن حرم) (وحصن غمار) برازح و(حصن العشة) و(خنفعر) و(عنم) بسحار و(حصن هرابة وحصن المصنعة وحصن المقتل) بهمدان.

وقد ذكر الهمداني الحصون القديمة[١] فقال (والعبلاء وحصن العشة وأبذر وعراش وغيلان والفرا وبران ودفا وعنم وخنفعر من بلاد خولان).

وأبذر هو حصن بني عوير، وغيلان حصن الأزد، اما حصن بران ففي شرق صعده في بلاد شاكر والعشة وعنم وخنفعر في قاع صعده وعراش في ساقين[٢].

وفي العصر الإسلامي شيدت الكثير من القلاع والحصون كـ(السنارة) و(الصمع) و(قشلة صعده) و(قلعة غمار) و(قلعة الصفراء) و(القفل) و(الدامغ) بساقين... وغيرها.

المعابد والمساجد:

التحول العقائدي في التاريخ اليمني نتج عنه آثار ومعالم تاريخية دينية تمثلت في وجود بقايا وآثار معابد قديمة بينما أغلبية هذه المعابد مطمورة بفعل تقادم الزمن وقد خلف العصر الإسلامي خلال القرون الماضية مئات المساجد التاريخية القديمة المتناثرة في عموم مناطق المحافظة والتي يجل حصرها وهذا يعكس اهتمام كبير من الأوائل ببناء المعابد والمساجد كدلائل على اعتقاد ديني راسخ.

السدود والحواجز:

إحدى محاور اهتمام القدماء هي السدود والحواجز التي مثلت المصدر الرئيسي لمياه الري لمناطق اشتهرت بالزراعة منذ القدم ومن أهم هذه السدود (سد الخانق) (سد ساقين) (سد نسرين) (سدود ام ليلى) (سد السنارة) أما البرك والحواجز الصغيرة فليس لها حصر وقد أقيمت في كل المناطق والقرى في ممرات السيول وجوانب الأودية والقمم الجبلية وتعد (بركة السرار) بني عوير

(١) صفة جزيرة العرب/ ١٢٩.
(٢) التفاصيل في الباب الثامن (المعالم الأثرية والتاريخية بصعدة).

نموذج لها وكذا (بركة المنجور) في الغرس بصعده.

الدور والقصور:

ومن الطبيعي في ظل العمارة المزدهرة والأدوار التاريخية التي لعبتها مناطق محافظة صعده كامتداد لنفوذ الدول القديمة وحاضرة إسلامية شيدت الدور والقصور التي اتخذت مساكن ومقرات الولاة والعمال والأئمة والأمراء ومن أعظم المآثر الشاهدة في هذا الجانب (قصر كهلان) بالقلات و(قصر يسنم) بأم ليلى وهناك قصور قديمة أخرى لم تتحدد ملامحها ومواقعها كـ(قصر قيوان) و(القشيب) و(الهجر) و(دفا) وغيرها وفي العصر الإسلامي (قصر المنصورة) بصعده وغيره.

الأسوار:

حرص الصعديون منذ القدم كجانب وقائي ولصد الغارات والدفاع عن ذاتهم إلى إقامة الأسوار حول المدن والقلاع والحصون والدور ومقرات الحكم وهذا ما تعكسه بعض الآثار القديمة (كسور مدينة أم ليلى) و (سور مدينة صعده) والأسوار التي أقيمت على بعض القلاع كـ(سور حصن العبلا) و(سور قشلة صعده) وغيرها ويحرص الصعديون حتى اليوم على بناء الأفنية واحواش الدور والمنازل قبل بناء المنازل والدور نفسها.

خصوصيات الفن المعماري القديم بصعدة :

الزائر لمحافظة صعدة يدرك منذ الوهلة الأولى لوصوله إلى عاصمة المحافظة الخصوصية التي تتمتع بها مناطق صعدة من حيث العمران والبناء، فمدينة صعدة القديمة مثالاً لها طابع خاص متميز عن غيرها من مدن اليمن بحيث يسهل عملية تمييزها عن غيرها وبرغم تواضع بنائها وبساطته إلا أنها تشكل صورة جمالية توحي بفناء معماري بديع وطراز متميز في فن العمارة.

وقبل أعوام التقيت بعض السائحين أثناء جولتهم في مدينة صعدة

وبالصدفة كان بينهم (بيترو كاردونى)[١] السفير الإيطالي في اليمن وعندما سألته عن انطباعاته عن مدينة صعدة أجاب السفير بقوله (صعدة جميلة لولا الإهمال) هكذا يقول مورافيا[٢].. وأجزم أن مدينة صعدة بخصوصياتها وفنها المعماري جعلت منها واحدة من أقدم المدن العالمية التي مازالت تحتفظ بأصالتها وطابعها المعماري القديم على مدى قرون زمنية كاملة وعلى حد قول مجلة العربي فصعدة هي المدينة العربية الوحيدة التي مازالت داخل سور قديم متكامل[٣].

سمات ومميزات العمارة بصعدة :

ولفن العمارات بصعده خصوصيات تميزها عن غيرها من معالم العمران اليمنية القديمة يمكن من خلالها التعرف على طبيعة العمارة القديمة في صعده ومن هذه السمات والخصوصيات الآتي:

١-البناء بالطين:

اعتمد الصعديون منذ القدم خصوصاً في قاع صعده على مادة الطين في إقامة روائع البناء والتشييد والعمارة رغم توفر الأحجار الصالحة للبناء بكثرة في الجبال المحيطة ويعود سر هذا الاختيار إلى المميزات التي يتميز به البناء بالطين عن غيره والتي من أهمها قلة التكاليف المطلوبة في إحضار وتوفير هذه المادة وقلة تكاليف البناء بها وسهولتها حيث يتم العمل مسبقاً على توفير الطين والماء وعند الشروع في البناء يتم خلط هذه المواد ونقلها على شكل كتل ضخمة ليتم إقامة البناء على مراحل (مداميك) حتى يتم اكتمال البناء لكن في الأعمال العظيمة كـ"سور صعدة" تم بناء السور على شكل قوالب مصفوفة من الطين تكفل البقاء لفترات طويلة من الزمن، ومن مميزات البناء الطيني صلابة

(١) بيترو كاردوني: سفير إيطالي في اليمن سنة ١٩٩٣م.
(٢) مورافيا: مفكر وكاتب إيطالي شهير زار اليمن مرات عدة.
(٣) العربي: العدد ١١٨، يوليو ١٩٧٤م.

وشدة البناء وقوة تحمله لعوامل التعرية والوقت حيث أكدت التجارب مقدرة الطين على البقاء مئات السنين وتصديه لكل التحولات وعوامل التعرية نظراً لشدة تماسك أجزاء المادة الطينية في كثير من أعمال البناء الرائعة للدور والقصور ما زالت معالم بنائها مشيدة حتى الآن رغم مرور قرون كاملة على بنائها ومن مميزات الطين التلائم مع الجو حيث يكون التكييف دائماً بعكس الجو والمناخ.

٣- الشكل العام للعمارة:

للعمارة بصعده شكل خاص يميزها عن غيرها من العمارات اليمنية فمن حيث الشكل الخارجي يتم البناء على شكل أجزاء في المباني بحيث يتم إقامة المداميك الأولى يليها الثانية حتى النهاية وتظهر في شكل المباني الخارجية على شكل تقاسيم طبقية وفي نهاية البناء يتم عمل دعائم مثلثة بالأركان وفي السقوف الخارجية وأعلى البناء يتم طليها بمادة النورة البيضاء وتجصيص حول النوافذ من الخارج وتشكيل حزام أبيض يعطي البناء رونقاً وجمالاً فريداً ويتم تجديده بعد سنوات من البناء.

ومن العلامات المميزة للبناء بصعده الشكل العام للبناء حيث يتم تضييق البناء عند كل طبقة ترابية جديدة بحيث يشكل للبناء ميولاً إلى الداخل على شكل (/‾\) ويتخذ هذا الميول للمحافظة على تماسك وترابط البناء بشكل أقوى.. أما في المساجد والحواجز والبرك والسدود فقد روعي العمل على طلي الأماكن الخارجية ومواقع تجمعات المياه بمادة القضاض وهي مادة صلبة جداً مصنوعة من أحجار يتم حرقها ودقها وخلطها بمادة القاطور ومواد أخرى تعمل على تماسكها[١] وقد حلت مادة (القضاض) آنذاك محل الاسمنت حالياً مع فارق في القوة وصلابة القضاض.

(١) الثورة/ استطلاع عن مادة القضاض في عملية البنا والتشييد للمؤلف.

ومن العلامات المميزة لبناء المساجد[١] الاهتمام بإقامة المآذن والقبب الخارجية المختلفة الأحجام والأشكال ورص صوح المساجد بالأحجار وإقامة المساجد على ضفاف بساتين[٢] واسعة لتصريف مياه المسجد والانتفاع بها وبالنسبة للقلاع والحصون فقد روعي إقامتها بشكل (نوب) محكمة التشييد مجهزة بكافة عوامل الإخفاء والتحصين وهو نفس الإدراك عندما تم تشييد (سور صعده الشهير) وإقامة النواب الحراسية على أبوابها الأربعة وإقامة ستور الأبواب تمكن الناس من الدخول والخروج في أمان وبعيداً عن المخاطر.

وخلال العهد العثماني وما بعده من عهود الأئمة توجه الولاة إلى إقامة القلاع والحصون الحجرية الضخمة على قمم الجبال الشاهقة للسيطرة وتحقيق عامل الحماية فأنشئت قلعة السنارة وقلعة الصمع بصعده وقلعة الصفراء وقشلة ساقين وسمسرة حيدان والقلعة برازح وكانت نمطاً موحد ببناء زمني محدود بدأ من مطلع القرن العاشر الهجري.

٣- البساتين وأحواش المنازل:

يحرص الناس في صعده كعادات متوارثة علمتهم مخاوف السنين وصراعات القرون العابرة على إقامة الأحواش والبساتين الخارجية قبل الشروع في بناء المنازل والدور حرصاً على تحقيق الأمان والسلامة وتحصنا ضد أي مكروه أو صراع قبلي ومتنفساً يخلد إليه الساكنون للراحة والاستمتاع بالنزهة والجو المناسب، ويتم زراعته بأصناف مختلفة من الفواكه من عنب ورمان وبرتقال فتتدلى عناقيد الكروم وثمار البرتقال والرمان من هذه البساتين.

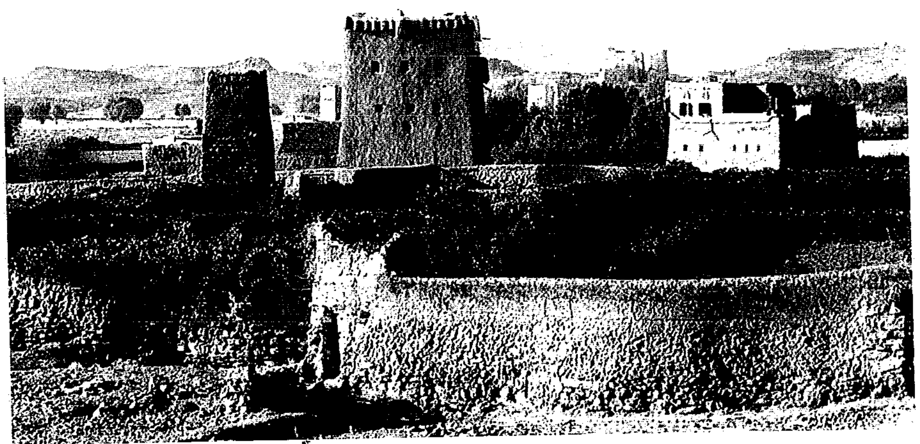
---

(١) تبنى المساجد غالباً في عموم مناطق صعده بالأحجار وتبنى المآذن بالياجور (اللبن المحروق) وقواعدها من الحجر الحبش.

(٢) بساتين المساجد: تسمى في صعده (حوائط) مفردها (حائط) ولكل مسجد حائط.

٤-النقش والزخرفة:

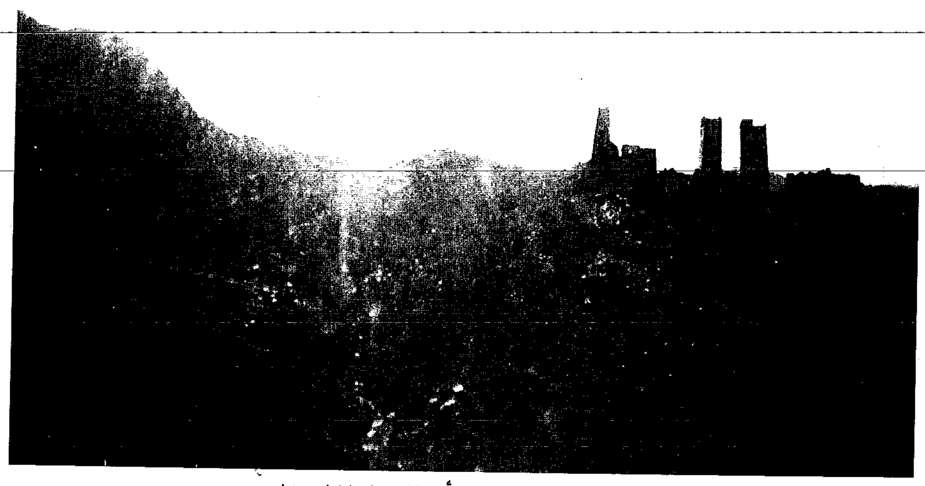
من مظاهر العمارة بصعده القديمة النقوش والكتابات على الأبواب والنوافذ وجدران المنازل الداخلية واستخدام مواد محلية في البناء من مغـــالق وأقفـــال وشبابيك وأبواب متقنة الصنع جميلة المنظر كانت صعــــده مصنعـــاً رئيســـياً لصناعتها وسوقاً تجارية كبرى لتسويقها على مدى القرون الماضية كما يتم في بناء الغرف إقامة عقود في السقف من الداخل يضيف روعة ورونقاً للبناء أمـــا من الخارج فيتم إقامة نقوش وأشكال هندسية جميلة متباينة الأشكال والصـــور والأحجام على شرفات الدور والمنازل وفي صـــدر المبـــاني متخذيـــن مـــادة القضاض والنورة لإبراز مثل هذه الكتابات والأشكال الهندسية.



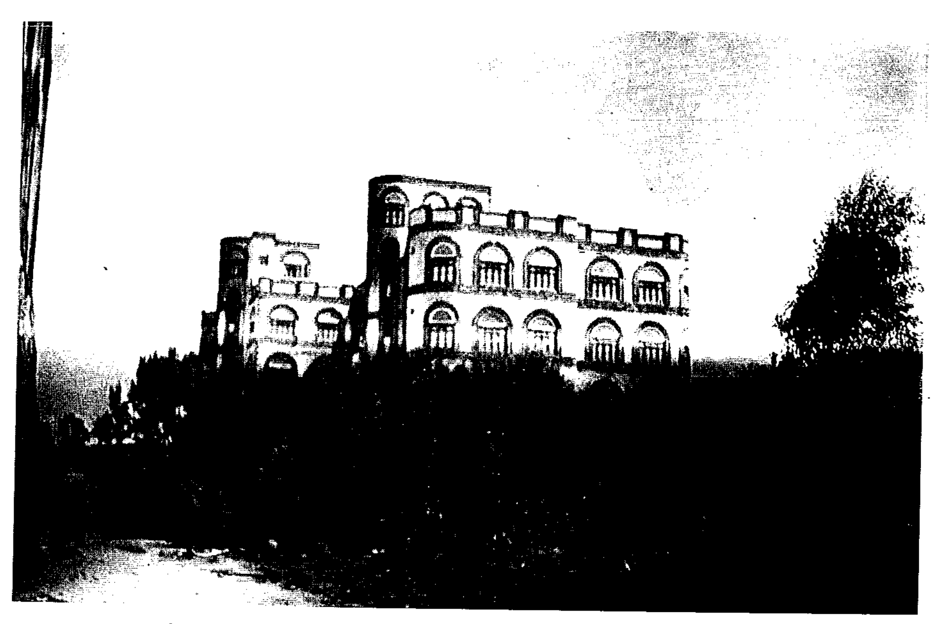
الزراعة في صعدة حكاية الماضي والحاضر والمستقبل



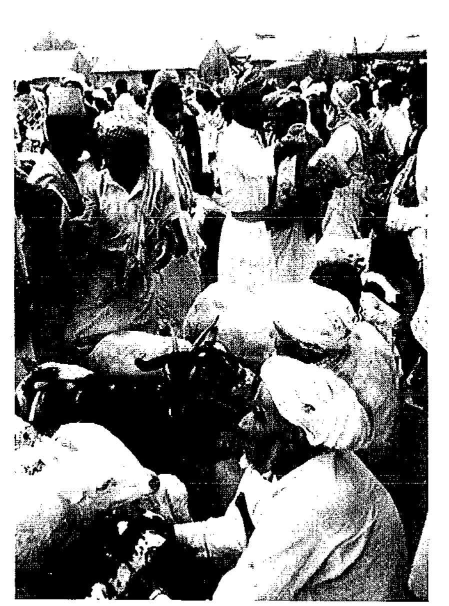
البدو أوتاد الصحراء- ملامح للرعي في المنطقة الشرقية من صعدة



هكذا شيد اليمنيون الأوائل المنازل والدور
المرحلة الأولى لتطور فن العمارة الصعدية



(بيت جرمان) أرقى التطور في البناء الصعدي الحديث
(الجمع بين الأصالة والحداثة)



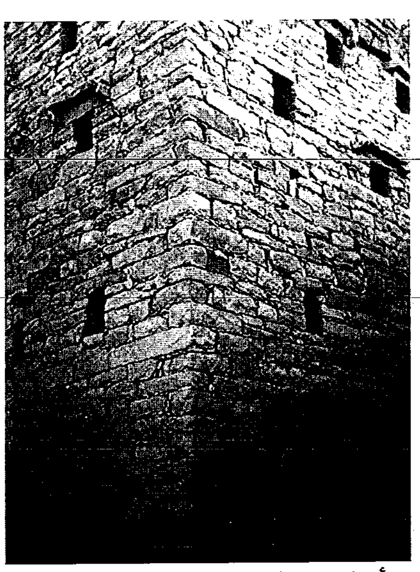
سوق الماشية بالملاحيط- الظاهر



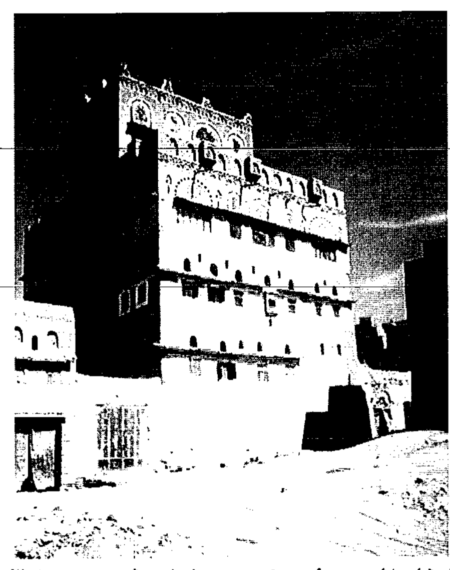
إنتاج كل صفوف المزروعات واجود المنتجات الزراعية



سوق الحبوب بالملاحيط



أسلوب وشكل البناء الإسلامي
مع مطلع القرن الخامس الهجري



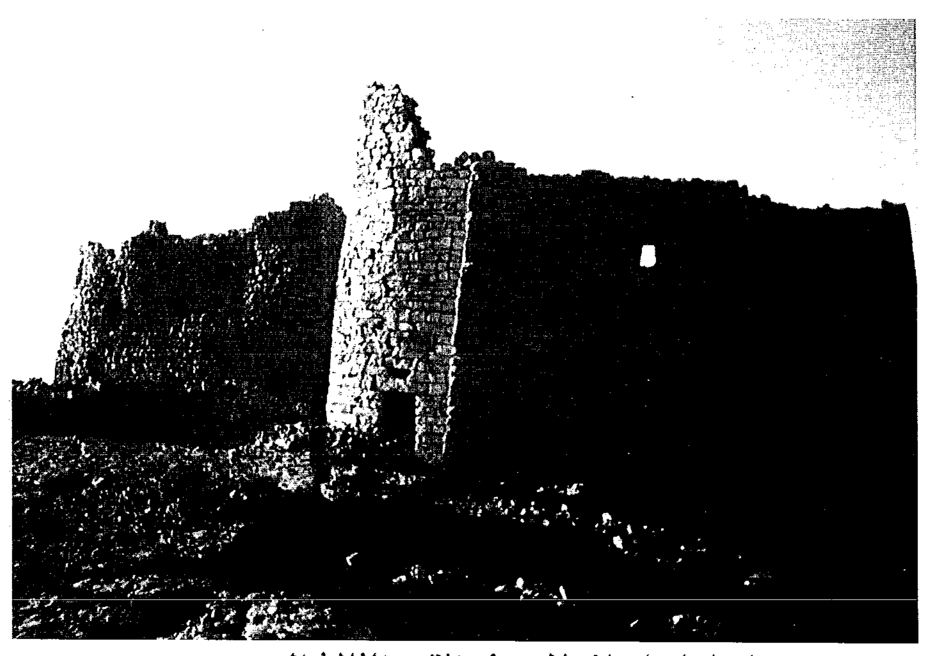
البناء الحديث مبنى من الطين(بيت مدغة)
المرحلة الثالثة لتطور فن العمارة الصعدية



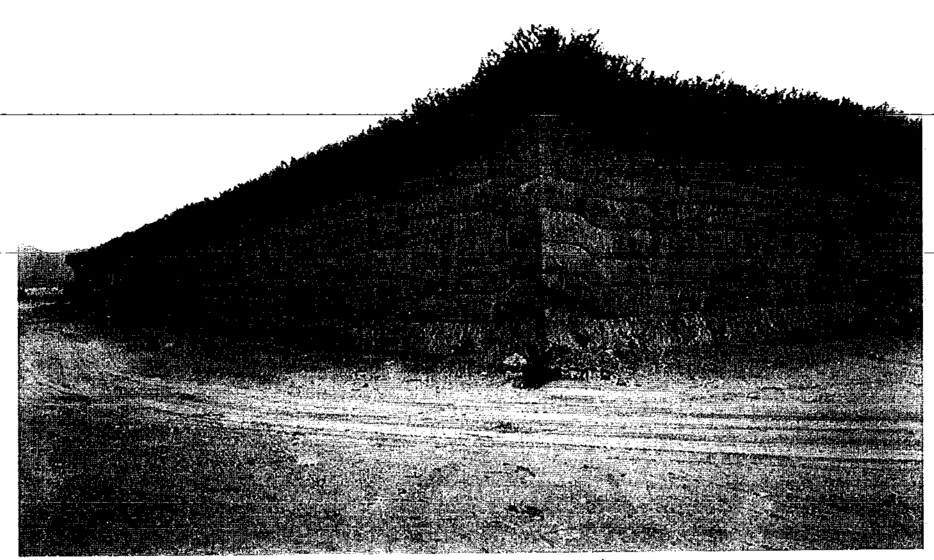
سوق الأربعاء بحيدان- نمط الأسواق الأسبوعية في المناطق



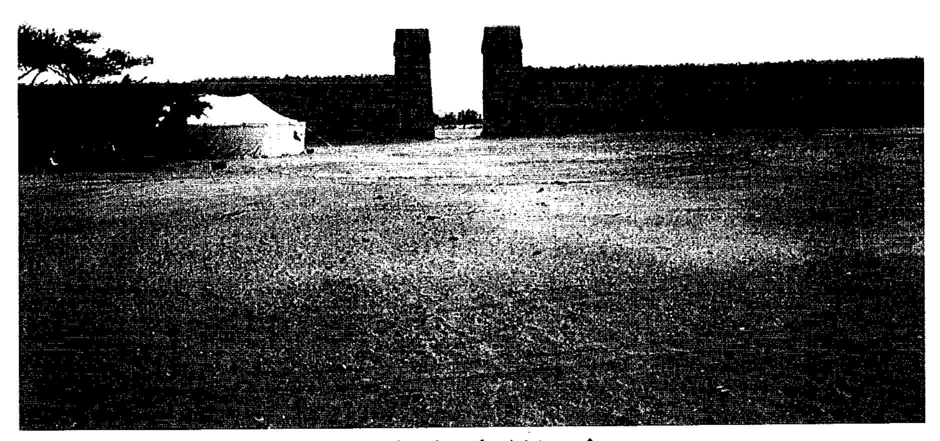
صور وشكلية البناء بالطين
(قرية صعدية)



نمط البناء الإسلامي في القرن الثالث الهجري
المرحلة الثانية لتطور فن العمارة الصعدية



الأحواش أو أسوار المنازل
لإعتبارات أمنية يتم بناءها

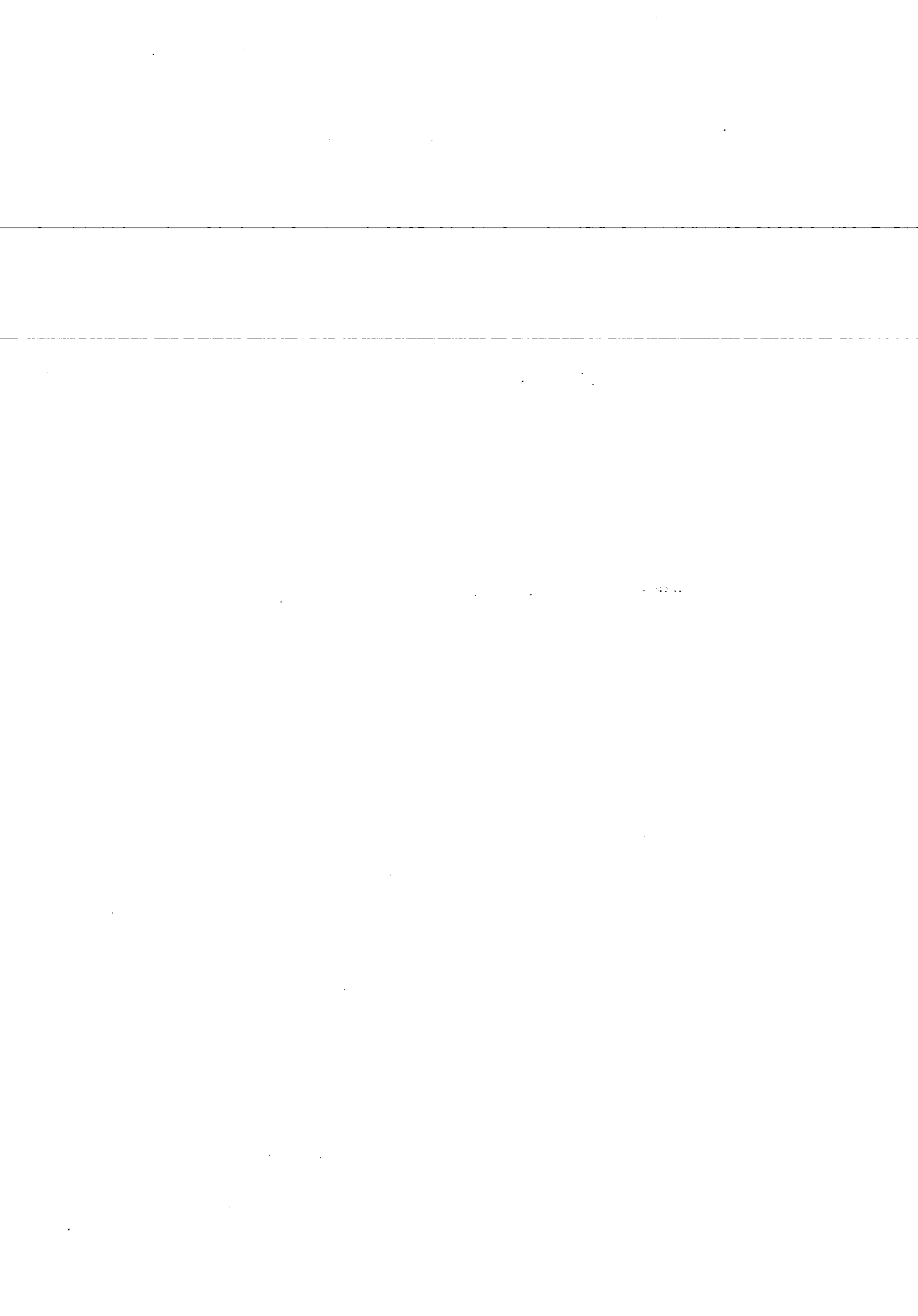


حوش منزل في العطفين
نزعة الإستقرار مشوبة بنزعة الحذر

الباب الخامس

الحياة الفكرية والثقافية

- اهتمامات الحياة الفكرية
- علوم القرآن
- الفقه والحديث
- التاريخ والسير
- علوم الفلك
- الفكر السياسي
- المعارف الأخرى
- الفكر الزيدي – المدرسة العلمية



الحياة الفكرية والثقافية

لم تنشأ في صعده حياة فكرية وثقافية في العصور القديمة بمعناها الصحيح وهذا انعكاس واضح للحياة اليمنية القديمة التي ركزت على جوانب الاهتمام في الحياة كالزراعة والتجارة والصناعة والعمل الحربي وإن وجدت بعض الشيء فإن هذه الحياة الفكرية والثقافية جاءت لتهذيب حياة الناس من خلال أقوال ووصايا ونصائح الحكماء والملوك القدماء والتي لم تحظ بالتدوين باستثناء الشيء البسيط وهو وضع ينطبق على اليمن برمته الذي لم تحتل مثل هذه المسائل أهمية في حياة المجتمع اليمني عموماً رغم بروز عدد من الحكماء والمؤرخين والمشتغلين بالنجوم والتي لم تحظ أفكارهم وآراءهم بالعناية والحفظ والتدوين في الحياة اليمنية الغير مستقرة والتي سادت فيها الحروب والغارات ومواجهة القوى الخارجية الطامعة في اليمن من فرس وأحباش وغيرهم ونظراً لحركة الهجرات اليمنية القديمة المتعاقبة التي امتدت حتى العصور الإسلامية الأولى والعهدين الأموي والعباسي حيث هاجرت من صعده كثير من القبائل الخولانية والهمدانية كهجرة بني هلال وهجرة شعب حي من خولان قبل الإسلام. ومن ثم تفرق القبائل الخولانية والهمدانية في أرجاء المعمورة بعد دخولهم الإسلام فانتشروا في الشام والعراق ومصر والأندلس وشمال افريقية واستوطنت هذه القبائل البلدان المفتوحة في حواضر الإسلام[1]. فبرعوا في شتى جوانب العلم والمعرفة وتولوا قضاء الكثير من الأمصار فبرز منهم عدد من المهاجرين الأعلام أمثال مسروق بن الأجدع

(١) الأعلام/ جامع المهاجرين.

الهمداني[١] وأبو ادريس "عائذ" الخولاني[٢] وعبد الرحمن بن حجيرة[٣] ومالك بن شراحيل[٤] وأبو المغيرة عبد القدوس بن حجاج[٥] ومحمد بن حرب الابرش الخولاني[٦] وابا عبدالله محمد بن إبراهيم بن مسلم البطال[٧] وعلي بن خلف بن عبد الملك بن البطال[٨] وعفان بن عثمان بن الحكم[٩] ومدافع بن أحمد المعيني، وآخرين.

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ومع قيام دولة الهادي يحي بن الحسين بن القاسم الرسي ٢٨٤هـ بدأت صعده تشهد حياة فكرية وثقافية منقطعة النظير وتحولت إلى منارة إشعاع فكري وثقافي في عموم اليمن وغدت قبلة للعلماء والمتعلمين الذين توافدوا من كل أقطار العالم الإسلامي وأسهموا في وضع لبنات حياة فكرية وثقافية مزدهرة امتدت أكثر من عشرة قرون زمنية كاملة برز خلالها رجال أعلام وعلماء ومفكرين ومؤرخين عظام وفقهاء ومحدثين وقضاة ومصنفين من الطراز الأول امتدت شهرتهم إلى خارج اليمن وإلى كل أقطار العالم الإسلامي أمثال الإمام الهادي/يحي بن

---

(١) مسروق بن الأجدع: مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي من ولد معمر بن الحارث بن سعد بن عبدالله بن وادعه بن عمرو بن عامر، تابعي ثقة قدم المدينة أيام أبي بكر الصديق، الأعلام: ٥/٢٦٠، جامع المهاجرين: ٥١٧.

(٢) أبو ادريس الخولاني: عائذ بن عبد الله بن عمرو الخولاني (٨-٨٠هـ) تابعي واعظ وقاض أهل الشام (جامع المهاجرين)، الأعلام، تذكرة الحفاظ: ٥٣/١ تهذيب التهذيب: ٨٥/٥.

(٣) عبد الرحمن بن جحيرة: الخولاني قاض مصر وأمين خزانتها (٨٣هـ) (جامع المهاجرين/ عبد القادر بامطرف) مجموع قبائل اليمن للحجري.

(٤) مالك بن شراحيل: الهمداني قاضي مصر سنة (٨٥هـ) عدة السيوطي من الأئمة المجتهدين (الأعلام للزركلي: ج٥/٢٦٢)، الإصابة: ت/ ٣٥١، جامع المهاجرين: ٤٧٤.

(٥) أبو المغيرة بن حجاج: عبد القدوس بن حجاج الخولاني الحمصي توفى ٢١٣هـ ترجمة الذهبي، الإصابة: ت/٣٥١.

(٦) محمد بن حرب الابرش: الخولاني الحمصي أبو عبد الله من حفاظ الحديث الثقات ولي قضاء دمشق حديثة في الكتب الستة توفي سنة ٣١٠هـ، الأعلام: ٤/ ٢٨٥.

(٧) محمد بن إبراهيم البطال: محدث) ذكره ياقوت الحموي منسوباً إلى صعده عالم حديث من أهل قرطبة، توفي سنة ٤٤٨هـ، الأعلام، جامع المهاجرين.

(٨) علي بن خلف البطال: من أحفاد محمد بن إبراهيم البطال (جامع المهاجرين)(الأعلام ٤/٢٨٥).

(٩) عفان بن عثمان بن الحكم: من بلاد جماعة هاجر إلى الشام جامع المهاجرين/٤٤٩) (الأعلام ٣/٢٨٣).

الحسين بن القاسم الرسي (...–٢٩٨هـ) وعبدالله بن الحسين بن القاسم صاحب الزعفرانة[١] (... –٣١١هـ) والمؤرخ الكبير لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (...–٣٤٤هـ) صاحب الاكليل بأجزائه العشرة وصفة جزيرة العرب، والمؤرخ اللغوي القاضي الإمام نشوان بن سعيد الحميري (... –٥٧٣هـ) صاحب كتاب (شمس العلوم) في اللغة و(السيرة الجامعة في أخبار التبابعة) والقاضي/جعفر بن أحمد بن عبد السلام من كبار علماء الزيدية صاحب (نكت العبادات)، والمفسر يوسف بن عثمان صاحب الثمرات (...–٨٣٢هـ) والقاضي الأديب/محمد بن يحي بهران صاحب (الكافل) (٨٨٨–٩٥٧هـ) ويحي بن أحمد بن مظفر صاحب كتاب (البيان الشافي (...–٨٧٥هـ) وأعلام القضاة العلماء أمثال القاضي/أحمد بن يحي حابس (...–١٠٦٦هـ) والقاضي/محمد بن أحمد مشحم (...–١١٨١هـ) والعلامة القاضي الحسن بن أحمد الجلال (١٠١٣–١٠٨٤هـ).

وقد مزجت هذه النهضة الفكرية بين أفكار الأقطار الإسلامية ونهلت من معين المصنفات الإسلامية في شتى الفنون وزادت فيها من مؤلفات كبار المفكرين والعلماء العرب المسلمين بل ان كثير من المدارس العلمية في صعده قد دفعت طلابها وعلمائها إلى نسخ الكثير من المؤلفات المخطوطة وحفظها في المكتبات وغدا علماء صعده والمتخرجين منها بمصنفاتهم مرجعاً للفكر وعنوان الثقافة في اليمن على مدى قرون كاملة لم تقم خلالها في بقية مناطق اليمن نهضة فكرية بفعل الحروب والصراعات السياسية والعسكرية بين الدويلات المتنازعة كالدولة اليعفرية والإسماعيلية القرمطية والمناخية حتى قيام الدولة الرسولية والصليحية التي كان لها اهتمام بهذا الجانب[٢]. ومن ثم برز نهوض فكري وثقافي ملحوظ غدت فيه زبيد وصنعاء وشهارة وذمار وغيرها

(١) صاحب الزعفرانة: عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي أخو الإمام الهادي عليه السلام.

(٢) ولعل من مدللات ذلك أنه لم يظهر في اليمن نوابغ في شتى العلوم ومناحي الفكر إلا في بداية القرن الرابع الهجري وكانت صعده ملاذ العلماء والمتعلمين الذين توافدوا إليها من شتى أرجاء اليمن ومختلف الأقطار الإسلامية.

مراكز إشعاع فكري وعلمي وثقافي لكنه لم يؤثر على الازدهار الفكري والإشعاع العلمي لمدينة صعدة بل احتفظت بمستواها المتميز وشكلت حلقة من حلقات التكامل لخلق نهضة فكرية وعلمية على مستوى اليمن.

مجال الاهتمام الفكري والعلمي :

وقد تعددت مجالات الاهتمام الفكري والعلمي والثقافي وتنوعت اهتمامات العلماء في شتى العلوم كـ(الفقه) و(الحديث) و(التفسير وعلوم القرآن) و(التاريخ وكتابة السيرة) و(علوم الفلك) و(الطب) و(المساحة) و(الفكر السياسي) بل أن العلماء المتخرجين من هذه المدارس العلمية جمعوا مختلف الفنون وجوانب العلم وبرعوا في التأليف والتصنيف في مجالين إلى ثلاثة وأكثر.

والمعروف أن الجوامع القديمة كانت بمثابة مدارس علمية لعبت دوراً في تعليم شتى العلوم وتخريج آلاف العلماء المبرزين وشكل جامع الإمام الهادي أول وأقدم جامعة[١] إسلامية في اليمن تضم في جنباتها كوادر علمية جليلة وكان للدراسة بالجامع نظام محدد ومنهجية معينة تشمل علوم (القرآن وعلومه) و(الحديث ومصطلحه) و(الفقه وأصوله) و(العقيدة وقواعدها) وكان لهذا الجامع خصوصيته في تخريج العلماء المجتهدين القادرين على الاجتهاد والتنظير والإفتاء[٢] وكان العلماء الكبار يصدرون الإجازات[٣] لطلابهم بعد إكمالهم التعليم وهي بمثابة الشهائد اليوم.

والمتتبع لهذا الجانب يجد أن كثير من قضاة اليمن وأعلام الفكر الزيدي

---

(١) أقدم جامعة في اليمن: يعد الجامع الهادي أول وأقدم جامعة يمنية إسلامية لأن الفكر والازدهار الثقافي لم يبدأ فعلياً في اليمن إلا بعد قدوم الهادي وبناء هذا الجامع الذي شملت حلقات العلم والتدريس العامة من الناس بعد أن كانت محصورة في جوامع صنعاء وزبيد والجند ومحدودة أيضاً فكان عهد الهادي انفتاح فكري وعلمي فريد بدليل ان عظماء أعلام ومفكري اليمن لم يظهروا إلا مع نهاية القرن الثالث الهجري وحقيقة ان دولة الهادي شكلت البداية الفعلية للثقافة والفكر في اليمن.

(٢) جامع الهادي كتيب للاستاذ/ عبد الله حمود العزي.

(٣) الاجازات: مفردها "إجازة" من شيخ علم أو أكثر للطالب بعد إكماله الدراسة.

خلال أكثر من عشر قرون كانوا من أبناء صعده أو من خريجي جامع الهادي بصعده أمثال (القاضي جعفر بن عبد السلام) و(القاضي محمد يحي بهران) و(القاضي أحمد بن يحي حابس) و(القاضي أحمد بن محمد مشحم) و(القاضي الحسن بن أحمد الجلال) و(القاضي العلامة سلطان علماء اليمن في القرن الثامن الهجري الهادي/ عبدالله بن الحسن الدواري) الذي كانت مبايعة الأئمة آنذاك تتوقف على مبايعته في كل أصقاع اليمن[١] ومن المدارس العلمية القديمة والهامة في صعده (التوت) (عليان) (العشه) (شيبان) (فلله) (قملا) (رغافة) (المشهد بحيدان) (الذويد) (وكل المساجد القديمة مثلت مدارس علمية.

وقد اشتملت اهتمامات العلماء المؤلفين والمصنفين على شتى صنوف العلوم وبرعوا في التأليف في مختلف المجالات وغدت مؤلفات الكثير منهم مرجعاً ذات شهرة وقبول في كثير من الأقطار الإسلامية ولعل أبرز هذه الاهتمامات:

١- علوم القرآن:

"بعد ظهور كتب معمر وهمام في تفسير القرآن سكت أهل اليمن واشتغلوا بالفتوحات الإسلامية ولم يظهر بعدها ما بين القرن الثالث إلى السادس الهجري سوى نتف يسيرة قام بها الهادي وأبناءه وهي مستقاة في عمومها من تفاسير أجداده آل البيت"[٢].

هكذا يقول المؤرخ الحبشي في "مصادر الفكر الإسلامي في اليمن" مستطرداً في القول "ولم تظهر بعد ذلك التفاسير في اليمن بانتظام إلا مع سنة ٥٧٣هـ بتأليف نشوان بن سعيد الحميري كتابه في تفسير القرآن ولم نطلع على هذا التفسير القابع في مكتبة إيطاليا الامبروزيانية، وفي القرن السابع

---

(١) الدواري: هذا العالم الجليل يسمى ملك العلماء ولم تكن تتم البيعة لإمام معين إلا بعد مبايعته ومن أمثلة ذلك ان علماء صنعاء لم يبايعوا الإمام أحمد بن يحي المرتضى إلا بعد سماعهم عن مبايعة القاضي الدواري له (مصادر الفكر الإسلامي/ ١١٧) (الإعلام ٤/٧٨).

(٢) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن لعبد الله الحبشي/ ١٢.

الهجري ظهرت ثلاثة تفاسير أحدها لعطية بن محي الدين النجراني[١] ولم تحظ هذه التفاسير بالشهرة والعناية من العلماء.

(وفي القرن الثامن الهجري بدأت أول محاولة في اليمن لتفسير الأحكام التي هي موضوع الفقهاء في تعريفاتهم الفقهية فكتب العلامة محمد بن الهادي بن تاج الدين المتوفي سنة ٧٢٠هـ كتاب "الروضة والغدير"[٢] في تفسير آيات الأحكام، والذي شكل أهم مصادر للفقيه يوسف بن عثمان في كتابه (الثمرات) وجاء العلامة محمد النجري المتوفي سنة ٨٧٧هـ ليضع كتابه (شافي العليل في شرح الخمسمائة من التنزيل) وهو كتاب شهير لا يقل شهرة عن كتاب الثمرات.

وبين هؤلاء الأعلام الذين شكلوا أعمدة علوم القرآن في اليمن برز كثير من العلماء المصنفين الذين لم تنل مؤلفاتهم الشهرة والاهتمام أمثال (التفسير الجامع)[٣] و(التكميل الشاف) للقاضي/محمد بن يحي بهران، وكتاب في تفسير آيات الأحكام لـ محمد بن جبريل[٤] و(الاكسير الابريز في تفسير القرآن العزيز) لمحمد بن ادريس الحمزي و(تحفة الخواص بفضائل الإخلاص) لمحمد بن أحمد مشحم و(الأنوار الصادعة في التفسير) للحسن بن يحي الضحياني و(الهدايات إلى حل أشكال شيء من الآيات) لعبد الله بن حسن الضحياني.

---

(١) عطية بن محي الدين النجراني: من العلماء العظام في القرن السابع الهجري قيل إن علمه يماثل علم سبعة أئمة (٦٠٣-٦٦٥هـ) وكتابه (البيان) في التفسير وقف عليه يحي بن الحسين وقال في وصفه (كتاب جميل جمع فيه من علوم التفسير الموافقة لقواعد الزيدية في العدل والتوحيد) يوجد في مكتبة آل الهاشمي نسخة مخطوطة منه.

(٢) قيل فيه (تصنيف لم يسبق إليه وتأليف لم يزاحم عليه) ورتب على ترتيب سور القرآن الكريم.

(٣) التفسير الجامع بين تفسيري الزمخشري وابن كثير ويسمى (التفسير الكبير) ونكتفي بما ذكره الحبشي في مقدمة باب علم التفسير في اليمن والذي كان لصعده الحظ الأوفر في هذا العلم.

(٤) محمد بن جبريل المتوفي سنة ٨٣٦هـ أخو الإمام علي بن المؤيد جبريل.

٣-التاريخ والسير:

وفي ظل النهضة الفكرية والعلمية برز الاهتمام بالتاريخ وتدوين الأحداث وكتابة السير التي تناولت السيرة النبوية وسير الصحابة والتابعين وسير الأئمة والأسر والعشائر واحداث الدول والأيام بل إن مؤرخو صعده كان لهم بروز كبير في هذا الميدان وبقوة منذ وقت مبكر وإذا كان عبيد بن شريه الجرهمي[١] في القرن الأول الهجري أول مؤرخ يمني قديم وجاء بعده في النصف الأول للقرن الثاني الهجري وهب بن منبه[٢] (صاحب التيجان في أخبار ملوك حمير) فإن النصف الثاني من هذا القرن قد شهد ظهور المؤرخ القيل اليماني/محمد بن ابان الخنفري[٣] الذي دون تاريخ وأحداث الجاهلية في سجله المعروف بـ(سجل بن أبان) وله كتاب آخر اسمه (الايام) اعتمد عليه مؤرخ اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني في مؤلفاته التاريخية في أخبار حمير وتدوين الأنساب ويعتبر الحسن الهمداني (٣٤٤هـ) بحق هو أول مؤرخ يمني بارز كان له الحظ الأوفر في كتابه تاريخ اليمن وأحداثها وتدوين مآثرها ومعالمها، وهو مؤرخ عظيم القدر ومصنف[٤] حجة اعتمد عليه المؤرخون الذين جاءوا من بعده في عموم الأقطار عند تناولهم تاريخ وأنساب اليمن فيغلبون قول الهمداني على غيره.

وفي القرن السادس الهجري برز علم آخر لا يقل شأناً عن الهمداني وهو

---

(١) عبيد بن شريه الجرهمي: معمر يمني له أخبار كثيرة واستدعاه معاوية سنة ٤٠هـ وأخذ منه الكثير من الأخبار لأمم السالفة ويعد أقدم مؤرخي اليمن توفي سنة ٦٧هـ (الأعلام: ٤/٤)، (مصادر الفكر/ ٣٩٩).

(٢) وهب بن منبه: أول من قام بتدوين تاريخ حمير في كتابه (التيجان) كثير المعارف قرأ الكتب السماوية وعلوم المتقدمين وقيل أنه قرأ ٧٢كتاباً أنزلت من السماء. (مصادر الفكر الإسلامي/٣٨).

(٣) محمد بن ابان الخنفري: من أبناء معاوية بن صيفي بن حمير قيل يماني مشهور سكن وادي العبدين وعليه اعتمد الهمداني في بعض مؤلفاته كما ذكر الهمداني ذلك. الإكليل: ٧٦/١٠، الأعلام: ١٤/٦.

(٤) مصنف حجة: يعد الهمداني من أهم المؤرخين المدققين ومؤلفاته كثيرة وعظيمة الشأن محط اهتمام كل المؤرخين ومن أعظمها (الاكليل) عشرة أجزاء في التاريخ و (صفة جزيرة العرب) و(المسالك والممالك) في الجغرافيا و(الجوهرتان المائعتان) و(القوى) في الطب ولد ٢٨٠هـ وتوفي سنة ٣٤٤هـ وهناك خلاف حول وفاته.

العلامة اللغوي القاضي المؤرخ الإمام/ نشوان بن سعيد الحميري المتوفي سنة ٥٧٣هـ والذي كان له الفضل في تدوين وإعادة تدوين تاريخ اليمن القديم في كتابه (السيرة الجامعة في أخبار الملوك التبابعة) والذي ما يزال مرجع المؤرخين حتى اليوم عن تاريخ اليمن القديم وله مصنفات أخرى منها (أحكام صنعاء وزبيد) و(الخلاصة) مختصر كتاب الاكليل للهمداني.

ومن المؤرخين الأعلام العلامة/محمد بن علي الزحيف المتوفي سنة ٩١٦هـ صاحب كتاب (مآثر الابرار في تفصيل مجملات الأخبار) والعلامة/محمد بن أحمد بن يحي بن مظفر المتوفي سنة ٩٢٥هـ صاحب كتاب (الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان) الجامع لأسماء جماهير الصحابة والتابعين والأئمة السابقين وفقهاء الأمة وأتباعهم الراشدين(١).

وقد اهتم المؤرخين الصعديون اهتماماً بالغاً ومتفرداً بكتابة السير للأئمة والأسر والعشائر ومن أبرزها (النفحة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرية) للعلامة المؤرخ/محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين المؤيد الملقب (أبو علامة) المتوفي سنة ١١١٤هـ وقد تضمن هذا الكتاب (شرح أرجوزة تاريخية له لأئمة اليمن من عهد الهادي يحي بن الحسين بن القاسم سنة ٢٩٨هـ وحتى زمن القاسم بن محمد سنة ١٠٣٩هـ) وهو صاحب المؤلف المشهور بـ(مشجر أبو علامة)(٢) في أنساب آل البيت في اليمن وهو الكتاب المعتمد في أنسابهم عند أهل اليمن، ومن المؤلفات الهامة (اللآلي المضيئة في مراتب أئمة الزيدية) المسمى (طبقات الزيدية) للإمام/ علي بن المؤيد بن جبريل ٨٣٦هـ(٣) وكتاب (الإقبال) للمهدي بن الهادي النوعة المتوفي سنة

(١) مصادر الفكر/ ٤٢٧ وقد احتوى الترجمان أبواب أخرى عديدة (الإعلام ٥/٦ البدر الطالع ٢/٢٤).

(٢) مشجر أبو علامة: يسمى هذا الكتاب بالمشجر واسمه (روضة الأحباب وتحفة الأحباب ونخبة الاحساب لمعرفة الأنساب.

(٣) علي بن جبريل: من الأئمة العظام دعى لنفسه في هجرة قطابر وتوفي بهجرة فلله وهو الذي اختطها وأسس مدينة ضحيان في القرن الثامن الهجري.

١٠٧٢هـ و(كنز الأخبار في السير والأخبار)[١] والذي لخص فيه كتب الحوليات كتاريخ الطبري والمسعودي وابن الاثير في أربعة أجزاء سنة ٣٧٤هـ و(مشجر أنساب العترة الطاهرة في اليمن) للعلامة صلاح بن أحمد الجلال و (صلة الأخوان في حلية بركة أهل الزمان) في مناقب الصوفي الكبير الزاهد إبراهيم بن أحمد الكينعي لمؤلفه يحي بن المهدي بن القاسم بن المطهر ٧٩٣هـ.

وفي ميدان كتابة سير الأئمة الأعلام برزت عدد من المؤلفات الهامة أقدمها (سيرة الإمام الهادي يحي بن الحسين بن القاسم الرسي) لـعلي بن محمد العلوي[٢] و(سيرة الناصر أحمد بن الهادي) لـ"عبد الله بن عمر الهمداني" ٣٩٨هـ و(سيرة الإمام المنصور القاسم العياني) مصنف لـ"الحسين بن أحمد بن يعقوب الهمداني"[٣]، وجاء العلامة/ علي بن نشوان بن سعيد الحميري ٦١٣هـ ليصنف (سيرة الإمام المنصور عبد الله بن حمزة) وهي السيرة التي وصفها أبو الرجال[٤] بقوله "سيرة حافلة عظيمة القدر تدل على علو طبقته وسمو همته. [٥]

وقد جاء الأواخر على هدي الأوائل واهتموا بتدوين التاريخ وبرز منهم الكثير أمثال القاضي/محمد بن أحمد سهيل ١٢٩٣هـ مؤلف (مجموعة القاضي محمد سهيل) ومن أهم المؤرخين الذين ظهروا في صعده في القرن الرابع عشر الهجري المؤرخ/أحمد بن يحي الهجري المؤيدي صاحب كتاب (ذروة المجد الأثيل في أولاد الإمام علي بن المؤيد بن جبريل)، و(الدرر

(١) موجود في المتحف البريطاني.

(٢) علي بن محمد العلوي: مؤلف سيرة الإمام الهادي كان والده من الأصحاب المقربين للهادي وولاه على نجران وغيرها، توفي بخيوان وقبره بها وصلى عليه الإمام الهادي.

(٣) الحسين بن أحمد بن يعقوب الهمداني: مؤرخ في القرن الرابع الهجري وهو غير الحسن بن أحمد الهمداني لسان اليمن.

(٤) أبو الرجال: المقصود هنا المؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرجال.

(٥) هناك مؤرخون كتبوا أيضاً سيرة المنصور عبدالله بن حمزة منهم أبو فراس دغثم ٦١٤هـ (السيرة المنصورية) جزأين.

المضيئة في أنساب العترة المؤيدية)[1] للمؤرخ/ عبدالرحمن بن يحيى سهيل وكتاب (محاسن الأنظار فيما قيل من الأخبار) للعلامة/ حسن بن يحي الضحياني ١٣٤١هـ و(الجواهر المضيئة في تراجم بعض رجال الزيدية) للعلامة عبد الله بن حسن الضحياني ١٣٧٥هـ، و(بغية الأماني والأمل في تراجم رجال العلم والعمل) لعبدالرحمن بن حسين سهيل، والسيد الجليل العلامة الحجة مجد الدين بن محمد المنصور المؤيدي صاحب كتاب (التحف شرح الزلف)[2] والذي ترجم فيه أئمة وعلماء الزيدية البارزين في مختلف عصور الإسلام ويعتبر القاضي/حسين عيضة الشعبي أحد أبرز المؤرخين في صعده في القرن الرابع عشر الهجري وهو واسع الباع كثير الاطلاع يختزن في ذاكرته تاريخ عظيم ومترجم للغة الحميرية ويسعى منذ سنوات طويلة إلى تصنيف كتاب عن أنساب القبائل إلا أنه حتى الآن لم يصنف كتاباً معيناً في حد ذاته رغم قدراته المشتتة هنا وهناك.

٣- الفقه والحديث:

مثلت علوم الفقه والحديث صلب اهتمامات علماء صعده فقد انتشر المذهب الزيدي في اليمن على يد الإمام الهادي يحي بن الحسن بن القاسم الذي عرف بالاجتهاد وشكل ركيزة الفقه الزيدي آنذاك وقد تعددت كتبه ورسائله في مجال الفقه ويعد كتابي (الأحكام) و(المنتخب)[3] مرجعاً للفقه الزيدي في اليمن وعلى ضوئهما صنفت مئات المؤلفات للفقهاء المتعاقبين في عموم اليمن.

ومن أشهر الفقهاء الأعلام الذين برزوا في صعده في القرون الستة الأولى

---

(١) العترة المؤيدية: أحفاد الإمام علي بن المؤيد بن جبريل.

(٢) التحف: للسيد العلامة مجد الدين بن محمد المؤيدي شرح لقصيدته الزلف الإمامية التي مطلعها:

إلا أيها الوسنان ما أنت صانع ... إذا حل خطب لا محالة واقع

هنالك لا مال عنيت بجمعه ... ولا وزر إلا التقى لك نافع

(٣) الأحكام والمنتخب: أبرز وأهم كتب الفقه الزيدي في اليمن تصنيف الإمام الهادي يحي بن الحسين المتوفي ٢٩٨هـ ومنهما نهل علماء الزيدية أكثر من ١١قرن وهما مرجعا الفقه الزيدي في اليمن.

العلامة الفقيه/ إسحاق بن عبد الباعث[1] المتوفي سنة ٥٥٥هـ، ومن بعده الأمير جمال الدين علي بن الحسين صاحب كتاب (اللمعة) معتمد كتب الزيدية والعلامة الفقيه/ يحي بن أحمد بن مظفر صاحب (البيان الشافي)[2] المتوفي سنة ٨٧٥هـ. وفي القرن الثامن الهجري برز نجم القاضي العلامة سلطان علماء اليمن القاضي/عبد الله بن الحسن الدواري المتوفي سنة ٨٠٠هـ، صاحب (الديباج النظير) و(شرح جوهرة الرصاص) وغيره.

والقاضي/ جعفر بن أحمد بن عبد السلام صاحب كتاب (نكت العبادات[3] المتوفي سنة ٥٧٣هـ وفي القرنين العاشر والحادي عشر برز عدد كبير من الأعلام من الفقهاء الذين كانوا يعدون من كبار علماء الزيدية على مستوى اليمن في مقدمتهم القاضي/محمد بن يحي بهران صاحب كتاب (الكافل) و(شرح الأثمار للإمام شرف الدين)[4] المتوفي سنة ٩٥٧هـ والعلامة الفقيه أحمد بن سالم الذويد المتوفي سنة ١٠٢٠هـ والقاضي أحمد بن يحي حابس صاحب (المقصد الحسن)[5] المتوفي سنة ١٠٦١هـ. والقاضي الحسن بن أحمد الجلال صاحب (ضوء النهار المشرق) المتوفي سنة ١٠٨٤هـ، والقاضي/ محمد بن أحمد بن يحيى جار الله مشحم المتوفي ١١٨١هـ، والسيد العلامة صلاح بن أحمد بن مهدي المؤيدي صاحب (قنطرة الأصول)،

---

(١) ابن عبد الباعث: له كتابين (تعليف على الإفادة) و(شرح البالغ المدرك للإمام الهادي).

(٢) (البيان الشافي والدر الصافي) من أشهر كتب الفقه على مذهب الإمام زيد وقد عكف عليه الطلبة في الديار الزيدية كصنعاء وصعده وذمار وصار لديهم من أعظم ما يعتمدونه كما قال الشوكاني وقد شرحه ولده محمد بن أحمد بن مظفر في (البستان الجامع الناطق بحجج مسائل البيان)، مصادر الفكر/٢٠٣.

(٣) نكت العبادات: من الكتب المعتمدة في الفقه الزيدي.

(٤) الكافل: الكافل بنيل السؤل للقاضي محمد بن يحي بهران مختصر عنى به أهل اليمن وعليه شروح عدة منها (شرح العلامة أحمد بن محمد لقمان ١٠٣٩هـ) و (الروض الحافل في شرح الكافل) للعلامة إبراهيم بن محمد بن أحمد المؤيدي سنة ١٠٨٣هـ و(الأنوار الهادية لذوي العقول إلى شرح الكافل بنيل السؤل) للقاضي أحمد بن يحي حابس ١٠٦١هـ و(ضياء من رام الوصول إلى توضيح خفيات هداية العقول) للعلامة الحسن بن يحي سيلان السفياني الصعدي ١١١٠هـ.

(٥) (المقصد الحسن والمسلك الواضح السنن) يصفه أبو الرجال "بأنه كتاب لا يستغنى عنه فقيه سيما في علم القضاء وولاية الأحكام".

و(الفتاوى) مجلد ضخم للإمام عز الدين بن الحسن بن علي المؤيد (٩٠٠هـ) معتمد عليه في مذهب الإمام زيد، وعلي بن سليمان الدواري صاحب (مصباح الشريعة المحمدية في المختار من علوم أئمة الزيدية) من الكتب المعتمدة.

وفي هذا الجانب عملوا على دراسة مصنفات غيرهم من الأعلام السابقين في اليمن فنهلوا منها وعمدوا إلى تقييمها ونقدها ونسخوا الكثير منها وشرحوها.

ومن أبرز مؤلفات الحديث ومصنفاته (تيسير المطالب والأربعون الحديث الجعفرية وشرحها) للقاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام، و(جوهر الأخبار في تخريج أحاديث البحر الزخار) لمحمد بن يحي بهران، ودرر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية) لـ محمد بن حمزة بن أبي النجم المتوفي سنة ٦٥٦هـ و(العسجد المنظوم في أسانيد العلوم) (١) للقاضي العلامة عبد الله بن علي الغالبي المتوفي سنة ١٢٧٦هـ.

و(الشوامخ العطرة في الأحاديث المشتهرة) للقاضي العلامة محمد بن أحمد مشحم المتوفي ١١٨١هـ وكتاب في أنواع الحديث لـ أحمد بن صلاح الدواري (قصعه) المتوفي سنة ١٠١٨هـ و (تحفة الأخبار في كلام النبي المختار) للعلامة/ محمد بن عبد الله بن الغيث الرقيمي المتوفي سنة ٧٩٣هـ في قملا بباقم.

إلى جانب مئات المصنفات والمؤلفات في هذا الجانب لعشرات من العلماء على مدى قرون تعاقبت منها ما تم طبعه ومنها ما تزال مخطوطة في المكتبات العامة داخل وخارج اليمن وفي المكتبات الخاصة لأسر العلم المشهورة.

---

(١) من الحواشي الناقدة على الأزهار وللجلال رسائل كثيرة ومصنفات عديدة في شتى العلوم.

٤- علم الفلك:

اهتم العلماء الصعديون اهتماماً بالغاً بعلوم الفلك واشتغل بهذا الفن كثير من العلماء حيث اهتموا بالمواقيت والزيجات وعلم النجوم ومسائل الخسوف ومواقيت الأهلة وغيرها من العلوم الفلكية التي توارثها العلماء المتعاقبين وابدعوا فيها كجزء من الاهتمام العلمي العام إلا ان عدد من هؤلاء العلماء برعوا وتفننوا في هذا المجال وبرزوا فيه أمثال أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني ونشوان بن سعيد الحميري وإسحاق العبدي وعبدالله بن حمزة الدواري وابن العنز[١] وإسماعيل بن أحمد النجراني.

يقول كنج[٢] "الهمداني أول عالم فلكي يمني ولا نعرف بوجود أي فلكي يمني آخر يكون قد ظهر بين القرنين الرابع والسادس الهجري على ان الزيج الذي وصفه الهمداني لم يعد موجوداً الآن، ولعل أقدم من أشار إليه هو القفطي في تاريخ الحكماء".

ولنشوان بن سعيد الحميري أرجوزة في معرفة الشهور الرومية[٣].

وللعلامة إسماعيل بن أحمد النجراني المتوفي ٧٩٤هـ رسالة في علم النجوم والزيجات، أما بعد الألف فقد برز الفلكي محمد بن أحمد بن عز الدين بن الحسين بن الإمام عز الدين (١٠٠٠-١٠٥٣هـ) وله شرح منظومة الهادي عز الدين بن الحسن في معرفة المواقيت.

قال عنه ابن ابي الرجال[٤] في وصفه "تكلم فيه على مواد نافعة من علم الفلك وما يحققونه في الكسوف".

---

(١) ابن العنز: محمد بن أحمد بن عز الدين بن الحسن بن عز الدين بن الحسن (خلاصة الأثر للمحبي: ٢٧٦/٣ الأعلام: ١٠/٦ مصادر الفكر: /٣١٦).

(٢) كنج: مستشرق أوروبي له اهتمام باليمن والفكر العربي.

(٣) منه نسخة مخطوطة في ٥ ورقات بمكتبة الامبروزيان – إيطاليا برقم ١٣، مصادر الفكر /٣١٧).

(٤) ابن ابي الرجال: أحمد بن صالح بن أبي الرجال في (مطلع البدور).

وقال المحبي "كانت له فكرة عجيبة في كل شيء وعمل ناظوراً يدرك به البعيد فأبصر من صعده إلى رُبيع[1] وشرح قصيدة الإمام عز الدين بن الحسن الرائية وفيها معرفة المواقيت ومواد نافعة في علم الفلك ومسئلة الخسوف وأعمال الربع المجيب".

وفي (مجلة العربي الكويتية)[2] أفردت بحثاً متكامل عن هذا العالم الفلكي واشارت فيه أن ابن العنز الصعدي اليمني قد سبق العالم (ماسينون) في اختراع التلسكوب بزمن كبير.

وللقاضي اسحاق بن محمد العبدي (رسالة في اوائل الشهور العربية ومواقيت الصلاة)[3] سنة ١١٨٠هـ وهي برسم المهدي ومنسوبه للقاضي/إسحاق بن محمد العبدي.

ومن بعده جاء العلامة/عبد الله بن حمزة بن هادي بن يحي الدواري المتوفي سنة ١٢٦٩هـ والذي كان له مشاركات في أكثر العلوم وتخصص في علم الفلك حتى صار مرجعاً في هذا الفن ومن مصنفاته[4]:

- "بلغة المقتات في علم الأوقات" انتهى فيه إلى سنة ١٣٠٠هـ[5].
- ملحمة تتنبأ فيها بما سيكون في جمع البلدان.
- معدن الجواهر في إخراج الضمائر[6].

وخلفه حفيده لطف الله بن عبدالله بن عبدالله الدواري من علماء القرن الرابع عشر في علم الفلك حيث أكمل جدول جده ليصل فيه إلى سنة ١٩٥٦هـ.

---

(١) رُبيع: منطقة شمال مدينة صعده بـ ١٠كم.
(٢) العربي الكويتية، العدد ٥٠٧/ مارس/ ٢٠٠١م.
(٣) نسخة مخطوطة سنة ١١٨٠هـ مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم (٤١١) (فلسفة – القاهرة) (مصادر الفكر ٤٨٤).
(٤) نيل الوطر: ٧٨/٢ الإعلام: ٨٣/٤.
(٥) جامع الغربية (٩٨) مجاميع. مصادر الفكر: /٤٨٩.
(٦) مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (٥٠).

وقد استخرج ذلك من زيج المثنى وصححه غاية التصحيح وهذبه تهذيباً حسناً بعد مطالعته للجداول القديمة[١].

وللقاضي/ أحمد بن يحي حابس (١١٦١هـ) (ما يحتاج إليه المبتدئ في علم الفلك).

ولا يزال علم الفلك يحظى باهتمام عدد من العلماء والمهتمين في صعده حتى اليوم وخاصة في مجال الزيجات والمواقيت وحساب أوائل الشهور.

وللقاضي/ حسين عيضه الشعبي والأستاذ الأديب/ محمد بن عبد الله الذويد، والأستاذ/ عبد الله حسن المنصور اهتمام كبير بهذا المجال.

٥- الفكر السياسي:

ارتبطت الحياة الدينية بالحياة السياسية في العصر الإسلامي وكان لعلماء الزيدية في صعده آرائهم المستقلة حيال عدد من القضايا السياسية الهامة وصنفوا في هذا المجال الكثير من المؤلفات المنسجمة مع تعاليم الدين الإسلامي والفكر الزيدي وهذه المؤلفات جاءت لتقويم الاعوجاج السياسي وتوضيح معالم سياسية إسلامية مرتكزة على تعاليم المذهب ولعل أبرز المصنفات في هذا الجانب (بهجة الجمال ومحجة الكمال في المذموم والممدوح من الخصال في الأئمة والعمال) لمؤلفه القاضي/ محمد بن يحي بهران الصعدي[٢]، و(الياقوت المعظم المفوف بعقد عقيان الحكم في آداب الحروب ومحاسن الشيم)[٣] في شرح أرجوزة الإمام المطهر محمد بن سليمان الحمزي في فن الحروب لولده عبد الله بن المطهر الحمزي و(براءة الذمة في نصيحة الأئمة) للحسن بن أحمد الجلال (رسالة نقد فيها الإمام المتوكل على الله

(١) نيل الوطر ٧٩/٢.
(٢) الغربية ٥٨ (مجاميع) طبع في القاهرة سنة ١٣٤٩هـ (مصادر الفكر: ٤٧٩، الأعلام: ١٤٠/٧).
(٣) في (جامع ٧٢) وثلاث مخطوطات أخرى (البدر الطالع ٣٩٩/١، مصادر الفكر ٤٧٩).

إسماعيل بن القاسم)[١] و(ثمرة الأفكار في حرب البغاة والكفار) للحسين بن بدر الدين (محمد) بن أحمد بن يحي المتوفي سنة ٦٦٢هـ[٢].

ولعلماء صعده مواقف في الفكر السياسي إزاء الأحداث كموقف العلامة/ علي بن الحسين بن يحي بن يحي المعروف بـ(جمال الدين) سنة ٦٧٠هـ الذي أفتى بعدم صحة القعود في صنعاء أيام الغزو وموقف القاضي/ عطية بن محي الدين (محمد) بن أحمد النجراني سنة ٦٠٣هـ عندما اعترض على الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين في أخذ المعونات في الحرب[٣].

والمعروف أن آل النجم في القرن السابع الهجري كان لهم أحقية البيعة للأئمة وفي القرن الثامن الهجري كانت بيعة الأئمة تتوقف على بيعة سلطان العلماء عبد الله بن الحسن الدواري الذي كان له دور أساسي في مبايعة أربعة أئمة في زمنه هم الإمام المهدي/ علي بن محمد بن حجاج سنة ٧٥٠هـ وولده الناصر (صلاح الدين) محمد بن علي بن محمد سنة ٩٧٣هـ وولده علي بن صلاح الدين سنة ٧٩٣هـ ولم يبايع علماء صنعاء الإمام المهدي أحمد بن يحي المرتضى إلا بعد أن تطرق إلى مسامعهم بيعة الدواري له.

وفي القرن العاشر كان آل المظفر وفي مقدمتهم القاضي محمد بن أحمد بن مظفر الناهضين ببيعة الأئمة أما في القرن الثالث عشر الهجري فقد كان للقاضي/عبد الله بن علي الغالبي ١٢٧٦هـ الدعوة إلى بيعة الإمام المنصور أحمد بن هاشم سنة ١٢٦٤هـ ومن بعده الإمام المنصور بالله محمد بن عبدالله الوزير سنة ١٢٧٠هـ. ومع بداية القرن الرابع عشر الهجري وصل إلى صعده الإمام المنصور محمد بن يحي حميد الدين سنة ١٣٠٧هـ ليبايعه عالم العترة عبد الله بن أحمد العنتري وشيخ الإسلام/محمد بن عبدالله الغالبي.

---

(١) في جامع الغربية ٧٩ أخرى برقم ٩٢ مجاميع (مصادر الفكر/٤٨٦)

(٢) الأعلام ٥/٢٥٤.

(٣) مصادر الفكر: /١٧٩.

ومن هنا يتضح ان بيعة الأئمة (المحددة الشروط في الفكر الزيدي) أسندت لكبار علماء الزيدية في صعده على مدى أكثر من عشرة قرون كاملة.

ومن ملامح الفكر السياسي في صعده رسائل العلماء إلى الأئمة والحكام ودعوات هؤلاء العلماء إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الجهاد ضد الأتراك إذ أن هناك عدد من الرسائل التي وجهها العلماء إلى الأئمة المتعاقبين إزاء كثير من الأحداث والقضايا.

والأهم من هذا كله أن رسائل وعهود الأئمة المتعاقبين منذ عهد الإمام الهادي يحي بن الحسين بن القاسم عليه السلام إلى المخاليف والقبل قد عكست صورة واضحة وجلية لملامح الفكر السياسي وفي طليعتها (عهد الإمام الهادي يحي بن الحسين"ع") أمر بنسخه إلى جميع عماله في المخاليف[١] و(كتاب الصلح إلى أهل الذمة بنجران)[٢] و(عهد الهادي لأهل همدان)[٣] وردوده على بعض الفرق[٤] و(عهد الهادي إلى الحق إلى بني الحارث)[٥] وله خطب في وعظ أهل خيوان[٦] وللإمام كتابات عن الإمامة منها (مسألة في الإمامة[٧]) و(رسالة في تثبيت الإمامة[٨]).

ولأن الأئمة المتعاقبين الذين جاءوا بعد الإمام الهادي يحي بن الحسين بن القاسم انطلقوا من قاعدة دينية فقد كانوا من كبار العلماء ورموز الفكر في

---

(١) عهد الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم (ع): منه نسخه مخطوطة سنة ١٠١٥هـ في ورقة ضمن مجموعة بمكتبة المتحف البريطاني برقم (٣٩٧١) (or) (مصادر الفكر ٥١٣).

(٢) كتاب الصلح أرسله الإمام الهادي (ع) إلى أهل الذمة بنجران (أورده العلوي ٧٣-٧٨).

(٣) مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم (ع) يحتوي على رسائله ومكاتباته عدة نسخ بمكتبة الجامع بصنعاء (مصادر الفكر ٥١٤).

(٤) الرد على الإمامية: الرد على المجبرة القدرية، الرد على القرامطة، الرد على أهل صنعاء.

(٥) سيرة الإمام الهادي للعلوي/ ٢٧٥-٢٨١، مصادر الفكر/٥١٧.

(٦) سيرة الهادي/ ١١٣-١١٥.

(٧) نسخة مخطوطة بمكتبة المتحف البريطاني برقم (٢٠٦) وأخرى بالفاتيكان رقم (١٣) (مصادر الفكر ٥١٤).

(٨) نسخة مخطوطة بمكتبة المتحف البريطاني برقم (٢٠٦) (XXXIII) وثلاث أخرى متفرقة (مصادر الفكر ٥١٤).

زمنهم وعكسوا فكرهم السياسي من خلال عهودهم للقبل ورسائلهم إلى المناطق والولاة والأمراء والعمال والأئمة والملوك إلى جانب المصنفات السياسية التي تعكس رواءهم إزاء الأحداث والقضايا وحملات المعارضة التي استهدفتهم من حين إلى آخر، ومنها (الرد على الروافض) (والرد على القرامطة أتباع علي بن الفضل)[1] للامام المرتضى محمد بن يحي الهادي [٢٩٨-٣١٠هـ] وللامام الناصر أحمد بن يحي بن الحسين [٣٠١-٣٢٥هـ] كتابين في (الرد على الإباحية والقدرية)[2]، وكتاب (النجاة لمن أتبع الهدى واجتنب الردى في إثبات العدل) و(الرد على عبد الله بن يزيد البغدادي المجبر)[3].

وللامام المنصور القاسم بن علي العياني [٣٨٨-٣٩٣هـ] كتاب في (الرد على الرافضة) و(رسالة إلى طبرستان والجبل والديلم) و(رسالة إلى ابنه علي بن القاسم لما ولاه بلاد وادعة)[4] ولعل الإمام المهدي الحسين بن قاسم العياني [٣٩٣-٤٠٤هـ] قد تعرض لحملات شعواء ضده والتشكيك في عقيدته بين علماء الزيدية فصنف كتاب (الإمامة)[5] و(مجموعة ردود على الفرق الضالة وأهل التقليد والنفاق) وكتاب (المعجز)[6] مجموعة كتب تتضمن ردود مختلفة.

وللامام الناصر أبو الفتح بن الحسين الديلمي [٤٣٠-٤٤٤هـ] (كتاب دعوته)[7] و(الرسالة المبهجة في الرد على فرقة الضلال المتلجلجة[8] في الرد

---

(١) أئمة اليمن/ ٥٢، مصادر الفكر/ ٥١٩.
(٢) ذكرهما المؤرخ زيارة في أئمة اليمن، ص٦٠ – مصادر الفكر/ ٥٢٢.
(٣) نسخة مخطوطة سنة ٥٤٨هـ في ١٧٢ ورقة برقم (١٤١) (علم الكلام بمكتبة الجامع) (مصادر الفكر ٥٢٣).
(٤) أئمة اليمن زبارة/ ٨٠-٨١، مصادر الفكر/ ٥٢٤-٥٢٥.
(٥) نسخة بمكتبة برلين رقم ١٠٢٧٥ ، مصادر الفكر/ ٥٢٨.
(٦) نسخة مخطوطة سنة ١٠٦٧ مكتبة الجامع بصنعاء برقم ٨٣، مصادر الفكر/٥٢٨.
(٧) كتاب دعوته أورد نصه المؤرخ حميد المحلي في الحديقة الوردية (أئمة اليمن/٩١، المصادر/٥٣٢).
(٨) أئمة اليمن زبارة/ ٩٠، مصادر الفكر/ ٥٣١.

على فرقة المطرفية الزيدية وعلى هذا المنوال جاء الإمام المتوكل أحمد بن سليمان بن محمد [٥٣٢-٥٦٦هـ] ليصنف الرسالة الصادقة في بيان ارتداد الفرقة المارقة) في الرد على المطرفية الزيدية.

ويتضح الفكر السياسي بصورة أكبر عند الإمام المنصور عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة في رسائله وكتبه ومكاتباته وفي مقدمتها رسالته (رسالة المنصور عبد الله بن حمزة إلى كافة الناس يدعوهم إلى إمامته)(١) و(كلام الإمام عبدالله بن حمزة)(٢) وقد بلغه اعتراض الشيعة عليه وكتاب (مصباح المشكاة في تثبيت الولاة)(٣) وكتاب (الأجوبة الرافعة للأشكال الفاتحة للأقفال)(٤) أجوبة على مسائل وردت من الشيخ/ محمد بن أحمد النجراني من صعده. و(مكاتبة الإمام عبد الله حمزة وبني رسول)(٥) وكتابه إلى أهل الظاهر وقد شكت الرعية مضرة لحقتها من الأشراف وخدمه وكتابيه إلى الأمير إبراهيم الحمزي والأمير أنيال بن محمد الحريري وقد بلغته رغبته في الطاعة.

وجاء الإمام المهدي أحمد بن الحسين المكنى بأبي طير [٦٤٦-٦٥٦هـ] ليصنف (الرسالة الزاجرة لصالحي الأمة عن إساءة الظن بالأئمة)(٦) و(عهد كتبه إلى بعض أمرائه)(٧) أما المنصور الحسن بن بدر الدين (محمد بن أحمد بن يحي) [٦٥٧-٦٧٠هـ] والذي واجه الكثير من الانتقادات إزاء كثير من الأحداث وسياسة حكمه فكان له عدد من الردود والأجوبة والكتب التي أوضح

---

(١) نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٥٤ بمكتبة الجامع (كتب صادرة)، مصادر الفكر/٥٤٢.

(٢) نسخة في ضمن مجموعة رقم (١٧) بمكتبة الجامع (الكتب الصادرة)، مصادر الفكر/٥٤٢.

(٣) مصباح المشكاه: نسخة مخطوطة ضمن مجموعة رقم ٩٧ بمكتبة الجامع (الكتب الصادرة)، مصادر الفكر/٥٤٢.

(٤) الأجوبة الرافعة: نسخة مخطوطة ضمن مجموعة برقم ٤٥ مكتبة الجامع (الكتب الصادرة) المصادر/٥٣٩.

(٥) نسخة مخطوطة ضمن المجموعة رقم ٩٧ بمكتبة الجامع (الكتب الصادرة)، نفس المصدر/ ٥٣٩.

(٦) الرسالة الزاجرة: نسخة مخطوطة سنة ١٠٢٣ ضمن مجموعة بمكتبة الجامع بصنعاء ونسخة في المتحف البريطاني، نسخة ثالثة بمكتبة الامبروزيانا رقم ١١٩، مصادر الفكر/٥٤٦.

(٧) عهد إلى امرائه: نسخة مخطوطة سنة ٦٥٨ ضمن مجموعة من ١٥٩ ورقة مكتبة المتحف البريطاني رقم ٢٨١١.

فيها حقيقة هذه القضايا ومنها (كتاب دعوة الإمام المنصور بالله الحسن بن محمد بن أحمد بن يحي)[1] بين فيه أسباب ميله إلى بني رسول ومصالحتهم وهو وثيقة سياسية مهمة حول العلاقات بين الأئمة وسلاطين بني رسول فرغ منه سنة ٦٦٨هـ) وله رد على اعتراضات حول قبوله لإمامة المهدي أحمد بن الحسين ثم عدوله عنها وقبضه للزكاة والتحيل في أخذها وحول دعوى بعضهم أنه لا يضع الحقوق في محلها وردت إليه عبر رسالة تقي الدين أحمد بن حسن بن عواض)[2] وله جواب على ما اعترض عليه في جواز حرب بني مالك وأهل مجز وغيرهم من أهالي مخاليف صعده جاء فيه "أنا قد أمرنا بحربهم وذلك جائز عندنا لأنا طلبناهم بتسليم الحقوق الواجبة التي جعل الله أمرها إلى أئمة الهدى"[3] فرغ منه سنة ٦٦٧هـ وللامام المتوكل المطهر بن يحي المرتضى [٦٩٤-٦٩٧] (رسالة دعوته)[4] أورد نصها المؤرخ الزحيف في شرح البسامة. وللامام المؤيد يحي بن حمزة بن علي [٧٢٩-٧٤٩هـ] (الرسالة الوازعة لصالح الأمة عن الاعتراض على الأئمة)[5] وكتابات إلى السادة أهل حوث والسادة بالجهات الظاهرية وآل شيخ المحاقرة من بلاد الشرف والى الفقيه حسام الدين والى الشيخ أحمد بن محمد الرصاص وغيرهم.

إن الأئمة المتعاقبين منذ عهد الهادي وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري واجهوا المناهضين لهم في المناطق تحت مبررات دينية وسياسية

(١) كتاب دعوة الإمام المنصور بالله الحسن بن بدر الدين: نسخة مخطوطة في ١٥ ورقة مجموعة الكتب الصادرة بالجامع، مصادر الفكر/٥٤٦.

(٢) رد المنصور الحسن بن بدر الدين على الاعتراضات منه نسخة مخطوطة كتبت سنة ٩١٨هـ ضمن مجموعة في ١٤ورقة بمكتبة الجامع (الكتب الصادرة).

(٣) جواب المنصور على اعتراض جواز حرب بني مالك وأهل مجز: منه نسخة مخطوطة مع المجموعة السابقة في ٣ورقات بنفس الخط.

(٤) أئمة اليمن/ ١٩٥-١٩٧ ـ مصادر الفكر/ ٥٥٩.

(٥) الرسالة الوازعة: منها نسخة مخطوطة سنة ٨٣٢هـ بخط حفيده ضمن مجموعة برقم ١٠ مكتبة الجامع في ٣٣ورقة، المصادر/٥٦٧.

مختلفة وتعرضوا للتشكيك فيهم لدرجة أن كثيراً من هؤلاء الأئمة لم تدم فترات حكمهم عن سنوات معدودة باستثناء عدد من الأئمة الأقوياء الذين فرضوا سلطاتهم على المناطق ولذا فقد أنصب اهتمام كثير منهم على تحديد معالم سياستهم وأحقيتهم بالإمامة في ظل وجود إمامين أو أكثر في آن واحد فهذا الإمام الناصر/محمد بن علي بن محمد بن حجاج الملقب "صلاح الدين" [٧٧٣-٧٩٣هـ] يوجه رسالة كتبها عقب إمامته وأرسلها إلى أهل مكة قال عنها العلامة الهادي بن إبراهيم الوزير المتوفي سنة ٨٢٢هـ "أودع فيها من أصول الدين ما يشهد له السبق في هذا المضمار"[١] وكتب الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان [٨٤٠-٨٧٩هـ] (رسالة في أحوال الأئمة)[٢] وله (عقد عقيان الحكم وسمط اللآلي في آداب الحرب ومحاسن الشيم) منظومة طويلة في فن الحرب. ولعل أوسع ما ألف حول مسألة الإمامة كتاب (العناية التامة بتحقيق مسائل الإمامة)[٣] للامام الهادي لدين الله الحسن بن عز الدين بن الحسين بن علي [٨٧٩-٩٠٠هـ] وهو مقسم إلى أبواب وفصول وله (رسالة في مسألة الإمامة)[٤] عليها تعاليق لعلماء عصره أمثال علي بن محمد البكري وعبد الله بن محمد البحري وإبراهيم بن محمد الهادي). ورسالة في (حكم الجباية التي يأخذها الأئمة)[٥].

المعارف الأخرى:

وقد اهتم العلماء الصعديين ببقية العلوم وأبدعوا في شتى المجالات إلا أن مصنفاتهم قليلة كونها لم تكن ذات شأن في ذلك الوقت مع التأكيد أن هناك مخطوطات ومصنفات كثيرة ما تزال أسيرة المكتبات الخاصة في بيوت العلم

(١) أئمة اليمن للمؤرخ زبارة/ ٢٦١، مصادر الفكر/ ٥٧٨.

(٢) أئمة اليمن للمؤرخ زبارة/ ٣٢٦، مصادر الفكر/ ٥٩٧.

(٣) نسخة مخطوطة سنة ١١٢٣هـ في ٣٠٠ورقة بمكتبة الجامع (الكتب الصادرة) برقم (٨٧) (علم الكلام)، مصادر الفكر/ ٩٩.

(٤) نسخة مخطوطة سنة ١٠٤٧هـ في ١٥ورقة ضمن مجموعة بمكتبة الحبشي، مصادر الفكر/ ٦٠٢.

(٥) نسخة مخطوطة سنة ١٠٥٥ في ٤ ورقات ضمن مجموعة بمكتبة الحبشي، مصادر الفكر/ ٦٠٢.

العريقة.

ولعل من أبرز هذه المصنفات الموجودة (الرياضة النفاحة في علم المساحة) للشيخ الحافظ محي الدين بن أحمد بن عبد الله النجراني المتوفي سنة ٦٠٣هـ و(برهان التحقيق وصناعة التدقيق في المساحة والضرب) ليوسف بن أحمد بن عثمان الثلائي المتوفي سنة ٨٣٢هـ.

وفي الطب يعد (القوي) لابي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني و(الدواء النافع فيما في القص والحجامة من المنافع) للقاضي/محمد بن أحمد مشحم.

وللهمداني أيضاً مصنفات مختلفة منها (الجوهرتان المائعتان في المعادن والكيمياء) و(سرائر الحكمة) في الفلسفة و(الحرث والحيلة) و(الابل) و(اليعسوب) في علوم الزراعة والحيوان وفقه الصيد، وللحسن الجلال (الروض الناظر في أدب المناظر) في البحث والمناظرة اما في علم الجغرافيا فقد قدم الهمداني (صفة جزيرة العرب) المتخصص في جغرافيا الجزيرة العربية وله (المسالك والممالك) وعدد كبير من المصنفات.

أما في المنطق فقد برز العلامة الحسن بن أحمد الجلال ليصنف (التذهيب) شرح التهذيب في المنطق وألف دغثم بن أحمد بن مكرمان الرقيمي (المفيد) في المنطق. و(شرح التهذيب للتنتازاني) في المنطق.

وجاء الحسن بن يحي الضحياني في القرن ١٣هـ ليؤلف (الإدراك في المنطق) وللحسن بن عبد الله الضحياني (كتاب في المنطق).

الفكـــر الزيـــدي :

الزيدية مذهب إسلامي شيعي يمثل طليعة تجمع متقدم في عمق التـــاريخ الإسلامي ويعتبر امتداداً أصيلاً للدعوة المحمدية الأصيلة التـــي حملـــها أهـــل البيت عليهم السلام وضحوا من أجلها ويمثل خط الالتقاء والوسطية بين جميـــع المذاهب يدعو إلى الانفتاح الفكري والإبداع الإنساني بلا إفراط ولا تفريط. [١]

وتنسب الزيدية إلى الإمام الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي بـــن أبي طالب عليهم السلام الذي أعاد فتح باب الجهاد والاجتهاد والوقـــوف فـــي وجه الظالمين، قال الإمام محمد بن عبدالله النفس الزكية عليه السلام:

"أما والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين وأقام عمود الدين إذ أعوج ولن ننحو إلا أثره، ولن نقتبس إلا من نوره وزيد إمام الأئمـــة وأول من خرج داعياً إلى الله بعد الحسين بن علي"[٢].

ونسبه الزيدية إلى زيد بن علي ليست نسبه فقهية بحتة كما هو عليه الحال في الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية كما يتوهم الكثير إذ أنها نسبة انتمـــاء واعتزاز باعتباره إمام الأئمة وأول من دعا إلى جهاد الظلمة والوقـــوف فـــي وجههم بعد استشهاد الحسين بن علي سبط رسول الله عليـــه أفضـــل الصـــلاة والتسليم ولكونه العلم المميز لامتداد خط بيت النبوة وباعتباره إماماً مجدداً فـــي عصر سادت فيه الأهواء ووردت فيه الكثير من البشارات عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم[٣] قال المؤرخ المدقق والعلامة المحقق ابـــن ابـــي الرجال في كتابه (مطلع البدور)[٤] "الزيدية منتسبون في التحقيق إلـــى الإمـــام علي بن أبي طالب وإنما كان انتسابهم إلى الإمام زيد بن علي لأنها وقعت فترة بعد مقتل الحسين بن علي كادت ان تنسي أشهر صفات أهل البيت وهي الجهاد

(١) الفصول الذهبية في الكاشف عن حقيقة الزيدية مخطوط، لعبد الله حمود العزي.
(٢) الزيدية عبد الله بن اسماعيل المتوكل/١٩.
(٣) الفصول الذهبية- مخطوط.
(٤) المؤرخ المحقق أحمد بن صالح بن أبي الرجال.

فقام زيد بسنة أبائه فانتسب إليه من وراءه لهذه الخصوصية".

وقال الإمام المنصور/ عبد الله بن حمزة "واختصت الفرقة هذه من العترة وشيعتهم بالزيدية والا فالأصل علي عليه السلام والتشيع له، لخروج زيد بن علي على الأئمة الظلمة وقتالهم في الدين ومن حذا حذوة من العترة فهو زيدي بلا خلاف"(١).

وقال السيد العلامة المجد/مجد الدين المؤيدي(٢) "وإنما أختار أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم رضي الله عنهم الانتساب إليه لفتحه باب الجهاد في سبيل الله تعالى وإحياء دينه".

ولما كان المدعون لمتابعة أمير المؤمنين فرقاً متعددة ميز ذلك بالعلم الثاني فإنه لم ينتسب إليه إلا خلاصة الصفوة.

ومن مدللات ذلك أن الزيدية يعظمون ويجلون علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ويرون فيه رمزاً لهم بعد رسول الله (ص) وهو ما يؤكده احتفاؤهم كل عام بيوم الغدير ذكرى (يوم خم) عندما أسندت إليه الولاية إلا أنهم يجعلونه أيضاً منطلق محاربة الظلم وجهاد الظلمة التي سنها الإمام زيد بن علي رضي الله عنه وجعلها نهجاً لهم، والخروج لمجاهدة الظلمة، تميزوا به عن بقية الشيعة ولذلك يقول الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه الزيدية(٣) "وإن تباهى أهل كل دين بشهدائهم فإنه يحق للمسلمين أن يتباهوا بشهداء الزيدية".

وفي كتاب اليمن الخضراء قال محمد الأكوع "إنما سموا زيدية نسبة إلى زيد بن علي الإمام الأعظم من باب التغليب وإلا فإنهم هادوية أتباع الإمام الهادي يحي بن الحسين والمشهور أنهم يخالفون زيد ولا يوافقونه إلا في ثلاث

(١) لوامع الأنوار ١/٥٠٣.
(٢) العلامة المجتهد أبو الحسين مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي سلطان علماء الزيدية في القرن ١٤هـ مولده بالرضمة من جبل برط في شعبان سنة ١٣٣٢هـ.
(٣) اليمن الخضراء/ ١٠٣.

مسائل:

الأولى: وجوب الخروج على الظلمة ومحاربتهم.

الثانية: القول بالعدل والتوحيد في أصول الدين.

الثالثة: في الإمامة بأنها لا تصح إلا في البطنين الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب عليه السلام إلى آخر كلامه...".

إلا ان هذا يتنافى مع الواقع والعقل فالهادي ليس له مذهب مستقل يخالف مذهب زيد بن علي بل يعد امتداداً له وهو زيدي لا خلاف في نهجه عن مذهب الإمام زيد بن علي فاجتهاداته الفقهية باعتباره إماماً مجدداً لا تعني خروجه عن هذا المذهب وكأني بالأكوع وقد اشترط على الزيدية إقفال باب الاجتهاد وتحجير هذا المذهب كما ان المسائل الثلاث التي أوردها وتحدث عنها بأنها توافق مذهب زيد بن علي فما من شك أنها هي أصول الإسلام وعمدة الدين أما مسائل الفروع فغير قابلة للتقليد وتستند على الاجتهاد ليس في المذهب الزيدي فحسب بل في كل المذاهب المعروفة.

ولعل محاولات التحريف الفكري ومحاولات الدس والتزييف والتحريف في هذا المذهب قد دعت أئمة الزيدية وعلماؤها وفقهاؤها إلى الحفاظ على سلامة النهج الفكري والعقائدي لأهل البيت عليهم السلام في إطار هذا المذهب بدأ من علي بن أبي طالب ومروراً بالأئمة المتعاقبين بعده من أولاده وأحفاده، وعلى طول امتداد هذا الخط خرج الحسن والحسين ومن بعدهما الإمام زيد وتلاه الباقر ثم محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم أبناء عبد الله بن الحسن بن علي وغيرهم رضي الله عنهم. وعلى هذا المنوال كان خروج الإمام الهادي عليه السلام ومن تلاه من أئمة الزيدية.

أما اختلاف الزيدية في المسائل الاجتهادية فلكل مجتهد نظرة وهذا وارد في زمن زيد ومن قبله وقد قال الإمام زيد عليه السلام: "فإن قالوا:فما بال آل

محمد يختلفون وإنما الأمر والحق واحد فيما تزعمون؟ فقولوا: فإن داود وسليمان اختلفا إذ يحكمان في الحرث"[1] وقد قال الله تبارك وتعالى: ((وكلاً آتينا حكماً وعلماً)) أفيجوز ان نرد قول الله عز وجل ((فاختلافنا لكم رحمة فإذا نحن اجتمعنا على أمر لم يكن للناس أن يصدوه)) .

وفي الفصول الذهبية الكاشفة عن حقيقة مذهب الزيدية[2] يقول الأستاذ/عبدالله حمود العزي – خلاصة القول أن المذهب الزيدي يتمتع بوحدة فكرية في كل زمان ومكان فالعدل والتوحيد والنبوة والإمامة والأخذ بمبدأ الخروج على الظالمين الذي يعتبر ذروة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومبدأ الأنبياء والمرسلين هو ملتقى الزيدية وأساس وحدتها الفكرية والعقائدية.

فكرة الغلو:

ويتهم الشيعة الزيديين بالمغالاة من قبل بعض حركات الفكر الجديدة في حب الإمام علي بن أبي طالب واتخاذه علماً اساسياً والاقتداء به فيدعون أن علي كان أحق من النبي (ص) بالرسالة وان جبريل غلط بالرسالة وهذا افتراء لا صحة له وأن وجد بعض الجهلة أو المندسون فهم لا يعبرون عن هذا المذهب وإنما يعبر عنه رموزه ورواده ورجاله وهم جميعاً يقرون بفضل الصحابة جميعاً ويرون في أبي بكر وعمر وعثمان ما يراه فيهم غيرهم من أهل المذهب ولا يختلفون في صحة رسالة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بل يعتبرون علي بن أبي طالب صاحب فضل لا يجحد فضله إلا جاهل انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم: "من كنت مولاه فعلي مولاه" وقوله (ص) "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق".

---

(١) الأنبياء /٧٨ تثبيت الوصية /٤٩.

(٢) الفصول الذهبية/ استلهمنا منه الكثير في هذا الفصل.

المدرسة العلمية بجامع الهادي:

وقد تأسست المدرسة العلمية بصعده في جامع الإمام الهادي سنة ١٣٥٢هـ واحتضنت في القرن الماضي جحافل العلماء الأعلام والطلاب.

ومن أبرز العلماء الذين تولوا التدريس بهذه المدرسة السيد العلامة الحجة محمد بن منصور المؤيدي رحمه الله المتوفي سنة ١٣٦٠هـ والسيد العلامة علي بن حسن الحجازي رحمه الله المتوفي سنة ١٣٦٣هـ وكان حاكماً بصعده وخلفه ولده العلامة حسن بن علي حجازي والسيد الشهير محمد بن إبراهيم حوريه المتوفي سنة ١٣٧٥هـ وأخيه السيد العلامة الحجة أحمد بن عبد الله حورية المتوفي سنة ١٣٧٠هـ والسيد العلامة الحجة أحمد بن إبراهيم الهاشمي المتوفي ١٣٥٧هـ وكان المتولي على الأوقاف والوصايا في بلاد صعده والسيد العلامة الحجة علي بن عبد الله الشهاري المتوفي ١٣٧٥هـ وسيدنا علامة عصره حسن بن محمد سهيل المتوفي سنة ١٣٨٧هـ والعلامة المجتهد يحي بن حسين سهيل المتوفي ١٤٠٨هـ والقاضي العلامة أحمد بن عبد الواسع الواسعي المتوفي بصنعاء ١٤٠٠هـ والقاضي العلامة الكبير/ محمد بن يحي مرغم المتوفي ١٣٦٠هـ والسيد العلامة أحسن غالب المتوفي سنة ١٤١١هـ والقاضي العلامة إبراهيم بن علي مشحم المتوفي سنة ١٣٨٤هـ والقاضي العلامة الفهامة حسين حابس حاكم بلاد صعده توفي ١٣٦٩هـ والسيد العلامة حاكم رحبان المتوفي ١٣٨٦هـ محمد بن حسين الدولة والقاضي العلامة مطهر شرف الدين حنش المتوفي ١٣٨٠هـ بخمير والسيد العلامة حسن بن علي عباس المتوفي ١٤٠٠هـ والسيد العلامة عبد الرحمن بن علي العزي المتوفي ١٣٩٧هـ والعلامة المجتهد علي بن اسماعيل المتعيش المتوفي سنة ١٤٢٠هـ والسيد العلامة حسن بن قاسم الحوثي إمام جامع الهادي المتوفي سنة ١٤٠٠هـ والقاضي العلامة خطيب جامع الهادي شيخ القرآن يحي بن حسن شويل المتوفي ١٤٢٠هـ والعلامة السيد صلاح بن

أحسن نور الدين المتوفي ١٤٠٤هـ والقاضي/ حسين بن علي كعيبه ١٤١٨هـ والسيد العلامة الزاهد محمد بن أحسن المتميز المتوفي ١٣٩٨هـ والسيد العلامة إبراهيم بن علي الشهاري المتوفي ١٤٢١هـ وقد تخرج على أيدي هؤلاء العلماء الأعلام الكثير من العلماء والقضاة والحكام.

ومن أبرز العلماء الأعلام الذين درسوا بالمدرسة العلمية بصعده وما زالوا على قيد الحياة السيد العلامة حجة العصر مجد الدين بن محمد منصور المؤيدي أبقاه الله وأطال عمره والسيد العلامة صلاح بن محمد الهاشمي والسيد العلامة حسن بن محمد الغيثي والقاضي العلامة أحمد محمد قطران والقاضي العلامة قاسم بن حسن شويل خطيب جامع الهادي اليوم والقاضي العلامة/ عبدالرحمن بن محمد النجم والقاضي العلامة/ عبدالله محمد مشحم والقاضي العلامة/ يحي بن محمد مرغم... وغيرهم كثير.

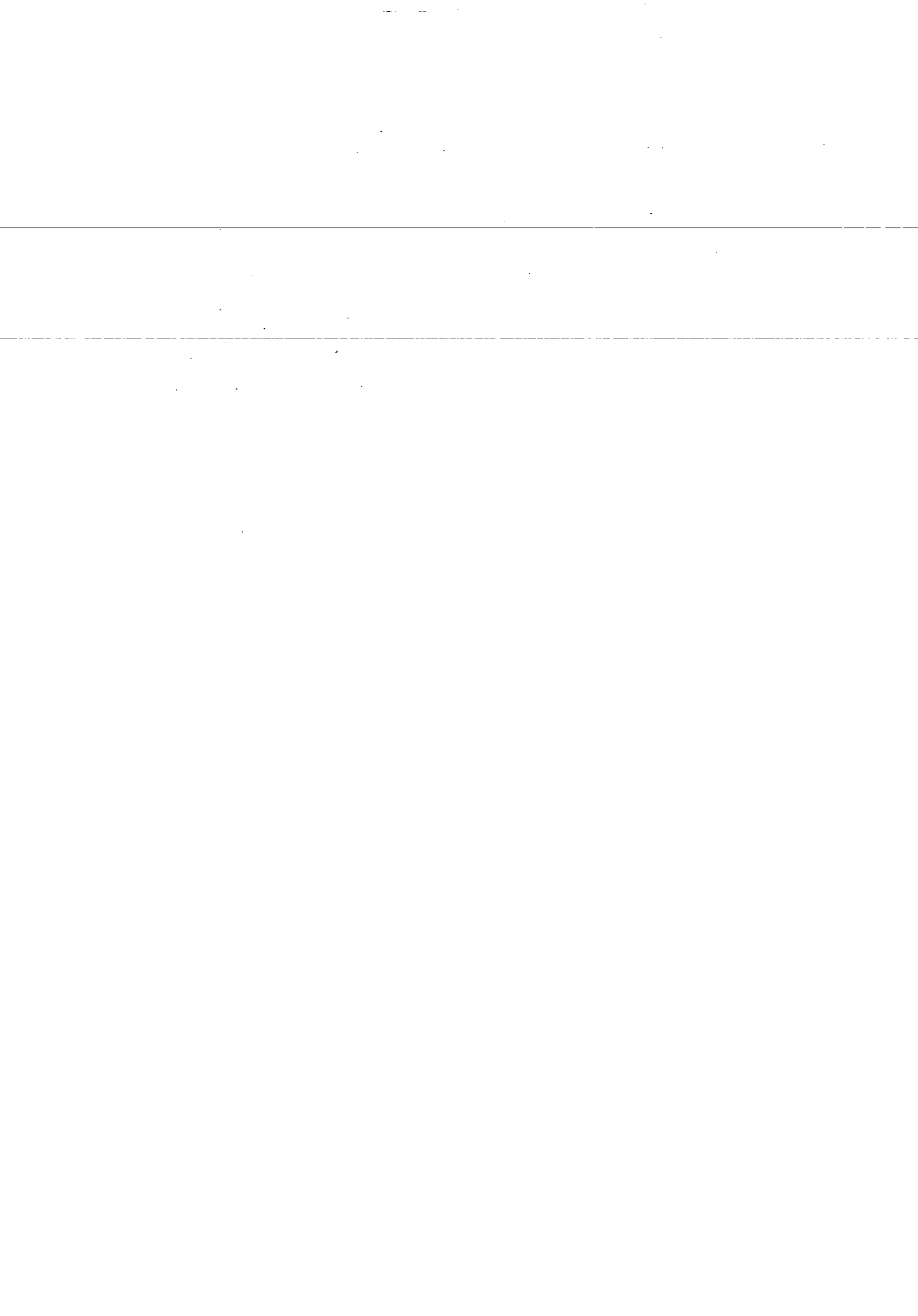
وكانت المدرسة العلمية بصعده تضم قرابة ستين طالباً يجرى للطالب (ريالان ونصف) فرانصي (ماري تريزا) وقدح إلا ربع طعاماً شهرياً ولمشائخ العلم من (١٠-٢٠ريالاً) فرانصي شهرياً مع قدح ونصف إلى قدحين من الطعام.

أما منهج المدرسة العلمية فقد احتوى على المؤلفات والعلوم التالية:

سبيل الرشاد	(أمالي المرشد بالله) في الحديث
العقد الثمين	(بلوغ المرام) شرح آيات الأحكام
مفهوم منطوق الأزهار	(التلخيص) في المعاني والبيان
شرح الفرائض	(إرشاد العي في علم الباطن)
(الأجرومية) في العربية	(شرح الثلاثين مسألة)
(قطر الندى) في العربية	(شرح الأساس) في علم الكلام
(حاشية السيد) في العربية	(شرح الأزهار)

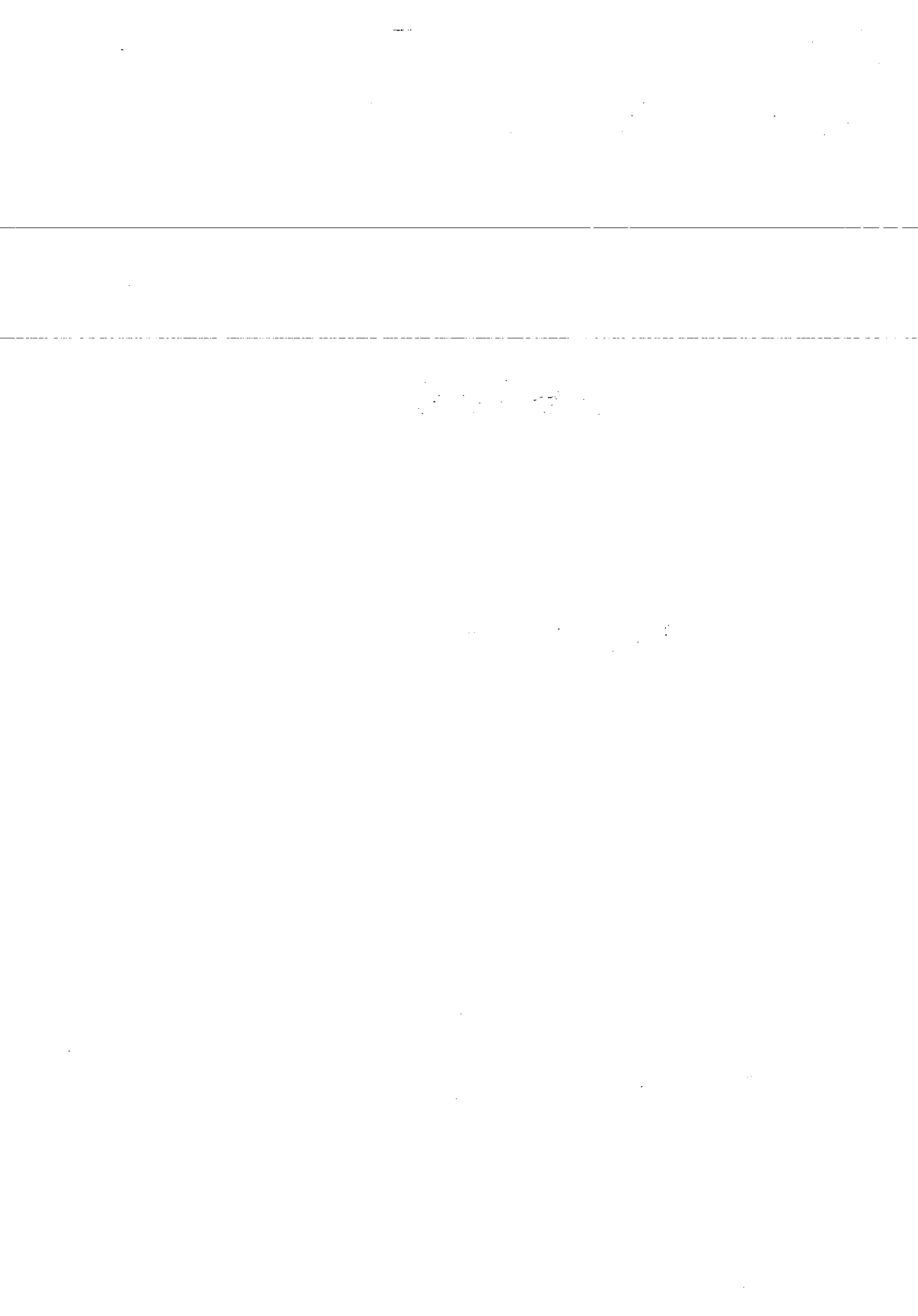
(١) قدم لنا هذه المعلومات عن المدرسة العلمية بصعدة الوالد القاضي العلامة/ أحمد بن قاسم المداني...

(الخبيصي) في العربية
(مغني اللبيب) في العربية
(التفتازاني) في المنطق
(شرح الخمسمائة آية) في التفسير
(البحر الزخار) للامام المهدي
(المناهل) في الصرف
(الروضة الندية) في الفضائل[1]
(البيان) لابن مظفر
(الشفاء) للأمير الحسين بن بدر الدين
(الكافل) في أصول الفقه لابن لقمان
(غاية السؤال) في علم الأصول
(أمالي أحمد بن عيسى) في الحديث
(الثمرات)
(أصول الأحكام) وغيرها....



الباب السادس

الحيـــاة الأدبيـــة



إطلالة على الحياة الأدبية

تنوع الاهتمام الأدبي في صعدة منذ وقت مبكر وخصوصاً الشعر الذي يعد من أقدم الفنون فقد برز في العهد الجاهلي والإسلامي الأول[١] عدد من الشعراء الأعلام الذين حفظت لهم عدد من القصائد الشعرية الهامة وخلدهم تاريخ الأدب وفي طليعتهم فارس اليمن وشاعرها عمرو بن معد كرب الزبيدي[٢] ومحمد أبان الخنفري[٣] وعبدالرحمن بن أحمد القشيبي، وعبدالخالق بن أبي الطلح الشهابي، وكان من أعلام الشعراء المهاجرين مسرور الخولاني ويحيى الخولاني في مصر.

وفي العصر الحميري برز عدد من الشعراء أمثال الحارث بن عمرو الخولاني والذي دون في شعره كثير من أخبار حمير وملوكها وأحداثها و(المغرق الأكبر) عمرو بن زيد بن سعد من خولان و(المغرق الأصغر) يعلي بن عمر بن سعد.

ومع نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع برز الأديب الشاعر المؤرخ أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (٣٤٤هـ) الذي مثل ديوان شعره أول ديوان شعر مكتوب في اليمن.

وجاء بعد ذلك القاضي/ نشوان بن سعيد الحميري (٥٧٣هـ) المتوفي بحيدان الذي تضمنت كثير من مؤلفاته نصوص شعرية كثيرة وأبرز من افتخر بالقحطانية ومآثر حمير ومفاخرها والإمام المنصور/ عبدالله بن حمزة

١- الشعر: أقدم الفنون وكان لليمن حظ كبير في هذا الفن رغم تشكيك مؤرخي الأدب إلا أن اليمنيون لم يهتموا بتدوين أشعارهم نتاج الحياة الغير مستقرة التي شهدها حينذاك.

٢- عمر بن معد كرب: شاعر وفارس اليمن في الإسلام، وقد خصصنا بحثاً مستقلاً عن نسبه إلى وادي زبيد – خولان صعدة.

٣- محمد بن ابان الخنفري: قيل يماني وشاعر ومؤرخ من وادي الخنفرين (العبدين) حالياً.

(٦١٤هـ)، وزكريا بن شكيل البحري وآخرين.

وعلى مدى القرون المتلاحقة برز الكثير من الشعراء الأعلام ناهيك أن غالبية العلماء الأعلام والأئمة الحكام كانوا شعراء إلا أن أشعارهم تركزت على فن الرثاء وتمجيد الأحداث العظام ومسارات الأحداث والأيام وهو ما يؤكده آلاف القصائد المنظومة المكتوبة على ألواح قبور العلماء والأئمة والمؤرخين، ولعل أبرز شعراء القرون الخمسة الأخيرة موسى بن يحيى بهران الصعدي وأخيه القاضي/ محمد بن يحيى بهران (٩٥٧هـ) ومحمد بن عبدالرحمن الأعمش (١٠٠٠هـ) والشاعر/ محمد بن عبدالله الهبي (٩٩٤هـ) والقاضي إسماعيل بن محمد العبدي (١١٥٠هـ) وأخيه القاضي/ إسحاق بن محمد العبدي (١١١٥هـ) ومحمد بن إبراهيم حورية المؤيدي (١٣١١هـ).

ومن الملفت للنظر أن الأقيال ورموز القبل والعلماء والفضلاء والمؤرخين الذين أنجبتهم صعدة عبر القرون الطويلة الماضية كانوا شعراء إلا أنهم كانوا يعتبرون الشعر مكملاً لبقية الفنون، لذا فإن غالبية أشعار الصعديين اقتصر على تدوين أحداث التاريخ وشكل شعر الرثاء الجانب الأكبر الذي حظي باهتمام الشعراء والعامل الأهم لنظم الشعر حتى اليوم وهذا ما تعكسه عشرات الآلاف من قصائد الرثاء التي دونت على ألواح قبور العلماء والقضاة والأئمة والحكام والتي لا يخلو قبر من وجود قصيدة أو أكثر على هذه الألواح التي ما تزال موجودة حتى الآن وهي قصائد أجاد ناظموها وحرية بالدراسة والاهتمام والتدوين أمثال قصيدة رثاء سلطان العلماء عبدالله بن الحسن الدواري سنة ٨٠٠هـ.

أقوت لغيبة وجهك الأمصار	واستوحشت لفراقك الأقطارُ
غيبت من تحت الثرى ولم يكن	ظني تغيب في الثرى أقمارُ
يا أيها القبر الذي في لحده	قمر الهدى وخضمه الزخارُ

كيف اكتناف البحر وهو غمطمط ... وتركبت من فوقه الأحجارُ

لو كانت الأعمار تفدي هالكاً ... لفدتك يا فخر الهدى أعمارُ

بكت السماء عليك والإسلام ... والأقلام والأشعارُ

إن المنابر والمحابر والعلا ... مفجوعة بك دمعها مدرارُ

وقد تضمن الباب الثامن من هذا الكتاب (باب رجال وأعلام صعدة) كمّاً هائلاً من قصائد الرثاء في إطار التراجم "أنظر الباب الثامن".

وفي إطار الفن الشعري برز في القرن الأخير الشعر الشعبي العامي الذي يتخاطب مع العامة وشكل الزامل وشعر الحكمة والأهازيج وأغاني الرعاة أحد فنونه وغلب على الشعر الفصيح وزاحمه في مكانته حتى اليوم.

وقد أفردنا في هذا الباب (مختارات من الشعر الصعدي) و(الزوامل الشعبية) و(أغاني الرعاة) و(أشعار الحكمة في الشعر الشعبي).

أما الفنون الأدبية الأخرى ومنها فن اللغة والنحو فقد حضيت باهتمام رئيسي ودرست في المدارس العلمية ضمن المناهج وبرز عدد من الأعلام الذين صنفوا الكثير من المصنفات الهامة وفي مقدمتها (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم) في اجزائه العشرة لنشوان بن سعيد الحميري، ويعد أهم موسوعة يمنية في اللغة و(القوافي)، و(أفياء العلوم) مختصر شمس العلوم للقاضي/ محمد بن نشوان و(مختصر في الفرق بين الضاد والظاء) له أيضاً، و(تحفة الطلاب) في النحو و(المختصر الشافي في علم العروض والقوافي) لمحمد بن بهران، وللقاضي محمد بن حمزة بن مظفر شرح مقدمة طاهر (ابن باشاده) وكان للفقيه أحمد بن يحيى الذويد شرح مختصر ابن بهران في المعاني والبيان والموسوم بـ(قوت الأرواح) و(سلاسل الذهب في معرفة كلام العرب).

وقد اهتم العلماء الصعديون بالمصنفات القديمة في مجال اللغة والنحو واتخذوها ضمن المناهج العلمية للطلاب وعملوا على شرحها وتبسيطها وفي مقدمة هذه المصنفات (المفصل) للزمخشري و(الكافية) لابن حاجب و(تلخيص المفتاح) للقزويني و(قطر الندى) لابن هشام و(مقامات الحريري).

فقد صنف القاضي/ محمد حمزة بن أبي النجم كتابه (المسالك) في شرح كافية ابن حاجب، و(مصباح الراغب) شرح للكافية للسيد محمد بن عز الدين بن صلاح بن الحسن بن علي المؤيد والتي عرفت بـ(حاشية السيد)[1] وهي المشهورة عند الطلبة في مدارس صعدة وصنعاء وذمار وغيرها.

وللسيد محمد بن أحمد بن الحسن بن علي داود (تحفة الطالب وزلف الراغب في معرفة كافية ابن حاجب) وشرح آخر للعلامة الكبير الحسن بن أحمد الجلال بعنوان (المواهب الوافية بمفردات طالب الكافية) إلى جانب (الإعراب بتيسير الإعراب)، وللقاضي إسماعيل النجراني (الأسرار الشافية في كشف المعاني الوافية) وللعلامة محمد بن أحمد بن قاسم حميد الدين (نظم الشافية) شرح كافية ابن حاجب ولأبي القاسم محمد بن أبي القاسم شرح كتاب (المفصل) للزمخشري وشرح آخر للقاضي أحمد بن محمد الخالدي، وللعلامة أحمد محمد لقمان (نظم الشافية) تعليق على المفصل وللمهدي بن صلاح بن الأمير جلال الدين تعليق على المفتاح، أما العلامة شمس الدين أحمد بن علي الدواري فقد صنف (شرح المدخل في علم المعاني والبيان) للأيجي وفرغ من تأليفه سنة ٨٨١هـ، وللعلامة الفقيد أحمد بن يحيى الذويد شرح على تلخيص المفتاح للقزويني.

وللحسن بن يحيى سيلان (توضيح الخفي لعبارات الفاضل حسن شلبي) حاشية على حاشية الشلبي المطولة.

وقد ازدهرت علوم العربية في صعدة ما بعد الألف وكان العلامة إبراهيم

١- طبعت بتحقيق الأخوين عبدالله الشمام وحميد العزي كما ذكره الأستاذ العلامة محسن صالح الحمزي.

بن عبدالله الغالبي إمام العربية في اليمن حتى سمّي بـ"طبري اليمن".

وجاء الحسن بن يحيى الضحياني ليصنف (منية الراغب) في النحو و(المنهل الصافي) في العروض والقوافي، ومن بعده ولده عبدالله بن الحسن الضحياني مصنف (مطلب الراغب) شرح منية الراغب في النحو لوالده و(التقريب بشرح التهذيب).

وبرغم الاهتمام الكبير بعلوم اللغة إلا أن علماء صعدة لم يولوا اهتماماً كبيراً بالتصنيف في هذا الجانب مع اهتمامهم الكبير بمؤلفات الآخرين والشرح عليها والتعليق رغم أن العربية كان وما تزال واحدة من المناهج الدراسية الأساسية في المدارس العلمية على مدى قرون مضت سواء في مدارس صعدة أو ضحيان أو حيدان أو ساقين أو مجز أو رحبان أو قطابر وغيرها.. وما زالت مكتبة الإمام الهادي بصعدة مليئة بالمخطوطات المنقولة من الكتب الأم بأيدي علماء أفاضل.

وقد خلف الصعديون إرثاً أدبياً كبيراً ومازالت آلاف المخطوطات النادرة والكتب النفسية في هذا المضمار وغيره من الفنون حبيسة للخزائن والمكتبات الخاصة في الدور الصعدية ومنها ما تم بيعه وتسريبه إلى خارج البلاد لتباع بثمن بخس من قبل سماسرة التحف والذخائر الفكرية.

مختارات من الشعر الصعدي

يا مربع الحي بذات الرند

للشاعر/ محمد بن عبدالله الهبّي[1]

كثيراً ما يدعى أولئك الكتاب والأدباء والنقاد أن اليمن موطن العرب فقيرة في مجال تاريخها الأدبي وأن اليمن لم تحفل عبر عصور زمنية بشعراء وأدباء ذوي مستوى جيد وهذا بدوره يومي عن عدم وجود حركة أدبية وثقافية في تاريخ اليمن عبر قرون مضت، رغم أن هؤلاء الكتاب والأدباء لم يألوا أي جهد في عملية بحثهم بل تسرعوا إلى إصدار الأحكام من بروجهم العاجية وفي مقدمتهم أولئك الرواد من النقاد والكتاب.

والحقيقة أن اليمن هي موطن الشعراء ومنها انبثقت البلاغة والفصاحة في كل الأقطار المجاورة والعديد من شعراء الشام والعراق والحجاز يمنيون حملوا أشعارهم إلى هذه البلدان فكانوا هم رواد الحركة الأدبية في تلك الفترات، وهي دلالة على وجود حركة أدبية في اليمن عبر العصور الماضية، إلا أن عملية التدوين ظلت قاصرة على أعمال التدوين وذلك لعدم إيلاء هذه الحركة اهتماماً شعبياً وهو ما يحدث حتى اليوم فمازالت العديد من انتاجات الأدب في الظل وهناك العديد من الأدباء والكتاب مغمورين في إطار قراهم ومدنهم عدا أولئك الذين خدمتهم الظروف فأبرزتهم عبر وسائل الإعلام والثقافة، ولذا فمازالت هناك صفحات مجهولة من تاريخ اليمن الأدب لم تكشف حتى الآن وفي هذه

١ – الهبي: محمد بن عبدالله الهبي الصعدي شاعر كبير له قصائد عدة في مدح الإمام المهدي أحمد بن دريب القطيبي صاحب جازان وابن عريش، توفي سنة ٩٩٤هـ والقصيدة تكشف بعضا من قدراته الشعرية والأدبية.

القصيدة الشهيرة التي حفظها أحد العلماء الأجلاء في محافظة صعدة من عبث الزمان[1] هو العلامة المؤرخ اللغوي حسين عيضه الشعبي، والقصيدة بعنوان (يا مربع الحي بذات الرند.. بالله خبر كيف كنت بعدي)[2] وهي للشاعر محمد عبدالله الهبي أحد شعراء صعدة في القرن العاشر الهجري ويقول عنها المؤرخ الشعبي بأنها (درة أشعار صعدة وجوهرة من جواهر الشعر في اليمن) هذه الفريدة الشعرية التي قال فيها الهبي.. القصيدة:

يا مربع الحي بذات الرند بالله خبر كيف كنت بعدي

هل واقفه فيك الغداة تجدي واحر أكبادي وطول وجدي

دمعي ونوحي فيك أقصى جهدي

كنت لريا ولعليا ملعبا وكل رعناء[3] ذات ثغر أشنبا

أصبحت مأوى للنعام والضبا وفيك طير البوم كيلا تعبا[4]

جادك هطال صدوق الرعد

أصبحت بعد الظاعنين مقفرا مغبرا منكرا مدعثرا

فيك النعام والضبا والفرا فدمع عيني لما نلت جرى

سقاك من مجلجل مسود

ينبت فيك الشيح واللينوفر ويضحك الآس ضحى والعَبهر[5]

إذا غدا يرقص فيك السنبر والزهر فيك ابيض وأحمر

١- أورد هذه القصيدة المؤرخ محمد بن محمد زبارة في كتابه (نشر العرف) ٢٣٢/١.

٢- تم تقسيم القصيدة هذه إلى شطرين (يا مربع الحي بذات الرند) و(ما هذه الخيل وما هذا العدد).

٣- الرعناء: شما: الأنف في رعن الجبل. الثغر: مقدمة الأسنان. أشنبا: استواء الأسنان وبياضها.

٤- تعبا: بمعنى صاح . جادك: أي أمطرك. الهطال: المطر العظيم.

٥- الآس: الريحان. العبهر: المرأة العظيمة الخلقة والجمال يقال لها عبهرة.

وعانق البان غصون الرندِ

لازال سهبوب الحيا منسكبا فيك وزارتك الغمام والصبا

تحرك البان ضحى والقصبا والورق في الأيك تغني طربا

على غصون اثمرت بالوردِ

فليت شعري هل يعود ما مضى ويرجع العيش الذي قد انقضا

رعيا وسقيا لاثيلات الغضى هيهات قد عاد سوادي أبيضا

وابيضي قد عاد كالمسودِ

كأنما أنيابها ماء جمد أو جوهر أو طلع نخل أو برد

أو لؤلؤ رطب مليح السردِ

هذا مطلع القصيدة التي بدأها الشاعر الهبي على نمط القصائد العربية القديمة والنهج الكتابي القديم الذي يبدأ بذكر الأطلال والمعالم والمناطق ونلاحظ كيف شخص الشاعر الأطلال وقد أقفرت وخيم عليها الحزن والكآبة وتغير الأحوال مشبهاً إياها بما صار إليه من حال ومتمنياً أن تعود الحالة إلى سابقتها ومعترفاً بجمال وحسن الأيام الماضية ويستأنف القصيدة قائلاً:

فرب هيفاء كالقضيب قامته ظاهره النعمه والوسامه

مليحة في ثغرها المدامه عانقتها في نجد وفي تهامه

محباً غير مضاع الودِ

يا عاذلي دع عنك عذلي واعذر في حب غيداء كالغزال الأعفر

تريك كعباً مثل حق المرمر ابنه عشر وثلاث معصر

طوع العناق غير ذات نهدِ

جبينـــها مثـــل الهـــلال يزهـــــر وشـــعوها إن أرســـــلته يســـتر
وثغرهـــــا ممســــــك معنـــــبر معطـــــر مكوثــــر مســــــكر
فيه مدام عاتق بشهدِ

إن بسمت تريـــك برقـــاً رفرفـــا أو لثمت أعطتـــك خمـــراً قرقفـــا
أو لحظت ارتـــك ســـيفاً مرهفـــا أو خطرت ارتـــك غصنـــاً أهيفـــا
أخفي هواها تارةً وأبدي

من الخراعيب الرعابيب الـــــرداح ان ضمت الحجل لقرطيها صيـــاح
أو أشبعت دملاجها جاع الوشـــاح تغـــار منـــها الحاجريـــات المـــلاح
تفاخر البان بلين القدِ[1]

ويواصل الشاعر الهبي وصفه لجمال وحسن محبوبته ومفاتنها الجسـمانية والحركية والخلقية مستمداً ذلك مما عرفه عنها أثناء العشرة والزواج.

تريك مـــــن مبســـمها زمـــردا[2] ولؤلـــؤا وفي الخـــدود عســـجدا
دعجاء نعساء مـــا تريـــد الاثمـــدا كن لهـــا البيـــض المراكيـــل فـــدا
ايضاً أنا من كل سوء أفدي

الثغـــر[3] منـــها أفلـــج مشـــنب والطرف سارج أدعج مـــا ادعـــج
والجيـــد ســـام والجبـــين أبلـــج كأنهـــا بـــين النســـاء عوهـــج
أتلع ادماء من ظباء نجد

لعســـاء لمســـاء لم تمخـــض ولـــد وكعبـــها غصنـــه ليـــم مـــا هـــد

١- القد: الخصر.
٢- زمرد: نوع من الأحجار الكريمة لونه أخضر.
٣- الثغر: الفم.

كأنما أنيابها ماء جمد أو جوهر أو طلع نخل أو برد

أو لؤلؤ رطب مليح السرد

وهذه الأبيات المخمسة أشبه ما تكون بالتواشيح والتي يتم استخدامها في الأناشيد والأعراس لصلاحية ترتيلها وجمال تركيبها ورقة معانيها ونظمها وحسن فكرتها والمطلع على القصيدة يستطيع التأكد من عذوبة ورقة شعر الشاعر الذي جمع فيها المفاتن النسائية والمعنى الشاعرية الرقيقة والكلمات البلاغية والبديعة وهي حرية بأن تكون جوهرة من أشعار اليمن في العصر القديم وإليك الأبيات التالية:

كأنها حمامة في غصنها يضرب فيها الخد هدب جفنها

تائهة على النساء بحسنها رشيقة يا بعد قرط أذنها

حين تميس من محال العقدِ

تعطيك ما تهوى لصغر سنها يذهل عقلي عند رشف مزنها

قد صار فني في الهوى من فنها وموج بحري قد دنى من سفنها

ومصطلاها من شرار زندِ

مشيتها في الأرض مشية قطا ليست من الغير طويلات الخطا

يعجبني التحميش منها والخطا إن المحب لا يلام ان سطا

ما لم يجد حبيبه بوعدِ

في ثغرها السلسال منها يرشف كسلى عن المضجع لا تنحرف

حتى إذا كاد النهار ينتصف قامت كمن قد دب فيه القرقف

إلى سواك الراك لا للكدِ

وشادن أشـــرف لي مـــن كللـــه ذو حمـــرة في خـــده مـــن خجلـــه

قبلتـــه فصـــدني عـــــن قبلــــه لما وضعــــت ســـكري في عســـله

اعاضني أنسا بذاك الصدِ

هذه وقفتنا في منتصف قصيدة الشاعر اليمنـــي محمـــد عبـــدالله الـــهبي الصعدي. ويليها النصف الآخر (ما هذه الخيل وما هذا العدد)

ما هذه الخيل وما هذا العدد:

أجمل قصائد الهبي الصعدي في مدح أمير أبي عريش المهدي:

لم أنـــس أيـــــام أبي عريـــــش حيث رياشـــي قـــد نمـــا وريشـــي

حيث انتهت خلاعـــــتي وطيشـــي ما لذ لي نومـــــي وطـــاب عيشـــي

إلا بأنعام الإمام المهدي[1]

القطـــبي القـــــاسمي الخـــالدي الحيـــدري الأزهـــري الفـــاطمي

القرشـــي النبــــوي الهـــاشمي حديث كـــل النـــاس في المواســـم

ونقطة البيكار من معدِ

وينتقل الشاعر الهبي من تصوير نبل مكارم وسمو نسب الإمام المـــهدي إلى استعراض وتصوير الصفات الجوهرية الشخصية للإمام المهدي أمير أبـــي عريش ليقول: .

١ – الإمام المهدي: محمد بن عبدالله القطبي صاحب وأمير أبي عريش بجيزان من المخلاف السليماني في القـــرن العاشر الهجري.

غضنفر الهيجـــاء طعـان الثغـر فارس العدنـان إذا النقـع انتشـر

القمر التــم لنــا وأيــن القمـر الواهب الخيل وضيحـات الغـرر

المقربات الصافنات الجردِ

محمـد المـهدي مـا محمـد إلا همــام وخضــم مزبــد

وعــارض يغنيــك حــين يرعـد تفيــض منــه ورق وعســجد

فرد بهذا العصر أي فردِ

ويواصل الهبي الحديث عن صفات وأخلاق الممدوح قائلاً:

سنانه يــهوى النحــور والكــلا وسيفه يــهوى الــرؤوس والطــلا

من آل قطب الدين أرباب العـــلا دع غـيرهم فـإنهم هـم المـــلا

أهل المعالي ورجال المجدِ

وعن تقييم كتابة القصيدة تحدث الأستاذ/ جمعان عبدالله الذويد فقـال: إن القصيدة هي نتاج معاناة واضحة تنطلق أبياتها من عمق أنفاس الشاعر الـهبي وهذا الشاعر مقتدر على النظم وصوغ الجمل وقد استطاع التعبير عن مكنـون قلبه وواقعه المعاش وفي هذا الجزء من القصيدة يتحدث الهبي فـي وصـف ممدوحه أمير أبي عريش من مواقف ثابتة عاشها في ظل وداد المهدي وسخائه ومروءته ونبل فرعه وقد استخدم فيها من الألفاظ الفريدة الكثير ورغم ذلك لـم تؤثر على سلالة نغم وذوق القصيدة حتى إنها غدت في هيئة ملحمة شـعرية غنائية في حليتها الثابتة وخماسية التقاطيع ونغمة الجمل والمقـاطع الشـعرية والحقيقة أن ذلك ليس ضرباً من المبالغة بل صدق القول وحقيقة الرأي ونتـابع قوله:

نال مــن المجـد منـالا لا ينـال هو الزلال العذب والحلو الحـلال

حاز البهاء والجمـــال والكمـــال وإن غدا في درعة يـــوم النـــزالْ

فدونه العباس وابن معدي

وفي المقاطع الخمسة السابقة يجمع الشاعر كل أسباب المجد وعلائم السمو في شخصية الأمير المذكور واصفاً إياه بالسماحة والصفاء وحسن العشرة وفي المقطع الثالث يصفه قائلاً: "حاز البهاء والجمـــال والكمـــال" ليجمـــع اكتمـــال الصفات الجوهرية في الكمال واكتمال الصفات المظهرية في الجمال وحســـن الهيئة والقبول والنقاء أمام الناس وينتقل في قفزة كبرى لينقل الأمير المذكـــور من طور السماحة والوقار إلى طور البأس والشجاعة والعـــزم والهمـــة فـــي الحرب وعند لبس الدرع والدخول في النزال يصبح دونه العباس وعمرو بـــن معد يكرب الزبيدي وينتقل إلى الحكم الكامل على الأمـــير وعلاقتـــه برعيتـــه ليقول:

فاق ملوك الدهر بـــالجود فطـــال تشخص ابصار النســـاء والرجـــال

لوجهـــه كنـــاظرٍ إلى الهـــلال كأنمـــا النـــاس لـــه طـــرا عيـــال

يلبس مذ شاء برود الحمدِ

تلتفـــت الغيـــد إذا مـــا التفتـــا وترهـــب الأســـد إذا مـــا صمتـــا

هو الربيـــع والمصيـــف والشـــتاء هو النقي هو التقـــي هـــو الفـــتى

لعقد حل أو لحل عقدِ

وفي المقاطع الثلاثة الأخيرة يحاول الشاعر محمد بن عبدالله الهبي إثبـــات كمال ممدوحه من خلال وصفه بمختلف الوصوف ووصفـــه بجـــانب النقـــاء بالمكارم والتقى في الدين والعزيمة التي يرمز لها بالفتوة والقـــدرة فـــي عقـــد الحلول أو حل العقود في قدرة فائقة ومتناهية ويستطرد قائلاً:

محمد لازلت في عيد جديد في كل وقت لكل ملك لا يبيد

إذا بدوت في الخيول والعبيد نوديت ذا المأمون أو هذا الرشيد

وما الرشيد أنت رب الرشدِ

لازلت خفاقاً عليك العلم سيفك ماض في الورى والقلم

فأنت للناس جميعاً حكم يا حاكم المجد ويا غشمشم

لواءه فوق جباه الأسدِ

وينتقل خلال هذه القصيدة الشاعر/ محمد بن عبدالله الهبي إلى وصف قوة المهدي والإشادة بها وبعظمتها قائلاً:

ما هذه الخيل وما هذي العدد ما هذه البيض وما هذي الزرد

لو رمت بغداد أتت من غير كد إني لأقرأ قل هو الله أحد

عليك أبقاك المعيد المبدي

أختم أو ابدي ما لطيف سري وما شدا القمري وماذر الكرى

أن لنا منك وثيقات العرى لازال شعري أبدا محبرا

فيك فأنت غايتي وقصدي

هذه هي قصيدة الشاعر اليمني/ محمد بن عبدالله الهبي الصعدي أحد الشعراء المبرزين والذين ظلت أشعارهم ترن في آذان العصور رغم مرور القرون العديدة ولازالت صعدة كغيرها من مدن اليمن القديمة مليئة بمئات القصائد النادرة التي مازالت حبيسة الخزائن والمكاتب وقد أشرف بعضها على التلف والانقراض.

المهدي وأبو عريش:

وعن أبي عريش تحدث الأستاذ/ جمعان الذويد قائلاً: "أول من اختط بقعة أبي عريش مسكناً جد بني الحكم وكان رجلاً صالحاً فبنى فيها عريشاً فسمي أبو عريش وذلك في القرن السابع للهجرة وهي الآن مدينة من أحسن المدن التهامية وبينها وبين البحر نحو ست ساعات على مقربة من جيزان وهذا ما أورده صاحب كتاب "نشر العرف"[١] محمد بن زبارة أما الأمير المذكور فهو محمد بن عبدالله القطبي الملقب بالمهدي والذي استقر بأبي عريش.

(اللامية الصعدية)

للقاضي/ محمد يحيى بهران

اللامية الصعدية إحدى القصائد الشهيرة الذائعة الصيت تناقلتها كتب التاريخ والأدب العربي نظمها القاضي العلامة الكبير شيخ الإسلام محمد بن يحيى بهران الصعدي الزيدي علامة اليمن ومحدثها المبرز على أقرانه في كل فن والمتفرد برئاسة العلم في عصره في القرن العاشر الهجري. صنف المصنفات العديدة النافعة الشهيرة منها (شرح الأثمار) في الفقه و(التفسير الكبير) الجامع بين تفسيري الزمخشري وابن كثير و(التحفة) في العربية و(الكافل بنيل السؤال) في أصول الفقه و(بهجة الجمال ومحجة الكمال في الممدوح والمذموم من خصال العمال) و(قوت الأرواح) في العروض وهو إلى جانب ذلك شاعر كبير مولده بصعدة سنة ٨٨٨هـ ووفاته سنة ٩٥٧هـ[٢].

له من الأشعار الفايقة الكثير ومن أجملها وانفعها وأشهرها قصيدته اللامية التي سلك فيها مسلك الطغرائي من أكابر البلغاء الكملاء الفصحاء وهي تزيد

١- نشر العرف بعد الألف، المجلد الأول: ٢٣٢-٢٣٧.

٢- قدم لنا هذه القصيدة الشاعر الأديب/ إبراهيم أحمد قاسم المداني كما قدم لنا بعض الكتب المخطوطة.

عن ستين بيتاً.

ويقول المؤرخ زبارة في كتابه أئمة اليمن أن القاضي بهران نظمها تلبية لطلب تلميذه العلامة/ محمد بن علي بن عمر الضمدي التهامي وقد خمسها القاضي الأديب/ سعيد بن داود الآنسي المتوفي بصعدة ١٠١٠هـ والقاضي مرغم، وسلك على منوالها جموع البلغاء في اليمن لما اشتملت عليه من الحكم العديدة والنصائح المفيدة وقد توهم الكثيرون من أهل المطابع في نسبتها فنسبوها لغير قائلها وسموها (لامية الصفدي) وهي من شعر القاضي/ محمد بن يحيى بهران اليماني، كما أوردها المؤرخ محمد بن محمد زبارة في كتابه (أئمة اليمن).

الجد في الجد والحرمان في الكسل ... فانصب تصب عن قريب غاية الأمل

وشم بروق الأماني في مخايلها ... بناظر القلب تكفي مؤنة العمل

واصبر على كل ما يأتي الزمان به ... صبر الحسام بكف الدارع البطل

وجانب الحرص والأطماع تحظ بما ... ترجو من العز والتأييد في عجل

لا تأسين على ما فات في حزن ... ولا تظل بما أوتيت في جذل

فالدهر اقصر منه ذا وذا أمداً ... وربما حل بعض الأمن في الوجل

واقن القناعة لا ترض بها بدلاً ... فما بها أبداً والله من بدل

وصاحب العزم والحزم اللذين هما ... في العقد والحل ضد العي والخطل

والبس لكل زمان ما يلائمه ... في العسر واليسر في حل ومرتحل

واصمت ففي الصمت أسرار تضمنها ... ما نالها قط إلا سيد الرسل

واستشعر الحلم في كل الأمور ولا ... تبدر ببادرة سوء إلى رجل

وإن بليت بشخص لا خلاق له ... فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

ولا تمار سفيهاً في محاورة ... ولا حليماً لكي تنجو من الزلل

ثم المزاح فدعه ما استطعت ولا ... تكن عبوساً ودار الناس عن كمل

ولا يغـــرك مـــن يبــدي بشاشـــته منهم لديك فـــإن الســم في العســل
وإن أردت نجاحـــاً أو بلـــوغ مـــنى فاكتم أمورك عـــن حـــافٍ ومنتعـــلِ

وقصيدة بهران اللامية مليئة بالحكم والمواعظ الناتجة عن خبرة وتجربة طويلة لشاعر لبيب فطن أخذ بمجمل العلوم ونصيب في الأدب ورؤية خاصة في الحياة لينتج منها قواعد أساسية ثابتة للحياة الكريمة القائمة على التحلي بالفضائل واجتناب الرذائل والأخذ بمكارم الأخلاق وسبل السؤدد والعز والمجد.

ويستطرد القاضي بهران في قصيدته بقوله:

وأبكر بكور غـــراب في شـــذا نمـــر في بأس ليث كمـــي في دهـــاء ثعـــل
في جـــود حـــاتم في إقـــدام عنـــترة في حلم أحنف في علم الإمـــام علـــي
وهن وعز وبـــاعد واقـــتراب واعـــد وجل وجد وانتقم واصفح وصل وصـــل
بـــلا غلـــو ولا جـــهل ولا ســـرف ولا تـــوان ولا ســـخط ولا بلـــل
وكن أشد من الصخر الأصـــم لـــدى البأساء واسير في الآفـــاق مـــن مثـــل
حلـــو المذاقـــة مـــراً لينـــاً شرســـاً صعباً ذلـــولاً عظيـــم المكـــر والحيـــل
صافي الـــوداد لمـــن أصفـــى مودتـــه حقاً وأحقد لـــك عـــداء مـــن جهـــل
شهم الفـــؤاد وقـــوراً حـــولاً يقظـــاً وارى الزنـــاد أبيـــاً غـــير ذي وهـــل

وفي الأبيات السابقة يستلهم الشاعر من كل ما حوله من الأشياء أفضل ما فيها وعامل تميزها حتى غدت مضرباً للمثل ومحدداً لكل الصفات والسمات الشخصية والقوالب والأطر السوية لتهذيبها لتحقق الغاية الأسمى منها على ضوء تجربته في الحياة.

ثم يستطرد الشاعر بهران في سرد بعض السمات الشخصية في قالب المواعظ والنصح مؤكداً على أهمية التحلي بها أو اجتنابها فيقول:

لا يطمئـــن إلى مـــا فيـــه منقصـــة عليـــه إلا لأمـــر مـــا علـــى دخـــل

ولا يقيم بــأرض طـاب مسـكنها حـتى يقـد أديم السـهل والجبـل
ولا يصيـخ إلى داع إلى طمـع ولا يبيـخ بقـاع نـازح العلـل
ولا يضيـع سـاعات النـهار فلـن يعود مـا فـات مـن أيامنـا الأولِ
ولا يراقـب إلا مـن يراقبـه ولا يصـاحب إلا كـل ذي نبـل
ولا يعـد عيـوب النـاس محتقـراً لهم ويجـهل مـا فيـه مـن الخلـل
ولا يظـن بهـم سـوءاً ولا حسـناً يصاب من أصوب الأمريـن بـالغيل
ولا ينـام وعـين الدهـر سـاهرة في شـأنه وهـو سـاه غـير محتفـل
ولا تصدن عـن التقـوى بصيرتـه لأنهـا للمعـالي أشـرف السـبل
من لم تكن حلـل التقـوى ملابسـه عار وإن كان مغمـوراً مـن الحلـل
من لم تفده صـروف الدهـر تجربـة فيمـا يحـاول فلـيرعَ مـع الهمـل
من سـالمته الليـالي فليثـق عجـلاً منها بحـرب عـدو غـير ذي مـهل
من كان همتـه والشـمس في قـرن كـانت منيتـه في دارة الحمـل
من ضيـع الحـزم لم يظفـر بحاجتـه ومن رمى بسـهام العجـب لم ينـل
من جالس الغاغة النوكا جـنى ندمـاً لنفسـه ورمـي بالحـادث الجلـل
من لم يصن عرضه سـاءت خليقتـه وكـل طبـع لئيـم غـير منتقـل
من رام نيـل العلـى بالمـال يجمعـه من غير حل بلى مـن جهلـه وبلـي
من عاش عاش وخير العيـش أشـرفه وشره عيـش أهـل الجـبن والبخـل

ويختتم قصيدته متطرقاً إلى ملامح مـن تجربتـه الشـخصية وأحـداث وانعكاسات حياته قائلاً:

عاجمت أيام دهـري شـدة ورخـاء وبـؤت فيـها بأثقـال علـي ولي
وخضت في كل واد مـن مسـالكها بـلا فتـور ولا عجـز ولا فشـل
طوراً مقيماً مقـام الـدر في صـدف وتـارة في ظـهور الأنيـق الذلـل

بالشــرق يومــاً ويومــاً في مغاربهــا　　والغور يومــاً ويومــاً في ذُرى القلــل

وتــارة بــين أجبــار جــهابذة　　وتارة أصحــب الغوغــاء في زجــل

وتــارة بــين أمــلاك غطارفــه　　شم العرانــين بــين الخيــل والخــول

هذا ولا ارتضى حــالاً ظفــرت بــه　　إلا وثقــت بحبــل غــير منفصــل

ولا أيمــم بحــراً جــاش غاربــه　　إلا وجدت ســراباً أو جــرى وشــل

ولم يلــذ لعيــني منظــر أبــداً　　ولم أزل وبنــات الدهــر في جــذل

حتى إذا لم أدع لي في الــثرى وطنــاً　　أقصرت من غــير لا وهــن ولا ميــل

فــاليوم لا أحــد عنــدي لــه أرب　　ولا فــتى أبــداً ذو حاجــة قبلــي

وفي الفــؤاد أمــور لا أبــوح بهــا　　ما قرب النائي أيدي الخيــل والأبــل

فإن أمت فلقــد أعــذرت في طلــب　　وإن تعمــرت لا أصغــي إلى عــذل

تمــت برســم أخ مــازال يســألني　　إنشــائها أبــداً في الصبــح والطفــل

فقلتــها لأداء مفــروض طاعتــه　　والقلب في شغل نــاهيك مــن شــغل

ولم أبــالغ في تنميــق أكثرهــا　　ولا ذكرت بهــا شــيئاً مــن الغــزل

لكنــها حكــم مملــؤه هممــاً　　تغني اللبيب عــن التفصيــل بــالجمل

بذي الغباوة مــن إنشــادها ضــرر　　كما يضــر نســيم الــورد بــالعجل

ثم الصلاة على أعلى الــورى شــرفاً　　محمــد وأمــير النحــل خــير ولي

كذلك الآل أهل البيت مــا اتصلــت　　أنســابهم بأمــير المؤمنــين علــي

ما أومض البرق في الديجــور مبتســماً　　وما سفحت دموع العــارض الهطــل

باث سميري والبرايا هجود

للقاضي / موسى بن يحيى بهران

تعتبر قصيدة "بات سميري والبرايا هجود" للقاضي الأديب موسى بن يحيى بهران[1] من أجمل وأرق القصائد الشعرية التي قيلت في القرن العاشر الهجري لجمال ورقة نظمها وعمق معناها وسلاسة ألفاظها وتركيبها الفريد ومحاكاتها لأشعار القدماء مبتدئة بالنسيب والغزل وتنتهي بالمدح وهي واحدة من أرق أشعار القاضي موسى بهران في مدح الإمام المتوكل شرف الدين "يحيى"[2] بن شمس الدين صاحب الدور العظيم في مناهضة الأتراك وإجلائهم من اليمن والذي امتد حكمه في اليمن (٩١٢-٩٦٥هـ).

وقد شكلت الحياة الدينية التي نشأ في ظلالها القاضي موسى بهران أثراً كبيراً في صقل موهبته الشعرية المبكرة فعكس الكثير من شعره ونظمه ثقافته الدينية وإطلاعه الفكري الواسع وهو أمر مألوف لهذا الشاعر الذي تربى في أحضان أسرة عريقة في العلم والفكر كان لها شرف إنجاب عدد من الرموز الأعلام الذين ذاعت شهرتهم في اليمن وخارجه أمثال القاضي العلامة محمد يحيى بهران الصعدي وولده عبدالعزيز بن محمد بهران وآخرين من رجال العلم والفكر والأدب.

١- موسى بهران: موسى بن يحيى بهران الصعدي، ولد بمدينة صعدة تعلم على يد عدد من المشائخ والعلماء الأعلام وبرع في نظم الشعر وله مدائح كثيرة في الإمام (يحيى) شرف الدين بن شمس الدين المتوفى سنة ٩٣٣هـ وله من المؤلفات "تذكرة الشعراء" وديوان شعر مخطوط في صنعاء في ٢٥٧ ورقة سماه (تذكرة الشعراء)، مصادر الفكر/ ٣٣١.

٢- شرف الدين: لقبه والاسم الأصلي "يحيى" وشمس الدين لقب أيضاً والاسم "محمد" وأولاد الإمام شرف الدين الأميران المطهر بن شرف الدين وشمس الدين.

القصيدة:

بات سميري والبرايا هجود	بدر تجلى في ليالي السعود
ما كان أحلى سهري عنده	حتى كأني في جنان الخلود
لمقلتي في خده جنةٌ	محفوفة بالنار ذات الوقود
له سيوف طالما سلها	من لحظه يرمي ورود الخدود
يا موقد النار بقلبي متى	تطفي لظاها برضاب برود
ويلي من المسواك ما باله	إلى ثناياك كثير الوزود
يسعد من دوني أراك الحمى	بالرشف لو أن بخيلاً يجود
أو لو قضى بالعدل ما بيننا	قاض وقامت لي عليه شهود
كم من قتيل بسيوف الهوى	وكم أسير موثق بالقيود
عجبت من ظبي غرير إذا	رنا بعينيه يصيد الأسود
بديع حسن لو دعا ميتاً	أجاب من بين تراب اللحود
سبحان من صوره فتنةً	لخلقه وهو الرحيم الودود

وينتقل موسى بهران إلى التساؤل والاستعطاف والتعجب في محاسنه بقوله:-

لم أدر أين الثغر من عقده	لما تساوى ثغره والعقود؟!
وفي المها ضدان لم يبرحا	قساوة القلب ولين القدود
يا ساحر الأجفان واللحظ لو	قابلت موسى يوم حشر الجنود
غلبت باللحظ عصاه ولم	يخر أهل السحر منها سجود
رفقاً بصب دنفٍ مغرم	بهواك يا شبه الغزال الشرود

تبدأ قصيدة بهران "بات سميري" والتي قالها في مدح الإمام شرف الدين بن شمس الدين على غرار قصائد القدماء في العصر الجاهلي بالنسيب ويفتتح قصيدته بذكر محبوبه ووصف لليالي الصفاء الجميلة التي اعتبرها لحظات

فردوسية فقال:

ما كـــان أحلـــى ســـهري عنـــده حـــتى كـــأني في جنـــان الخلـــود

ومن ثم ينتقل إلى نعت محبوبه ووصفه بأجمل الأوصاف ومبدياً إعجابه وهيامه قاضياً بأحقيته دون الورى بهذه المحاسن والجمال الفائق الفاتن.

لينتقل بعد ذلك إلى ما تجره المفاتن من أهوال وفتنة للناظر مطبقاً الأمر على محبوبته فيقول:

ســـبحان مـــن صـــوره فتنـــه لخلقه وهـــو الرحيـــم الـــودود

لم أدر أيـــن الثغـــر مـــن عقـــده لمـــا تســـاوى ثغـــره والعقـــود

وفي المـــها ضـــدان لم يبرحـــا قساوة القلـــب ولـــين القـــدود

ومع جمال ورقة هذه الأبيات إلا أن معناها قوي واضح جلي خالي من التكلف يزداد روعة في البيت الأخير ويختتم تغزله وفيض لواعجه بالإشارة إلى سحر أجفان ولحاظ محبوبته التي لو جاءت في العصور القديمة لغيرت مجرى الأحداث طالباً في ختامها الرأفة والرفق به.. والملامح البلاغية بفنونها المختلفة تملأ أبيات القصيدة.

وبعد أن يختتم شاعرنا تغزله الفاضح لمشاعره في ١٨ بيت من إجمالي القصيدة المكونة من ٤٤ بيتاً يتجه إلى مدح الإمام شرف الدين ويربط بين كليهما رابط قوي وثيق دون أن يشعر المرء بانتقاله إذ جعل من ممدوحته ملاذة من أي جور وكأنه باستجارته يطلب العون لتحقيق بغيته وهدفه النبيل، فيقول:

جاري من الجور إمـــام الهـــدى أكرم من زفت إليـــه البنـــود[1]

١- البنود: الأعلام أو الرايات.

خليفة الرحمن في أرضه مبارك الوجه كريم الجدود
بر كريم من بني المصطفى إمام حق ساعدته الجدود
قالت له الأيام إذ أقبلت ما أحسن الوصل عقيب الصدود
وليست الدنيا له بغية ولو بدت في زي خود خرود
وإنما قام لنصر الهدى همة ما برحت في صعود
وأهلك الباغين حتى ثووا واستبدلوا بعد القصور اللحود
وأصبح الجور كأن لم يكن وقيل بعدٌ للبغاة القرود
واستبشر العدل بآياته فامتلأ الغور به والنجود[1]
وأقبل الخير وراياته خافقة قد حل منها العقود
واصبحت صنعاء من عجبها ترفل في مستحسنات البرود
فقل لمولاي إمام الورى أكرم من سارت إليه الوفود
يا شرف الدين وقيت الردى ودمت تحمي بالحداد الحدود[2]
لا غرو أن سدت جميع الورى مثلك يا بحر الندى من يسود
قولك فصل كله حكمة فيها شفاء نافع للكبود
علمك بحر ما له ساحل فهمك سيف ساحق في الغمود
أمرك ماض في الورى نافذ زندك أورى من جميع الزنود
وجود كفيك إذا ما همى غيث مغيث ما له من رعود
كم عاش من فضلك من عائش أقامه حظك بعد القعود
ما أحد والاك إلا علا وأشرقت أيامه وهي سود
لو ثعلب كنت له عاضداً حام على الليث بسيف وعود

١- الغور: المنطقة المنخفضة. النجود: المناطق المرتفعة ذات الارتفاع النسبي.
٢- تحمي الحدود: إشارة إلى دور الإمام شرف الدين في محاربة ومناهضة العثمانيين وطردهم من اليمن.

لو كنـــت في أيـــام عـــاد لمـــا عادوا نبي الله ذا الفضـــل هـــود
لو كنت في أيـــام عيســـى لمـــا أظهرت البـــهت عليـــه اليـــهود
وصالح لو كنـــت عونـــاً لـــه ما عقـــر الناقـــة أشـــقى ثمـــود
فيـــك مـــن الرحمـــن ســـبحانه سر خفي ما لـــه مـــن جحـــود
أيـــدك الله ولا زلـــت في عزٍ به ترغـــم أنـــف الحســـود

يا قبر لا زال يهمي فوقك المطر

القصيدة الرائعة التي تناقلها الرواة أربعة قرون كاملة

كشفت أوجه التشابه بين الأعمش الصعدي والعباس بن الأحنف

قبل أربعة قرون من الزمن حدثت في مدينة صعدة أطرف قصة حب في اليمن راح ضحيتها علم من أعلام الحب العذري الطاهر وشاعر من شعراء النسيب هو أحمد بن محمد بن عبدالرحمن الأعمش المسمى بشهيد العفاف والحب الطاهر والذي ترك قبل رحيله قصيدة رائعة لم يسبق لأحد من شعراء النسيب والغزل في اليمن صياغة مثالها ورغم مرور الزمن ظلت هذه القصيدة مكتوبة على لوح[1] من ألواح البلق على ضريح السيدة فاطمة بنت إسماعيل الأعمش التي أحبها الشاعر ومات حزناً عليها كما ظلت محفوظة في صدور الأجيال وتناقلها الرواة وقصوا حكايتها قرناً بعد قرن حتى اليوم وقد تضمنت القصيدة أحد عشر بيتاً من الشعر المنظوم تنبعث منها الحسرة والألم والحزن الممزوج بالعاطفة والحب يرثي الشاعر فيها زوجته التي فارقته إلى الأبد قبل اكتمال الفرحة.

١- هذا اللوح تم تهريبه إلى الخارج وقد تمكنت السفارة اليمنية في لندن من استعادته بعد عرضه للبيع في مزاد علني بأحد مزادات لندن الشهيرة، مجلة العربي/ العدد ٥٤٢، صحيفة الثورة: ١/٥/٢٠٠٣م.

يا قبر لازال يـــهمي فوقـــك المطـــر
لم لا تتيه وفيـــك الشـــمس والقمـــر
وفيـــك جوهـــرة مكنونـــة دفنـــت
تحت الثرى ذكرت أوصافها الســـور
وفيـــك لؤلـــؤة مخزونـــة تركـــت
قلبي عليـــها كســـيراً ليـــس ينجـــبر
عقيلة مـــن بـــني المختـــار طـــاهرة
عديمـــة المثـــل عنـــها يحســـن الخـــبر
حليفـــة الديـــن والتقـــوى منزهـــة
عن كل عيـــب نماهـــا ســـادة غـــرر
عدمتها قبل أن أشـــفي الفـــؤاد بهـــا
أو ينقضـــي لي أو مـــني لهـــا وطـــر

ويستأنف الشاعر ابن الأعمش يخاطب قبر زوجته فاطمة بقوله:

بالله يا قـــبر هـــل زالـــت محاســـنها
وهـــل تغـــير ذاك المنظـــر النضـــر
يا حسرتاه على ذاك الجبـــين وهـــل
يجدي التحسر أو يشـــفي بـــه ضـــرر
لقد تنغـــص عيشـــي بعـــد فاطمـــة
ومقلتي بعدهـــا الـــوى بهـــا الســـهر

فالموت حـــق مـــن الرحمـــن قـــدره

فما لنا مصرف عمـــا قضـــى القـــدر

لا فارقت رحمـــة الرحمـــن ملحدهـــا

ووابـــل المـــزن لا ينفـــك ينـــــهمر

هذه القصيدة المتواضعة تعد بحق من أرق وأجمل قصائد النسيب وقد هـلم الكثير من عشاق الأدب بحثاً عنها وظل الآباء يروونـــها لأبنائـــهم ويقصـــون حكايتها وما جرى لصاحبها من أقدار جسام حلت به وانتهت بموتـــه حســـرة وألماً على حبيبته بعد فترة قصيرة من وفاتها في حادثة حب عفيـــف ووفـــاء ظريف قبل أن تجد مثله في تاريخ المحبين ومصارع العشاق، وللقصيدة وقـــع خاص في القلوب خالية من التكلف والصنعة منبعثة من أعماق حبيب متيم وقد زاد اهتمام الناس بهذه القضية في السنوات الأخيرة حيث تمكن مجموعة مـــن العلماء والفضلاء منهم العلامة حسين عيظة الشعبي القاضي المؤرخ والعلامـــة حسين بن علي الحجازي والفاضل علي بن محمد البابلي من العثـــور عليـــها منقوشة على لوح من البلق على قبر السيدة فاطمة بنت الأعمش خارج صعـــدة قبلي جامع المنصور في مقبرة كبيرة تضم سادة من بيت الأعمـــش وغـــيرهم وكان ذلك في جماد الأولى سنة ١٤٠١هـ الموافق ١١ ديسمبر ١٩٨٨م، وقـــد ظل اللوح باقياً فترة من الوقت ثم تعرض ذلك للضياع حتى تم العثور عليـــه خلال العام الماضي في أحد متاحف الدول الشقيقة، وعرض مؤخراً في مـــزاد علني في إحدى مزادات لندن الشهيرة.

والواقع أن قصيدة الأعمش في رثاء بنت عمه فاطمة من رقـــائق الشـــعر الذي يجمع بين نغم الحب الطاهر وأسى الحزن والرثاء وهي نغمة فريدة سـار على منوالها الشاعر الإسلامي العباسي بن الأحنـــف وهنـــاك تقـــارب بيـــن الشاعرين في الأسلوب ورقة الألفاظ وحسن الأداء وصدق النظم المنبعث مـــن

صميم الفؤاد المكتوي بالحرقة والأسى والحزن أليست نغمة العباس هي نغمة الأعمش الصعدي حين قال العباس يخاطب الخليفة العباسي قائلاً:

قالوا خراسان أقصى ما يـــراد بنـــا
ثم القفـــول فقـــد جئنـــا خراســـانا
متى يكـــون الـــذي نرجـــو ونأملـــه
أما الذي كنت أخشـــاه فقـــد كانـــا

قصة طريفة وراء نظم قصيدة الأعمش

يقول الوالد العلامة حسين بن علي الحجازي عن أسباب نظم هذه القصيدة بقوله.. في القرن العاشر الهجري عاشت في مدينة صعدة أسـرة مـن بيـت الأعمش هي أسرة السيد إسماعيل عبدالرحمن الأعمش والـذي أنجـب بنتـاً اسماها فاطمة وسكنت في صنعاء أسرة أخـرى هـي أسـرة السـيد محمـد عبدالرحمن الأعمش والذي أنجب ولداً أسماه أحمد والأسرتان من أهل العلـم فأراد أحمد بن محمد زيارة عمه إسماعيل بصعدة والتعرف عليه وخطبة ابنتـه فاستأذن والده وأخبره أنه يريد ابنة عمه فأذن له والده وكتب له إلى عمه وقـال له يا ولدي إن أعجبتك ابنة عمك سلمت المكتوب لعمك فتوجه إلـى صعـدة ووصل إلى بيت عمه إسماعيل الذي تلقاه بالترحيب والحفاوة وفي ليلـة مـن الليالي أراد عمه امتحان الولد علمياً فجلسا في نقاش علمي فقهاً وحديثاً ولغـة وإذا هما يختلفان في مسألة فقهية وظلا في حوار وكانت الفتاة ابنة عمه فاطمة وراء الغرفة تسمع النقاش وتتابع ابن عمها في نقاشه ومدى توسـعه العلمـي واشتد الجدل فبرزت الفتاة قائلة لأبيها لقد سمعت جدالكما في المسألة الفلانيـة وهي تشمل عبارة كذا وكذا صفحة كذا وأخرجت الكتاب والصفحـة وقـرأت العبارة وشاركتهما النقاش فترة ثم خرجت وهنا تدخل العلـم بسـلاحه ومـلأ القلبين حباً وطهارة فقدم الشاب رسالة أبيه لعمه والتي تتضمن الخطبة فرحـب

به واستدعى الفتاة وأمها وعرض عليهما الرسالة فرغبت في ذلك وبدأت مراسم الحفل بالزواج وبعد أن عاد إلى صنعاء تجهز للسفر إلى صعدة حيث تقام مراسيم الزواج وفي ليلة دخوله عليها كما هي العادة قرأ سورة الفاتحة واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ودعا الله أن يديم لهما الحياة الزوجية وإذا بالفتاة تصاب بألم شديد فهب الشاب والأسرة إلى استحضار العقاقير الطبية في معالجتها ولكن لم يجد شيئاً وكما قال الشاعر:

ولكن إذا حم القضاء على امرءٍ

فليس له برٌ يقيه ولا بحر

وتوفيت الفتاة وانتقلت إلى رحمة الله فصدمت الأسرة وتصاعدت الصدمة لدى الزوج الذي لم يستلذ بل لم يذق حلاوة الحياة الزوجية الطاهرة فأصيب بعد فراقها بفقدان الذاكرة وزوال العقل فاحتجز في غرفة خاصة لمدة شهرين فاستعاد ذاكرته فنظم قصيدة رثاء في فاطمة وطلب من عمه فك حجزه ليخرج لصلاة الفجر جماعة ولما عاد من الصلاة ذهب لزيارة قبر زوجته ثم عاد إلى البيت ففاضت روحه إلى باريها ودفن إلى جوار زوجته وكتبت القصيدة على قبر زوجته فاطمة بنت إسماعيل الأعمش في لوح من البلق ظل ثابتاً لم يتغير على مدى أربعة قرون كاملة من الزمان وقصة حب آل الأعمش قصة نادرة وصورة جميلة للحب الطاهر النقي والقصيدة نادرة من نوادر الأدب ونفيسة من نفائس الشعر العذري وأجمل ما قيل في هذا الخصوص على مدى القرون الأربعة الماضية في محافظة صعدة..

تلك قبسة من قبسات الشعر الغزلي العفيف في اليمن والتي قالها الشاعر الأعمش ورغم أنها حظيت بكتابتها وظلت محفوظة في صدور الأجيال على مدى قرون أربعة كاملة فإنها لم تجد طريقها للتدوين وهذا هو حال الأدب اليمني وتراثنا القديم لم يحظ بالاهتمام ولم يلق التدوين الصحيح والبحث اللازم له والأمل أن يبادر كل المهتمين والرواة والباحثين إلى حفظ تاريخنا الأدبي والتراثي بشقيه الجديد والقديم خدمة للوطن وذكرى للأجيال.

بدا كالبدر توج بالثريا

تهنئة القاضي موسى بهران للإمام شرف الدين بعيد الفطر

ومن روائع القاضي الأديب موسى بن يحيى بهران قصيدة شهيرة مطلعها (بدا كالبدر توج بالثريا) نظمها في تهنئة الإمام شرف الدين بن شمس الدين في بداية القرن العاشر الهجري وتتضمن القصيدة ٢٢ بيتاً من الغزل العفيف يليها ٣٠ بيتاً في تهنئة الإمام شرف الدين والثناء عليه ومدح خصاله.

والقصيدة شهيرة بديعة النظم جميلة التقسيم رقيقة المعاني والمعنى، يقول فيها:

بدا كالبدر تُوِّج بالثريا غزال في الحمى باهي المحيّا

رماني باللحاظ فصرت ميتاً وحيًّا بالسلام فعدت حيا

وبالكف الخضيب أشار نحوي وأدناني وقرّبني نجيّا

فقلت له ونحن بخير حال أتفقد من جنان الخلد شيّا

فقال وقد تعجب من مقالي جنان الخلد قد جمعت لديّا

فقلت صدقت يا بصري وسمعي فمن حاز الجمال اليوسفيّا؟

فقال حويته بالإرث منه وقد ظهرت دلائله عليّا

فقلت فسحر بابل أين أضحى فقال أما تراه بمقلتيّا

فقلت الورد أين يكون قل لي فقال أما تراه بوجنتيّا

فقلت الشهد أين فقال هذي شفاهيَ قد حوت شهداً جنيّا

فقلت فأين برقٌ قد بدا لي فقال رأيت مبسمي الوضيّا

فقلت فما السجنجل يا حبيبي وما جيد الغزال وما الثريا

فأبدى صدره الباهي وجيدا تقلّد فيه عقدا جوهريا

فقلت فما قضيب البان صف لي فهزّ لي القوام السمهريا

فقلت فهل يرى لك قط شبه فقال انظر وكن فطناً ذكيا

فقلت البدر قال ظلمت حسني بذا التشبيه فاهجرني مليّا

متى كان الجماد وأنت أدرى يشابه حسنه بشراً سويّا

تأمل هل ترى للبدر عيناً مكحّلة وثغراً لؤلؤيا

وهل تلقى له مثلي لساناً تساقط لفظها رطباً جنيّا

أليس البدر ذا كلف ووجهي كما أبصرته طلقاً رضيا

وكم قد رام تشبيهي أناس فلما استيأسوا خلصوا نجيّا

فقلت إليك معذرتي فمثلي يسامح إن أتى شيئاً فريّا

يستهل القاضي موسى يحيى بهران قصيدته هذه برقيق الشعر من الغزل كعادة الشعراء القدماء مشيراً إلى لقاءه بمحبوبته مستعرضاً مضامين اللقاء وأحاديثه ليخلق من حوله جواً مفعماً بالحب والغرام وتصوير مفاتن محبوبته بأرقى وأرفع نعوت الحسن والجمال.

ثم ينتقل في قصيدته إلى مدح الإمام المتوكل شرف الدين بن شمس الدين ليجعل من مديحه له كفارة للهو والانحراف إلى العشق باعتبار مدحه والإشادة به واجباً يستحق الثواب من الله تعالى.

ومن ثم يبدأ في استعراض مناقب ومناحي عظمة ممدوحه الذي حوى من المكارم والأخلاق وحسن الصفات ما يعجز عنه الوصف حيث قال:

وما كفـارتي إلا مديحـي إمام العصـر أكـرم مـن يُحيـا
فحينئـذ تصالحنـا علـى ذا وقال امـدح إماماً فاطميـا[1]
هماماً مـاجداً علماً عليمـا وقـوراً حازمـاً بـرّاً تقيـا
كريماً فـاضلاً فطنـاً لبيبـاً حليمـاً راجحـاً قمـراً مضيّـا
هماماً هـاطلاً أسـداً هصـوراً مـلاذاً شـامخاً كـهفاً سـريا
صفات لو حصرن العشر منـها لأحصـرت البليـغ الألمعيـا
حوى شرف الهدى والدين مجـداً رفيعـاً وانثـنى شـرفاً عليـا
له خُلق كزهر الروض أضحـى عقيـب الغيـث مبتسـماً نديـا
بـراه إلهنـا بـرّاً صفيـا ولم يخلقـه جبّـاراً عصيّـا
حوى سـر النبـوة فيـه حـتى حكى عـن جـدّه خلقـاً سـنيّا
حوى علم الذين مضـوا جميعـا وأصبـح وارثـاً لهـم وليّـا
تأزر وارتـدى بـالحكم كـهلاً وأُوتي حكـم خالقـه صبيّـا
وجود جـدوده الأمجـاد فيـه لمـن طلـب النـوال الحاتميّـا
فخذ من علمـه واطلـب نـداه لـترجع غانمـاً منـه غنيّـا
ولـذ بجنانـه إن رمـت عـزّاً يـدوم ومـورداً عذبـاً هنيّـا
وكن بـوداده رجـلاً سـعيداً ولا تـك بالعنـاد لـه شـقيا
وقل ياابن الأكارم مـن قريـش وأحسـنهم إذا ذكـروا ندّيـاً
ومن دان الملـوك لـه وذلّـت وخـرّت مـن مهابتـه جثيّـا
بفضلك تُتّقـى نُـوب الليـالي فكـن في النائبـات بنـا حفيّـا
فـإن الدهـر ممتثـل مطيـع لأمـرك مضمـر وداً خفيـا

١- فاطميا: نسبه إلى فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم الحسن والحسين.

أطاعك إذ أطعت الله فيه وذلّ وكان فتّاك جريا
وكم في طيّه لك من فتوح ستنشرها فتطوي الأرض طيّا

وينثني القاضي موسى بهران في ختام قصيدته هذه إلى تهنئة الإمام شرف الدين بن شمس الدين بعيد الفطر وثواب رمضان، جاعلاً من هذه المناسبة فتح وخير وفضل تمكنه من الحكم وفصل الخطاب حيث يقول:

وقد وافاك عيد الفطر يبدي لمجدك من صناعته حليّا
أتاك مهنئاً بثواب شهر حويت بصومه فضلاً سنيّا
فراح مودعاً من غير بُغْضٍ يبث ثناؤه مسكاً ذكيا
وجاء العيد مشتاقاً مجيباً يريك من الرضى وجهاً رضيّا
فهنّاك المهيمن ذا وهذا ودمت لنا دواماً سرمديا
عليك سلام ربّك ما تغنّت حمام الأيك صبحاً أو عشيّا
وصلى الله خالقنا على من تخيّره نبياً هاشميّا
محمدٍ المشفع في البرايا صلاة تبلغ الأمد القصيّا[1]

١- نقلت هذه القصيدة من كتاب (أئمة اليمن للمؤرخ زبارة).

يسر مسالك عبد أنت مولاهُ

ومن قصائد القاضي موسى بن يحيى بهران الرائعة في التوسل والرجاء يقول فيها:-

يسر مسالك عبد أنت مولاه ... يا ذا المعالي وحق فيك رجواهُ
ضل السبيل وأخطأ في تصرفه ... ونال حاسده ما كان يهواهُ
ورام بالجهل نيل الفضل فانعكست ... أماله ورأى ما كان يخشاهُ
فسلّم الأمر تفويضاً لخالقه ... لما تيقن أن الرازق اللهُ
وصار منتظراً من ربه فرجاً ... إذ ليس يكشف عنه الضر إلا هو
فيا حليماً بحال العبد مطّلعاً ... على سريرته حقاً ونجواهُ
وانظر إليه وفرج ما ألّم به ... بغارة منك واكشف عنه بلواه
ولا تكله إلى من ليس ينفعه ... فينثني وبحار الهم تغشاهُ
من ذا يلوذ به الراجي سواك ومن ... إذا دعاه شديد الكرب لبّاهُ
ومن سواك يرى ماض الضمير ومن ... يغني الفقير ومن تُترى عطاياهُ
ومن يغيث ومن يعفوا برحمته ... عن المسيء وقد جُلت خَطاياهُ
ومن له كل حين في بريته ... شأن ومهما قضاه الله أمضاهُ
ومن إليه يصير الخلق أجمعهم ... ومن بعدلٍ جرت فيهم قضاياهُ
ومن يميت ومن يحيي سواك ومن ... إذا دعاه شديد السقم عافاهُ
يا سيداه ويا مولاه يا أملاه ... ويا ملاذاه يا عفواه بل يا هو
كن لي مغيثاً فإن الغوث منك به ... يعز دين الفتى حقاً ودنياهُ
إن لم تكن لي فيا ويحي ويا أسفي ... حاشاك تخلق مخلوقاً وتنساهُ

وينتقل شاعرنا إلى الشق الثاني من قصيدته داعياً محدداً حاجته ومطلبه ممجداً خالقه بقوله:

يا رب عجل ما أرجوه من كرم فأنت أهل الذي أرجوه مولاهُ
يا رب من لي بتيسير الأمور ولي قلب أضر به همي وأضناهُ
يا سيدي خابت الآمال وانعكست عمن سواك وقل المال والجاهُ
يارازقي كيف أرجو الرزق من بشر مثلي ومن قصد الخلاّق أعطاهُ

ويستطرد موسى بهران إلى صياغة حكم وعبر في قصيدته بقوله:

من رام حاجته من غير خالقه[1] أذله الطمع المردي وأخزاهُ
من مد كفّا إلى المخلوق خيبه وطالب الله لا ترتد كفّاهُ
من ضيعته أمانيه بلا سبب فما يضيع وعين الله ترعاهُ
من قال للناس هاتوا هان عندهم وكل من يطلب الرحمن أغناهُ
من غلقت عنه أبواب الملوك فلم يقبل وعاين منهم ما توقاهُ
فليس يغلق عنه باب خلقه إذا تعرض للإحسان جاناهُ
فكيف أخضع للمستكبرين ولي ربٌ يجيب إذا المكروب ناداهُ
مولاي وجهت آمالي إليك ومن ألقى الأمور إلى مولاه أغناهُ
أليس رزقك ياذا الجود متسعاً والخلق فيه على التحقيق أشباهُ
من فضلك الجم يامن لا شريك له يعيش أضعف مخلوق وأقواهُ
لكل عبد إلى ما قد قسمت له من العطايا طريقاً ليس يغواهُ

١- من رام حاجته من غير خالقه: تعكس تأثر واضح بقصيدة طرفة بن العبد في معلقته:
من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب.

وينتقل إلى غاية القصيدة وهي التوسل للمولى سبحانه قائلاً:

فاجعل لعبدك يا رب الورى سبباً ... يأتي إليه بأقصى الرزق أدناهُ

وأنزع محبة دنيا لا بقاء لها ... من قلبه ليكون الهم أخراهُ

والطف به وتجاوز ما أتاك به ... من الذنوب فإن الذنب أعماهُ

ونجّه من عذاب النار يوم غد ... واجعل بفضلك من الجنات مثواهُ

وأهلي الكل من أنثى ومن ذكر ... أغفر لهم ولمن في الله واخاهُ

ورد كيد الأعادي في نحورهم ... ومن أراد به سوءاً وآذاهُ

بحرمة الذكر والمختار من مضر ... والآل والصحب عجل ما تمناهُ

وصل يا رب ما غنت مطوقة ... على الذي صدق القرآن دعواهُ

محمد المصطفى والآل عن كمل ... ومن على طاعة الرحمن والاهُ

صلى عليهم إله العرش ما نطقت ... بالحمد والشكر للمعبود أفواهُ

يقول الأستاذ جمعان الذويد أبقاه الله أن هذه القصيدة الزهدية التي يتوسل من خلالها القاضي موسى بن يحيى بهران الصعدي إلى ربه من فرائد الشعر في زمنه كونها نتاج معاناة واقعية وكان للبيئة الدينية التي تربى فيها القاضي الشاعر وخلفيته الدينية والشعرية وتأثره بكبار الشعراء دوراً في صقلها ونظمها المتميز، ففي زحمة المعاناة والمطالب الدنيوية لم ينس شاعرنا دينه وآخرته وطلبَ المغفرة والغناء بالله عمن سواه كيف وهو من أسرة علم نبغ منها عدد من كبار العلماء وفقهاء الزيدية الأعلام أمثال أخيه القاضي العلامة/ محمد بن يحيى بهران وولده العلامة/ عبدالعزيز بن محمد بن يحيى بهران وآخرين.

شاعر اللهو والغزل
السلطان الطريد/ زكريا بن شكيل البحري

في نهاية القرن الخامس الهجري برز الشاعر السلطان زكريا بن شكيل البحري من بني بحر بخولان عامر، مولده ونشأته بصعدة مركز المخلاف تأدب وتمذهب وتثقف ولأسباب لها صلة بالاضطرابات والفوضى التي كانت تعم اليمن في النصف الأخير من القرن الخامس الهجري اضطر لمغادرة صعدة واللجوء إلى (جياش) في زبيد فطاب له المقام ويقال أنه فر من أبيه بعد خصام واستدل كثير من المؤرخين والكتاب برسالته إلى أبيه:

قل للشكيل وسله: ما المعنى بأن ... أشقى بها وأنا المقيم ببابها؟!
فإذا هوت دلوي تريد قليبها ... جاءت بجند لها معاً وترابها
وإذا بها أدلى سواي بدلوه ... جاءته مترعة إلى أكرابها؟!

ومن المرجح وفاته سنة ٥١٠هـ بعد وفاة جياش قال الشامي[١] وجودة شعره تذكرنا بأسلافه من شعراء خولان صعدة وسائر شعراء شام اليمن أمثال محمد بن أبان وعمرو بن زيد، وأحمد بن عبدالله الأكيلي وغيرهم.

وزكريا شاعر لهو وغزل عاش في الملذات يذكر بخمريات الأخطل أو أبي نواس وقصائد جرير الخطفي الموزعة بين النسيب والمدح وعمق النظرة، وفي قصيدته هذه التي نقف عليها (الفرار من الهمّ) تتقطع قصيدته بين الخمر والمدح والغزل ليقول مبدعاً:-

عدْ إلى الاغتباق والاصطباح ... وانج في القصف من نصيح ولاح
واسقني الراح إنها تجلب الرو ... ح وريحانها إلى الأرواح

---

[١]- تاريخ اليمن الفكري: ٢/ ١٢٦-١٣٢.

قهوة طال عمرهـا فـهيّ مما عتقتـها الدنـان للوضـاح
بزلوها، فامتد منها بجوّ الليل نـور أغنى مـن المصبـاح
ما يزيل الهموم مثل اصطبـاح في صباحٍ، لدى وجـوه صبـاح
وترى الديك كالبعير، وكالأرض السـماوات، أو فـأنك صـاح

ويتغزل بقوله:-

وارع عينيك في عيون من الغيد حلاها نـورٌ كنـور اللاقـاح
من بني عوهج، منعمة الأطـراف ريّا الأرداف غرثـى الوشـاح
شـفتاها نُقلـي، ومـاء ثنـا ياها مدامي، وخدّهـا تفـاحي
كيف يصحو من سُكْرُهُ من لحـاظٍ ورضاب عذب وقـدٍّ رداح؟!

ويخلص إلى مدح الملك جياش فقال:

قلت لما تكنّف الروضةَ الأفـراحَ والحسنُ من جميـع النواحـي
هـذه الجنـة الـتي وعـد الله وما عن نعيمـها مـن بـراحِ!
وكأنا فيـها اختلسـنا نسـيماً من سجايا جيّاشٍ بـن نجـاح!
فهو كان الذي يروقـك لانـور ريـاض ولا نسـيم أقـاحي!

علم المجد، ذي الفضائل، فخر الأمـة المرتضـى، الفـتى الجحجـاح
غافر الذنب، مسعر الحرب، جالي الكرب، غوث الموتور، عون المجـاح
لفظه في الصحائف السود تغنيه، وتكفي عن سـل بيـض الصفـاح

وبين مقومات البهجة والسرور والصفاء وقرب الأماني ينبعث من أعماق شاعرنا الكبير زكريا بن شكيل بن عبدالله البحري آهـات الحـزن والأسـى والشكوى والشجن وذكريات الصبا وقد رنا بعينيه إلى الربـوع والعرصـات والاطلال ليقول من قيثارة حزينة آهاته وآلامه يختتمها كعادتـه بـالاعتراف بفضل الملك النجاحي "جياش" الذي تدارك غصته وأنعم عليه بعد تشرد لتكشف

حقيقة شاعر متمكن حزين، يقول زكريا بن شكيل:

"فتنكرت في العين"

كم لا تزال تسرُّ وجداً ما سرى ... مزن وتسفح ماء عينك ما شرى!
أطللت دمعك للطلول وكدت من ... حرق الحشا أن لا تخال الأسطرا!
عفى معالمها الغوادي والسواري ... والعواصف والأعاصر أعصرا
ولقل ما غري القديم بمحدث ... إلاّ وأحدث في القديم تغيّرا
فتنكرت في العين وهي معارفٌ ... في القلب يكبر قدرها أن تنكرا!
ولقد علقت بها غزالاً أغيداً ... غنج اللحاظ أغن أحوى أحورا!
أعدى بسقم جفونه قلبي، فلو ... أعدى جفوني منةً منه الكرى
يثني الصباح بفرعه ليلاً، ويثـ ... ـني الليل صبحاً إن بخدٍّ أسفرا

وينثني إلى مدح "جياش" بقوله:

المشتري حلل الثناء بما حوت ... كفّاه والحامي لها أن تُشترى!
والموقد النارين: ناراً للوغى ... لا تنطفئ أبداً، وناراً للقرى
من كان يمدح للعطاء فإنني ... للفخر أمدحه، وحسبي مفخرا
ملك تدارك غصني الذاوي وقد ... عبث الزمان به فأصبح مثمرا

.. هذا هو زكريا بن شكيل البحري السلطان الطريد الذي حملت كتب الأدب اسمه باسم السلطان زكريا بن شكيل بن عبدالله البحري في زمن تعد به السلاطين واضحى لقب "السلطان" ممنوحاً لبعض الإقطاعيين ومشائخ القبائل كما خلص إليه تفسير هذا اللقب الأديب المفكر أحمد محمد الشامي في حديثه عن هذا الشاعر في تاريخ اليمن الفكر في العصر العباسي (السفر الثاني) ومع ذلك نقف أمام شاعر كبير لا يمكن تجاوزه..

قفا نبك (حنين ولوعة)

قصيدة الإمام الشاعر/ محمد إبراهيم حورية[1]

معارضة لقصيدة امرئ القيس بن حجر الكندي

ومن روائع الشعر الصعدي قصيدة العلامة الشاعر الإمام/ محمد بن إبراهيم حورية رحمه الله رحمة الأبرار التي يعارض فيها معلقة امرئ القيس بن حجر الكندي حيث يذكر فيها شاعرنا ما هو فيه من الغربة والاشتياق للأهل والولد والبلد أثناء غيابه عنهم في سجن غمدان، يقول فيها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بجانب (شيبان)[2] على الحيد معتلي

(فمكسله) و(الحائطين) بشرقها
ومن غربها (المصموط)[3] لم يتحول

ومن شام شارعها طريقاً منيرة
إلى مسجد (الأحجار)[4] والجانب الخلي

١- محمد إبراهيم حورية: هو الإمام محمد بن إبراهيم المؤيدي الملقب (حورية الصعدي) منسوباً إلى والدته ولد في هجرة رغافة فقيه وعلامة كبير وشاعر متمكن وأحد ثلاثة من كبار علماء اليمن في عصره، رشحتهم الأمة للإمامة بدلاً من الإمام يحيى بن حميد الدين إلى جانب علي حمود شرف الدين وأحمد عبدالوهاب الوريث، وخوفاً من تزايد شهرته واتساع نفوذه، سجن في السنارة بصعدة ثم نقل إلى سجن غمدان وظل مسجوناً قرابة ٢٧ عاماً، وتوفي ١٣٣١هـ بعد إطلاقه من السجن بسنوات ويعكف ولده الأستاذ الصحفي/ عبدالوهاب المؤيد على جمع سيرته في مؤلف مستقل.

٢- شيبان: أحد أحياء صعدة القديمة.

٣- مكسله ، المصموط ، الحائطين: أحياء في صعدة القديمة.

٤- شام: قبلي أو شمال تحديداً للاتجاه. مسجد الأحجار: مسجد قديم لا يزال قائماً حتى اليوم.

فإن بها من نسلنا خير أسرة
ومن أهلنا جم غفير ومن الي
مودتنا والأقربين ومن هم
بنا علقة عند البقاء والتوجل
وجيران صدق أهل ود ورحمة
يراعون حق الجار في كل مدخل
ولا تنس ذكر الدار في العشّة التي
بها شغفي والمكث في خير منزل[١]
على (غافل) من جانب الغِرب حدها
ومن شرق بستان بخوخ وفلفل[٢]
ومن عدن غرس لنا ومواضع
بها من غروس الكرم والتين ما حلي[٣]
وورد ورمان وغرس كثيرة
من الخوخ والتفاح ثمر السفرجلي
وليم وليمون وتفاح عرفه
يزيل لك الأحزان والروح يعتلي[٤]

١- العشة: مسقط رأس الشاعر وبها توفي وهي منطقة تاريخية سكنها آل فطيمة من الربيعة بن سعد (سحار).
٢- غافل: مسجد تاريخي قديم في العشة به دفن الإمام أحمد بن إبراهيم حورية في القرن الحادي عشر الهجري في مشهده قبلي المسجد.
٣- من عدن: بمعنى من الجهة الجنوبية وكانت المناطق والبلدان معيار تحديد الجهات الأصلية الأربع.
الكرم: بمعنى الكروم العنب.
٤- عرفه: شمه.

ومن شرق هذا الغرس غرس لمرغـــم

عليــه لنــا دار وســلوة معتــــل[١]

إذا كنت فيها خلت صعدة والـــذي

بها من منــارات وحصــن بهــا جلــي

وينتقل الشاعر العلامة ابن حورية في وصف الديار وأيامها إلى التمنــي بعودة الأمس والإقامة في الربوع بين أبناءه وأحبائه وجيرانه واســتعادة أيــام الصفاء وحسن الاجتماع، يقول:

فياليت شعري هل لنــا مــن إقامــة

بهــا عنــد أولادٍ وأهــلٍ وموئلــي

مــن الأقربــين الأصدقــين مــودةً

وأشــياعنا مــن مخلــص بتواصــل[٢]

وهل لي إلى الأولاد في الغيــب ألفــة

وحسن اجتمــاع مثــل مــاضٍ وأولِ

ويتطرق إلى شوقه إلى تلك الربوع الطيبة ويصب جم غضبه وكراهيتــه على سجنه الضيق ومن أودعوه فيه داعياً ربه بالخلاص والخروج من ظلمات السجن بقوله:

ألا حبــذا تلــك الربــوع وطيبــها

وشوقي إليــها إن قلــبي بهــا ملــي[٣]

١- مرغم: اسرة علم مشهورة من صعدة مسكنها العشة.

٢- أشياعنا: المخلصين لنا المتشيعين فينا والشيعة هم المناصرون للزيدية المتشيعون لها.

٣- ملي: مغرم ومشتاق كثير الوجد.

وسحقاً وبعداً للمقام بغرفة
بجانب (غمدان) بُلي بالتزلزلي[١]
وبالخسف والترويع والخوف دائماً
وأصحابه بالفقر والذل من علي
عظيم قدير قادر ومقدر
عليم حكيم راحم ومسهل
فيا رافع السبع السموات إنني
سألتك بالأسماء والذكر إذ تلي
وبالعرش والكرسي وكل مقرب
من الأنس والأملاك أهل التبتلي[٢]
وبالأنبياء والمرسلين جميعهم
بطه إمام الكل بل خير مرسل[٣]
بأن لا تخيب ما رجوناك بالدعا
من اللطف والإفراج باليسر عجل
وعجل إنصافي من الظالم الذي
ينم ببهتان وقول به بُلي[٤]

١- بغرفة: إشارة إلى موضع حبسه في سجن غمدان، وسجن غمدان موضعه داخل سور القصر الحميري الشهير المعروف بـ(قصر غمدان) بصنعاء.
٢- الأملاك: المقصود به الملائكة المقربين من المولى سبحانه وتعالى.
٣- بطه: بالنبي صلى الله عليه وسلم، وطه من أسماء النبي الكريم.
٤- قدم لنا هذه القصيدة الأستاذ (جمعان) محمد عبدالله الذويد أبقاه الله وله في هذا الجانب اهتمامات كبيرة في جمع الأشعار الصعدية القديمة وهو أديب بليغ ينظم الشعر ومجلسه ديوان للعلم والفكر وأبرز رواد مجلسه العلامة المؤرخ القاضي/ حسين عيضة الشعبي أبقاه الله.

ما كنت أحسب للغيداء مكرمة

قصيدة لابن حورية عن مكانة المرأة والعلم

العلامة محمد بن إبراهيم المؤيدي الملقب بـ(ابن حورية) شيخ العلماء المبرزين ونجمهم الساطع في القرن الثالث عشر الهجري بمدينة صعدة والذي كان له اليد الطولى في علم الفلك والشعر والمعاني والبيان وفنون الكتابة والكلام، درس على يد العلامة حسين الحوثي بضحيان وشيخ الإسلام القاضي عبدالله الغالبي ومن أبرز تلاميذه القاضي يحيى بن حسين سهيل رحمه الله والقاضي العلامة محمد بن يحيى مرغم رحمه الله، وله مؤلفات في الفكر والفلك والأدب والأصول لم تحظ بالنشر حتى الآن، وقد تعرض في حياته لجملة من العراقيل والنوائب بسبب الوشاة وسجنه الإمام يحيى حميد الدين في مطلع حكمه ثلاثين عاماً بسجن غمدان قال فيها أجمل القصائد والرسائل الأدبية، وفي هذه القصيدة يرد على ولده يحيى بن محمد على أبياته المرسلة إليه مبيناً أهمية طلب العلم منوهاً إلى دور ومكانة المرأة في المجتمع وإليك الرسائل والرد ونبدأ برسالة ولده يحيى بن محمد حيث قال:

ما كنت أحسب للغيداء مكرمة ... حتى عجنت دقيق البر في عجل

ما كنت أحسب للغيداء منقبة ... حتى أضر بنا الدخان في المقل

ما كنت أحسب للغيداء منفعة ... حتى التهيت عن التعليم بالعمل

مالي وللعلم إن لم يقتض اربي ... فالقلب عن جمع هذا العلم في شغل

فأجاب العلامة الشاعر على ولده موضحاً له الأمر الصحيح قائلاً:

من لازم الخير في الأفعال فهو ملي ... أن يبلغ الرتب العليا على عجل

إن لم يشنه بقصد محبط فله | في دهره الفوز والإنجاح في العمل
وأرجو الله أن الخير في ولدي | لما يؤمله قصداً بلا خلل
وما ذكرتم عماد الدين من غير | تعارض القصد من هم ومن شغل
فذاك دأب الذي يرجو العلى فلقد | علمتم المثل المشهور في العسل
من صبرهم ورضاهم باليسير مع | أعواز حالتهم في ملبس الحلل
ولا (السبايا) ولا (السوسي) | (بنات صحن) بل (المخروش) زاد علي[1]
والخبز أعلى طعام القمح كان لهم | وشركة[2] إن أتت في النادرات تلي

وينتقل الشاعر إلى وصف أيامه الخوالي وأحاديثه مع الزمان في مدينة ضحيان شمال صعدة فيقول:

وأقرب الناس منكم صبر والدكم | أيام ضحيان يوم الفقر كالهمل
كنا نود بثوب غير ملبسنا | إذا تحسن أو نعل كمنتعل
لو (لحفة) نرتدي إن جاء زائرنا | أو لحم كبش (برأس الوعد) رأس[3]
والبرد كان ولا كيس وليس لنا | إلا حصير وجرم عن دفاة خلي
ثم السلام عليكم ما همت سحب | على الأكام وما شنت على جبل
وختمها أن صلاة الله يتبعها | منا السلام على المختار والرسل
وآله الغر من قاموا بشرعته | وشادوا الدين بالتبليغ والعملِ

١- السبايا والسوسي وبنات الصحن والمخروش من أطيب الأطعمة المعروفة في عموم اليمن وهي أكلات شهيرة.
٢- شِركة: بمعنى اللحمة أو القطعة الصغيرة من اللحم باللغة العامية اليمنية.
٣- لحفة: شال يوضع على الكتف. برأس الوعد: أي في أول الأسبوع.

قصة القصيدة:

وعن قصة القصيدة قال الأستاذ/ جمعان الذويد (ما كنت أحسب للغيداء مكرمة) أبيات أرسلها يحيى بن محمد بن إبراهيم حورية عندما اعتزل أهله ومكث بالمسجد مهاجراً في طلب العلم وكان يقوم بإعداد طعامه لنفسه ونظراً للمشاق التي صحبته في هذه التجربة والشوق الكامن في أعماقه وحنينه إلى أهله أرسل إلى والده بهذه الأبيات مبيناً عدم اصطباره على البقاء بهذا الشكل في سبيل طلب العلم مبيناً إدراكه لأهمية ودور المرأة في المجتمع.

ماذا رد العلامة محمد بن إبراهيم حورية على أبيات ولده؟

واستطرد الأستاذ/ جمعان الذويد قائلاً: وكان من والده أن أجاب على أبياته بقصيدته هذه وبين أهمية ومكانة طلب العلم وموضحاً أن العلم لا يأتي لأصحاب اللذة وكمال الرغبة ومنوهاً على أن ذلك هو دأب أهل العلم وطريقاً للعلى وأكد على أهمية المكانة للمرأة في المجتمع ودورها في تنميته وسعادته لكنه طالب ولده بالحرص على طلب العلم والبلوغ إلى العلى والكمال ويطالبه بالاقتداء بوالده نفسه حين أقام بضحيان طالباً للعلم في قوله:

(وأقرب الناس منكم صبر والدكم أيام ضحيان، حيث الفقر كالهمل)

وموضحاً له جزءاً يسيراً من مطلع حياته وغرة شبابه، حيث كان يطلب العلم في ظل جوع منقطع النظير وفقر ليس له مثيل والعيش بالشيء اليسير مطالباً إياه بضرورة الصبر والتحمل.

محطة أخيرة:

القصيدة تدور حول أهمية المرأة في حياة المجتمع وأهمية ومصاعب طلب العلم وكيفية الموازنة في الاحتفاظ بأحد أمرين وترك الأمر الآخر.

وجد الشوق

قصيدة الشاعر/ إسماعيل الطل

في مدح أمير كوكبان السيد/ عبدالقادر بن محمد

كم بين أكتاف العذيب وحـــاجر[1] منـــا صريـــع نواظـــر ومحـــاجرِ

أنينـــه ذنـــب الهـــوى وشـــغلنه بالوجد عـــن ذم الشـــباب الغـــادرِ

أسهرن يا وســـن الجفـــون جفونـــه ورقدت عن ليل الكئيـــب الســـاهرِ

قلبي ملكت فهل لـــــه مـــن معتـــق ودمي سفكت فهل لـــــه مـــن ثـــائرِ

مالي وللســـمر الدقـــاق تركتـــني بقديم صبوهـــا حديـــث الســـامري

من كـــــل بائســـة بليـــت بقدهـــا وقوامها وعدمـــت أجـــر الصـــابرِ

أسفي بذات الخال ليـــس بمنقضـــي هـــو أول مـــا ان لـــه مـــن آخـــرِ

لولا الأسى لجنيـــت وردة خدهـــا سحراً على كأس العتـــاب الدائـــرِ

ولقد رائي ومـــا رئيـــت كســـرها أقمـــار تم في ظـــلام غدائـــرِ

وغصـــون بـــان أينعـــت أظلافـــها فبرزن في ورق الخضـــاب النـــاضرِ

يا عـــاذلي وأخـــا الصبابـــة ربمـــا يشكو على غـــير الشـــقيق القـــادرِ

قد كنت ترحم لو مررت بخـــاطري فوقـــت في رســـم الســـنو الداثـــرِ

جهلاً يلوم على الســـقام ولم يـــذق وجد المشـــوق ولا حنـــين الذاكـــرِ

يبكي على جسمي السقيم ولـــو درى كان البكاء علـــى الفـــؤاد الســـائرِ

دعني ومـــا شـــاء الزمـــان فإنـــه لا يرعـــوي لمقـــام نـــاه آمـــرِ

---

١ – العذيب وحاجر: مواضع لا أعرف موقعها بالتحديد.

وينتقل الشاعر إسماعيل الطل من النسيب والغزل إلى ممدوحه والإشادة بـه وبمناقبه فيقول:

ولقد نصرت على الليالي والنـــدى ... بابي العلـــي والملـــك عبـــد القـــادرِ

حـــاز المـــآثر قضـــها بقضيضـــها ... وعـــدا يمـــن علـــى الـــورى بمـــآثرِ

وينثني إلى وصف مستنزه ظفران والحديث عنه ووصفـــه بأنـــه الجـــامع للمحاسن المتناثرة ويعدد مزاياه وجمال أوصافه ليقول:

يا حبذا ظفـــران مـــن مستنـــزه ... يزهـــو بزهـــر في ربـــاه نـــاضرِ

روض تجمـــع فيـــه مـــا في غـــيره ... متفرقـــاً ممـــا يـــروق لنـــاظرِ

وإذا عـــراك الشـــك فيمـــا قلتـــه ... فاخل الرياض لنـــاظريك ونـــاظري

ما شعب بوّان يقـــاس بـــه وكـــم ... مـــن أول ينســـي بحســـن الآخـــرِ

روض يضوع المسك مـــن أزهـــاره ... حتى يظـــن الأفـــق جـــون التـــاجرِ

ولـــذا جـــرت أنهـــاره في إثرهـــا ... قد ضاع من أثـــر النســـيم العـــاطرِ

روض حكى أخلاق من حاز العلـــى ... وسما علـــى بـــدر الســـماء الزاهـــرِ

أســـد تحـــاذرة الملـــوك وغابـــه ... ممـــا عليـــه مـــن القنـــا المتشـــاجرِ

أنى يرى فضـــل الغمـــام وجـــوده ... يغني الأنام مـــن الســـحاب الهـــامرِ

ما فات إلا الطـــل وابـــل فضلـــه ... وهـــو الحقيـــق بجـــودة المتكـــاثرِ

وإليكـــها عـــزً يـــرق للطفـــــها ... "ماء الزجاجة" عن يمين "الدائـــرِ"[١]

١- نيل الوطر: ٣٨٨-٢٨٩. ماء الزجاجة: موضع قرب ظفران حدده بيمين "الدائر" أي السور.

سيوف وجفون

للقاضي/ محسن أحمد أبو طالب

الثقافة الدينية التي اتسمت بها البيئة الصعدية ألقت بظلالها على شتى مناحي الحياة وطغت مفاهيمها ومفرداتها على بقية مجالات الفكر والأدب.

وهذه قصيدة فريدة في نظمها للقاضي السيد العلامة/ محسن أحمد أبو طالب رحمه الله، وقام بتخميسها الشاعر المبدع/ يحيى حسن محمد الرازحي.

يقول فيها[1]:

ثارت بقلبي كامنات الشجونِ   وغرَّ عقلي كاذبات الظنونِ
قلت لمن حولي ألا تنظرون   هذي سيوفٌ غادرت أم عيون
أم أسهمٌ قاتلةٌ أم جفون

فليت شِعري ما الذي قد جرى   وأحرمَ الأجفانَ طعمَ الكرى
هل في الثريَّا بِتُّ أم في الثرى   أم هل رِماحٌ من قُدودٍ أرى
أم قُضُبٌ مائلة أم غصُون

مالي أرى بعض النجوم اختفت   هل قمر النصفِ عليها طغت
أم أنها شمس الضُّحى أشرقتْ   أم هي هاتيك الظِّبا أقبلتْ
أم غادةٌ جاءت بريب المنون

أتبتغي ظبي الفلا مؤنساً   وكم غنيٍّ قد غدا مفلسا
فلو ترى كم أزهقت أنفسا   كأنما العشّاق ممن يسا
قون إلى الموت وهم ينظرون

١- خطها بقلمه الأخ العزيز/ عبد العزيز حسين الشعبي وقدمها لنا الأستاذ الأديب/ أحمد عبد الرحمن العزي.

فلا يَغُرَّنــــك الــــذي غرهــــم من وعدها المكــــذوب إذْ أنَّــــهُم
قد وعدوا بــــالوصل لكنــــهم قالوا لهــــا الوعــــد فقــــال لهــــم

هيهات هيهات لما توعدون

قالوا فإن الصــــبر منــــا نفــــذ ألا تخــــافين الإلــــه الأحــــد
قالت بلى فهو القدير الصمــــد قــــالوا اتَّقــــين الله فينــــا فقــــد

قال تعالى يا عباد اتقون

وحيدةٌ في حســــنها يــــا لهــــا مــــن غــــادة لم ألــــق أمثالهــــا
سعى لها غــــيري فيمــــا نالهــــا يا ليلــــةً أفلحــــت فيــــها لهــــا

وأنَّهُ قد أفلحَ المؤمنون

هيفاءُ يغارُ البان مــــن قدِّهــــا تُرِيك غَصن الليــــم في نهدهــــا
ما زهرةُ الورد لــــدى وردهــــا قد كتــــبَ الله علــــى خَدِّهــــا

لمثله فليعمل العاملون

خَدٌّ فما شعري لــــه واصــــفٌ وردٌ وما غــــيري لــــه قــــاطفٌ
إنيِّ علــــى حيطانــــه واقــــفٌ وألفُ الوصــــل هنــــا عــــاكفٌ

وها هُنا نُونٌ وما يسطرون

طلبتــــها مــــن وقتــــها ســــاعةً فأخرجت مــــن جيبــــها رُقعَــــةً
إن أقبل الليــــل فــــزر غفلَــــةً فقلــــت لمــــا زرتهــــا بغتَــــةً

يا ليت قومي أنهم يعلمون

فالقلب لا يهوى سوى قربهــــا والأنــــس لا يكمــــل إلا بهــــا
كم عذلوني عن ولوعــــي بهــــا ولامــــني اللــــوَّام في حُبِّــــها

فزرتها من حيث لا يشعرون

كم حــــذَّروني أنــــني هــــالك وأنذروني قلــــت مــــهما يكــــن

هل حسبوا أني لها تاركٌ هل يعلمون الغيب أم لم يكن

عندهم الغيب فهم يكتبون

هل عَرف اللوام مثلي غوى أم حُملوا من هم أهل الهوى

شيئاً ولو مثقال بعض النوى أم سئلوا من عاشقٍ في الهوى

أجراً فهم من مغرمٍ مثقلون

عجبت منهم إذ يلومونني وهم بلا شكٍّ يساوونني

في حُبِّها بل هم يفوقونني يهوونها مثلي وينهونني

إنَّا على آثارهم مقتدون

بل كم وكم قد راودوا أهلها عنها فلما أظهرت ميلها

إليّ وحدي كذبوا قولها فقلت لما أنكروا وَصلها

هذا الذي كنتم به تدَّعون

إن كذبوا قولي فقد صدَّقت وإنني راض بما قرَّرت

فهل هي البغضاء منهم بدت أم جادلوني فلقد جادلت

أهل القرى إذ جاءها المرسلون

لو صدقوهم كان أولى لهم لكنهم قد كذبوا ويلهم

فلا تكونوا ويلكم مثلهم إذ كذبوا الرسل فقالوا لهم

إنَّا بما أرسلتم به كافرون

فأيّ ذنب جئتهُ ويلهم حتى رأوني غاوياً مثلهم

هل علموا سُوءاً وأنَّ لهم أم أنذروني في الهوى إنَّهم

والله عما أنذروا مُعرضون

إن كذبوني في هيامي بها فكم وكم قد هام غيري بها

هل أنكروا دعواي في حبها أم كذبوني في غرامي بها

يا ربِّ فانصرني بما كذَّبون

عجبت لمن أحب !!

أحمد محمد العجري [1]

أقبل البعد يجحدك القريب ... وبعد القرب ينكرك الحبيب

وفي الوطن الحبيب ترى غريباً ... وقد يسلو بك الوطن الغريبُ

وتعرف موقناً أن الصبا لا ... تهب بكل ما تهوى القلوب

فليس لكل غاربة شروق ... وإن لكل شارقة غروب

وقد يأتي المؤمّل بعد يأس ... ويذهب بالمنى اليأس المريب

رغبت عن الذين رغبت فيهم ... زماناً حيث لا عيش رغيب

تركت الغيد حيث الغيد لمّا ... تغشى الصيد حيث الصيد طيبُ

أريج الأريحية نشّرها ... صحائف أريحيّ لا يخيب

تحرّى من هواه الحب فيمن ... محبتهم بها يقضي الوجوب

فذاك وهم هم الأولى بحبي ... وطوبى للذين بهم نطيب

عجبت لمن أحب ويدّعي أنـ ... ـه لما تعاديه الخطوبُ

رضعنا الحب من ثدييك أم الـ ... ـعروبة فهو فيك هوىً عجيبُ

هو المعروف عاد إليك ممن ... لهُ أنجبتي وكان هو النجيب

علي القدر رام لك المعالي ... وللأحرار يومئذٍ وثوبُ

فما إن وحد الشطرين حتى ... تشطّر في شمائله الجنوب

---

١ – أحمد محمد العجري من مواليد ضحيان بلاد مجز في ١٩٦٣م، يعمل مدرساً، ويعتبر صوتاً شعرياً مميزاً وامتلاك نواصي القصيدة الشعرية، له مشاركات في مختلف الفعاليات الأدبية والوطنية

وحاشى في الجنوب الشعب ممـــا أقضّت في الشمال بـــه الجنــوب
دعـــاه الإنفصـــال وهـــم قليـــل أقلّـــهمُ التكـــاثر والنشـــيبُ
هم المعنون بالأمر الـــذي منـــ ـــه عانينـــا وللدنيـــا وجيـــبُ
فقد نكثـــوا العـــهود وحاربونـــا وما للجـــرح في حـــربٍ طبيـــبُ
ومن لا يرعوي حربـــاً ألا كيـــ ـــف تجنح بالسلام له الحـــروب؟
دعوا للانفصـــال وقـــد سمعنـــا ولكـــن ليـــس منـــا مـــن يجيـــبُ
ونـــار الحـــرب فينـــا أوقدوهـــا فكان لهـــم مـــن النـــار اللـــهيبُ
وكان مشيرنا الأمضـــى إلى مـــا أشـــار بـــه وماضينـــا المجيـــبُ
تحقـــق بالمشـــورة منـــه نصـــراً لوحدتنـــا لـــه لُبـــس القشـــيبُ
وكان لكـــل ذي زرعٍ حصـــادٌ وكـــان لكـــل مجتـــهد نصيـــبُ
ولولا الدبّ شرق الغاب يرعـــى وللآفـــات زاحفـــةً دبيـــبُ
وشرع الغاب في شرقٍ وغـــربٍ يباركـــه المســدَّسُ والصليـــبُ
لعمرك إن يكن يـــا عمـــر زيـــدٌ هو المصلوب ما كـــذب اللبيـــبُ
سيصلب بعد زيـــدٍ ألـــف عمـــرٍ فلا ينجيك يـــا عمـــرو الهـــروبُ
لأمرٍ مـــا يضيـــق المـــرءُ ذرعـــاً وفي رحبٍ يضيـــق بـــه الرحيـــبُ
لأمـــرٍ مـــا تقلبـــت القلـــوبُ لأمـــرٍ مـــا تعـــثرت الـــدروبُ
خيار الشـــعب وحدتـــه فمـــاذا يكن لـــو أنهـــا اتحـــدت شـــعوبُ

حكيم الشمال

عيضه بن غبيس الأزهوري

إذا كانت الزوامل أبرز تعبيرات الشعر الشعبي وأوجزها فإن الحكم الشعرية هي جوهر وخلاصة هذا الفن من الأدب فقد قولبت الأحكام والحكم والأمثال في قوالب شعرية وقد اشتهر في هذا المجال في اليمن حكيمان شاعران هما/ علي بن زايد[١] والحميد بن منصور[٢] وحكيم ثالث لم ينل حقه من الشهرة وذيوع الصيت إلا في مناطق صعدة وهو حكيم الشمال الشيخ/ عيضة بن غبيس الأزهوري[٣] الذي اتخذ اتجاهاً مغايراً في حكمه عن علي بن زايد والحميد بن منصور اللذان ركز جل حكمها على الزراعة والأرض وبعض القضايا الاجتماعية فحكم عيضه بن غبيس الأزهوري الرازحي تركزت على القضايا الاجتماعية والمبادئ والقيم والأعراف القبلية انطلاقاً من موقعه كشيخ قبيلة وارتباطه بأحداث المجتمع وقضايا الناس، يقول ابن غبيس:

كثر الله خيركم يا ذا القبيله	عد مهب الحج[٤] من دعوى فضيله
أكرمونا بالجميل	وشمول الجاه[٥] عندي قدر وافي
حجة الصاحب[٦] على الصاحب ثقيله	مثل ورد[٧] الموت يسهر كل ليله
لاقد ابن آدم عليل	وان حكم عمره على الساحة يوافي

١- علي بن زايد: الحكيم اليماني المشهور صاحب الحكم المبتدأة بقوله (يقول علي ولد زايد...).

٢- الحميد بن منصور: حكيم مماثل من المناطق الوسطى له أمثال وحكم حذا حذو علي بن زايد.

٣- عيضة بن غبيس الأزهوري: شيخ قبيلة الأزهور من رازح كثير الحكم والأمثال، توفي في العقد الأخير من القرن العشرين.

٤- عد مهب الحج: بلغة رازح ومعناها عدد ما أعطى الحج من دعوات وابتهالات.

٥- شمول الجاه: قبول الجاه والمقصد في العفو عن خطأ معين.

٦- حجة الصاحب: معاتبة الصديق والصاحب.

٧- ورد الموت: إقبال الموت.

ومن خلال الأبيات السابقة يتضح عمق وبعد فكر هذا الحكيم وسمو نفسه وارتفاعها وتقديره للمعروف.

ويلوم الشاعر الحكيم بعض من غرتهم الدنيا وإقبالها فيقول:

دنيا عنيّه لا اقبلت فأحذر عناها لا تقل مهدون

مثل الجمل لا هاج أكل مولاه

وان أدبرت حتى صديقك يخرج المدفون

وما مضى من زين با ينساه

وعندما داهمه الموت قال:

سلام من شيخ القبيله وضيفنا ما قَبل حيله[1]

وبرايكم[2] غربة طويله[3] نطلب السمحان[4]

يا آدمي نفسك حقيره خفف من احمال الثقيله

قبلك منكر ونكيره[5] رَجَح الميزان

سلام من لسني وبالي والموت ما منه مجال

لو في قفا خبت الرمال ما معي عذران[6]

دعيت باق ما يزال لبس المهابه والكمال

يا خالقي والطف بحالي واكتب الغفران

يا من فرقني من حلالي[7] وداعتك[8] بيتي ومالي

١- ما قبل حيله: لم تجدي معه الحيلة ويقصد بالضيف ملك الموت.
٢- برايكم: عن اذنكم كلمة للاستئذان في الرحيل.
٣- غربة طويلة: الموت.
٤- السمحان: العفو والمسامحة.
٥- منكر ونكيره: مساءلة الملائكة للموتى في قبورهم.
٦- عذران: بلغة رازح مهرب أو نجاه.
٧- حِلالي: من داري ووطني.
٨- وداعتك: أمانتك.

قد مسكني تحت الصلالي[1] لابس الأكفان

يـــا آدمـــي حقـــاً تـــــأكد لابـــد مـــن غربـــه مؤبـــــد

في لحد مثل الليــــل الأســـود والسقوف احجار

في لحــــد وابوابـــه مســــدد جيران ما حـــد يعـــرف احـــد

متنظرين للواحد القهار

وفي جار له شددوه أصحابه وتشارع معهم حتى وصلوا إلى ابـــن مقيـــت قال عند وصوله:

شيخنا ابن مقيـــت جينـــا للزيـــاره وانخصـــك بالســـــلام

كيف حكم الجار ذي عيَّب بجـــــاره والحسب زمـــل وقـــام

ما هبو له سوف ساترحل جماله

عيبوا جـــــاري وقـــدني في معــــاره عار عامـــاً بعـــد عـــام

لو سليت الروح ما هي لي بشـــــاره حرقـــوني بـــــــالكلام

لو قفزت البحر من فوق السقاله

فحكم عليهم ابن مقيت. وله أشعار كثيرة، وفي خلاف بين قبـــائل "قيـــس" السعودية و"الأزهور" قبيلة بن غبيس على كاذية في الحد أيام الإمـــام يحيـــى فكتب الأمير شافي الدوسري أمير قيس إلى عامل رازح اســـماعيل المدانـــي برسالة فأنفذ على الأزهور وحبس خمسة أشخاص منهم، فأرسل إليـــه الشـــيخ عيضه غبيس قصيدة تقول:

يـــا ســـيدي ســـالك بجـــــدك معدن الشرف

وبحق سورة نون ويس والكـــــهف لا عاد شريعة جدكم موجود بأرضنـــا

خمسة من الأزهور لاصلوا عشـــــاء نطلب مشايخ قيس إذا لهم حق عندنـــا

---

[1]- تحت الصلالي: تحت الصخور ويعني به القبر.

والله ما نرضى ولا نعطي حدودنـــا مادام أبو ركنين زادوه نار تلعشـــي[١]

وفي مشاكل قبلية يقول ابن غبيس:

سلام من لســـني عجـايب يشـمل لحـاضركم وغـــائب

جينا بـــردة مـن عقـارب وآخيار الناس

والله يكفينـــا المصـــائب بـين الأخـوة والأقـــارب

حكم الخطأ معروف لا شاهد ولا مشهود

تعددت مناحي اهتمامات ابن غبيس وشملت حكمه كل المجـالات، يقـول الأخ/ عيسى الفرح أن شخص أراد رمي آخر في الطريق بحجـــر فأصـاب الراكب فوق السيارة "الشاص" من عقارب وبعد شريعة جاءوا بمقصد وســلام من غمر ورحب بهم ابن غبيس في جملة الأزهور وعقارب بقوله:

للضيفان مرحب ما يحصيه كـــاتب مادام الكواكب وأبـــراج السـماء

وان الضيف آمِنْ في ديرة عقـــارب لو خصمه مطالب[٢] مارشـــه بمـاء

ديرتنا حصينه تحمي من هواها

وأضاف:

صاحبكم تعـدى في جملـة عواقـب لو بدع يحاسب[٣] ساعة مـا رمـا

يتأنى ويشبح[٤] من في الشاص راكـب لا يهيي تجارب[٥] يبلـى بالعمـا[٦]

هي خطه مدبر مدري من ذراها

١– تلعشي: يقصد مادام السلاح يرمي نار ترعش اليدين.

٢– مطالب: أي مطلوب من الدولة.

٣– يحاسب: يخطط للشيء.

٤– يشبح: ينظر.

٥– تجارب: عشوائية.

٦– يبلى بالعمى: دعوة بالعما

الزوامل الشعبية

نوع من أنواع الشعر الشعبي[١] وهو الأداة المعبرة عن وجهة نظر الفرد والمجتمع إزاء القضايا الهامة في المناسبات العامة لأنها تعتمد على قصر التعبير والإيجاز في تحديد المطلوب أو الاعتراض أو وجهة نظر إزاء شيء معين، فالزامل يعتمد على بيتين من الشعر جميل النظم بليغ المعنى، وله تأدية معينة وبأوزان مختلفة تختلف من منطقة إلى أخرى في مناطق اليمن.

والزوامل مفردها (زامل) ينشده مجموعة من الأفراد بصوت عالي وبأداء موحد وهو شائع في عموم اليمن ومحط اهتمام القبائل اليمنية منذ قرون وهو أكثر تعبيراً عن الأحداث والمواقف.

يقول البطل الثائر الشهيد/ علي بن ناصر القردعي[٢] من أبناء قبيلة مراد عند خروجه من السجن وهو في مواجهة حصون مأرب.

ياذا الشوامخ لي بَدَيْتِ ماشي على الشارد ملامه[٣]

قولي ليحيى بن محمد با نلتقي يوم القيامه

ومن الزوامل المشهورة في اليمن قول الشيخ/ ناجي بن علي الغادر:

حيد الطيال[٤] اعلن وجابه كل شامخ في اليمن

ما بانجمهر قط لو نفنى من الدنيا خلاص[٥]

١- الشعر الشعبي: الشعر العامي في اليمن والزوامل من أحد أنماطه.

٢- علي بن ناصر القردعي: بطل انقلاب ١٩٤٨م من الزعماء القبليين في اليمن من مراد مأرب.

٣- الشوامخ: حصون مارب شرق السد العظيم.

٤- حيد الطيال: أشهر الجبال الشامخة في بلاد خولان العالية جنوب شرق صنعاء.

٥- خلاص: بمعنى النهاية المحققة.

لو يرجع أمس اليوم ولاّ الشمس تشــرق مــن عــدن[١]

والأرض تشعل نار وامزان الســماء تمطــر رصــاص

أو زامل من المشرق يقول:

يا سلامي من الجــوف للخــارد يــا شــويقاه لألفــين حرابــه

من يبا العز ما يشــرب البــارد يشرب المر من جملــة اصحابــه

أو قول الشيخ/ أحمد ناصر الذهب القيفي[٢] معبراً في زامل له واحد مــن الأحداث الصعبة التي جرت له قائلاً:

يا نفس هــزي يــا شــوامخ يــا جبــال اتقــافزي

ابكي وعزي قتلتي يلعــــن أبــو مــن زاد عــاش

باشل جوازي من علــى بقعــاء وســيب مركــزي

من باطل العزي ومن أجل البزي مــا عــاد ابــاش

أو قول غالب قاسم النشية يشكو من أحداث زمنه:

يــا رب ســاعدنا وجنبنــا مشــاكل وقتنــا

لا دولة اعجبنا ولا صــاحب طلبنــا للصــلاح

كم قد تشــردنا مــن البــاطل ولا شــيء فادنــا

ماريت ينقذنا ســوى شــلت يدينــا والســلاح

ومن الزوامل الشهيرة أيضاً ما قاله آل القحوم عند التحاقهم بحاشــد بعــد حدوث بعض المشاكل القبلية يقول:

١- عدن: العاصمة الاقتصادية لليمن الموحد في جنوب اليمن وهي منطقة حرة استعمرها الإنجليز عــدة عقود زمنية ونالت استقلالها ضمن جنوب اليمن آنذاك في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

٢- أحمد ناصر الذهب: شيخ مشهور من قبيلة قيفه رداع محافظة البيضاء.

قال القحوم اصبحت من حاشـــد[١] بنفســي والحــلال

واصبحت من حاشد وحد الحاشــدي رأس النقيــل[٢]

لا دولــة أمــني ولا انجــاني ســـلاحي والســلال

ولا بقــى لي أخ في الغولــه[٣] ولا داعــي بكيــل[٤]

فأجابه الشيخ/ حمود حمود عاطف[٥] من السنتين - حاشد.

تقول حاشد مرحبا بك يـــا قحــوم عــد الجبــال

لا ما معك شي أخ فانا أخوك باكيل لك واســتكيل

ما بــتركك تتحمــل البــاطل ولا بــارضى مجــال

باحملك جهدك وحاشد تنــــزع الحمــل الثقيــل

ومن الزوامل المشهورة زامل الشيخ/ ناجي بن علي الغادر شيخ خـــولان الطيال الذي أرسله إلى الإمام أحمد حميد الدين بعد أن وقع "قَعَــد"[٦] للأمــير الحسن يحيى حميد الدين[٧] بالإمامة هو ومجموعة من المشــائخ، يقــول فــي الزامل:

قــالوا فعزرائيــل في عصـــرك وقـــف

وقــد كفيتــه قبـــض أرواح المئـــات

١- حاشد: داعي قبلي واسع يرجع إلى همدان بن زيد ورؤسائه آل الأحمر منهم الشيخ الشهيد/ حسين بن ناصر الأحمر وولده الشهيد/ حميد بن حسين بن ناصر الأحمر ومنهم اليوم القيل اليماني الشيخ/ عبدالله بــن حسين الأحمر رئيس مجلس النواب وموطنهم العصيمات من نواحي حوث.

٢- رأس النقيل: موضع من بكيل يسمى بنقيل الغولة يسكنه آل القحوم في قلب حاشد.

٣- الغولة: موطن آل القحوم.

٤- بكيل: داعي قبلي واسع يرجع إلى همدان بن زيد وتسمى بكيل (الجناحين) ومــن قبائلــها خــولان وأرحب وسفيان وهُم وبني الحارث وبني مطر والحيمتين وبني حشيش.

٥- حمود عاطف: شيخ السنتين من حاشد تجاور نقيل الغوله وهي من مناطق خمر.

٦- قعد: وقع على رقعه اسناد الإمامة.

٧- الأمير الحسن: الأخ الثاني للإمام أحمد حميد الدين.

إن جيــت بالســراف مــالي بالســـرف

من ذا الذي من غــير ســيفك زاد مــات

فأجابه الإمام/ أحمد حميد الدين إجابة العارف بما دار في الكواليس متوعداً:

ياذي بدعت القـــول حيًّــا بــك ألــوف

كيف القواعــد[١] يــوم خزنتــوا بقــات

قبــالك[٢] البــاهوت[٣] فــداق الســيوف

مــن عــانده يقطــع لرأســه والريــات

أو زامل قبيلة سحار للإمام أحمد في السخنة بالحديدة والذي تقول:

من سحار الجــود ذي جــو زائرينــا يطلبوا عطف النظــر

حن رعيتكم وتحـــت الأمــر جينــا ما يجي منــا قصــر

والذي بين العشش تدري بحاله

وقد اشتهرت صعدة بزواملها المعبرة في الأحداث والمواقف والمناسبات وتنوعت أغراضها وصورها وأهدافها وفي مقدمتها زوامل الأحداث وتاريخها ومواقف القبل الصعدية إزاء هذه الأحداث.

يقول علي بن علي الخوم من قبيلة جماعة/ مجز:

قال الجمــاعي يــالتواريخ المســجلة بدي لي الصفحات مــا بنســاش مقفلــه

عني في الوجود[٤] مادمت حيــاً أرفــع البيضــاء واشــلها

١- القواعد: مراقيم الاتفاق على البيعة بالإمامة.

٢- قبالك: أمامك.

٣- الباهوت: شخصية أسطورية مرعبة والباهوت لقب أطلق على الإمام أحمد حميد الدين، وقد أفادني بهذا الزامل الوالد/ ناجي أحمد مجعل.

٤- يقصد وأنا مازلت موجودا.

تشهد لجدي "مجلمة"[١] قصة مأصلـه وشهود أبي "شيحاط"[٢] ذي عاف المقاتلـه
من حرب أبن سعود وأنا شهودي "قلة القوهـب"[٣] وغيرهـا

وينوه الشاعر في هذا الزامل إلى مواقف قبائل جماعة في الحرب اليمنية السعودية ١٩٣٤م وما قبلها من الأحداث مرتكزاً على الزامل الجماعي القديم الذي يقول:

باقم[٤] لنـا واحنـا زبونـه باب اليمن ذي تعرفونـه[٥]
صدوا بن عايض وردوا دولة ابن سعود[٦]
بـاب الحديـد ذي تعرفونـه حل المقيـتي في حصونـه
مرد خولان بن عامر حيهم وجدود

وفي القرن العشرين قام الإمام المتوكل/ يحيى حميد الدين بسجن شيخ ومرد جماعة ابن مقيت فتأهبت القبائل الجماعية لنصرته وتوجهت وفود من جماعة إلى صنعاء وعند قصر الإمام وفدت وهي تردد هذا الزامل فما كان من الإمام إلا إطلاق سراحه.

يقول زامل جماعة:

واشيخنا "ابن مقيت"[٧] متظلم وفي حبس الـدول
هو عارنا يـا اخـوان يـا صبـة جماعـه[٨].

١- مجلمة: معركة عنيفة خاضتها قبائل جماعة مع قوات آل سعود وابن عايض في منطقة مجلمة.
٢- شيحاط: معركة بين قبائل جماعة مع آل سعود في الحرب اليمنية السعودية في شيحاط.
٣- قلة القوهب: أبرز مواقف جماعة في الدفاع عن الثورة وقلة القوهب جبل فوق مجز.
٤- باقم: مديرية من قضاء جماعة أقصى شمال اليمن.
٥- باب اليمن: المقصود بها باقم بوابة اليمن الشمالية.
٦- بن عايض وابن سعود: إشارة إلى موقعة مجلمة وشيحاط.
٧- ابن مقيت: شيخ جماعة ومرد خولان بن عامر سجنه الإمام يحي بن حميد الدين في صنعاء.
٨- صبة جماعة: بمعنى أبناء جماعة.

إن كان مولانا الإمــام بايطلقــه ســاعة نصــل

والا دخلنــا نخرجــه والمــــوت ســــاعه[١]

والزوامل الصعدية تؤرخ للأحداث وتتضمن الاعتزاز بالقبيلة والافتخـــار بها في كل حدث جديد يقول أحد الزوامل الجماعية في إحدى المناســبات لابــن شثان الجماعي:

سلام يا مهر تقدم فارس الخيـــــل ردوا عليه بالسلام يا جمعة النــــاس

قومي جماعة مجرد أو حاشر السـيل أو بحر مظلم مالحقتوا له بــالاعواس

ومن جماعة إلى سحار حيث تتجلى مثل هذه الحقائق من خلال زامل آخر قيل في وادي "علاف" عند زيارة الشيخ قائد شويط علي وأهل الحصن في أحد الأعياد للشيخ صالح مهدي كباس، قال كباس زامل ترحيب يقول:

مرحبا واهلا بكم يـــا كـــل غـــالي "حصن" والجوده بخــوت[٢]

ربي أسعدنا بعقـــــال الســـحاري[٣] بـــا يغــامر لـــو يمـــوت

لكن الناموس[٤] يشتي من يشله

من فسل[٥] قد بان وقد الكـــل داري مـــا علـــى قولـــه ثبـــوت

قد خرج وحده وقد بيسير عـــــاري هب في المغرب قنـــوت[٦]

والمشايخ كل موقف باتشله

كما تتضمن بعض هذه الزوامل شرح حقيقـــة الموقـــف للفـــرد والقبيلـــة والتعبير عن مطالبها فعندما غضب الإمام أحمد حميد الدين على مشايخ القبـــل

١- الموت ساعة: استهانة بالموت في سبيل تحقيق الهدف.
٢- حصن: المقصود به حصن بني عوير.
٣- عقال السحاري: مشايخ وعقال سحار.
٤- الناموس: الشرف.
٥- من فسل: ظهرت منه الفسالة وهو العيب.
٦- هب في المغرب قنوت: هب بمعنى جعل في صلاة المغرب قنوت دليل على اختلال العقل فالقنوت تقلم في صلاة الفجر.

استدعاهم إليه وقد أضمر لهم شراً فمن زوامل سحار عند زيارة الإمام أحمد حميد الدين في السخنة بعد أن طلبهم جاءوا بزامل يقول:

يا سلام الله يصل إمامنا أحمد عد ما شن المطر
يا خليفة من وراء علي بن طالب[1] ذي حصا جمع الكفر
في إثركم ننتجي يوم القيامه
في سحار الجود ذي جو زائرينا يطلبوا عطف النظر
حن رعيتكم وتحت الأمر جينا ما يجي منا قصر
والذي بين العشش تدري بحاله

والزامل الصعدي يؤرخ كعادته الأحداث الهامة وفي هذا الزامل الذي يأتي ترحيب بزيارة الأخ الرئيس/ علي عبدالله صالح لمحافظة صعدة يستعرض الشاعر الوحدة كأعظم منجزات العصر الجديد، يقول علي بن علي الخوم من جماعة في زامل الترحيب.

مرحبا بالضيف حيا الله وصاله جيت في اليوم السعيد
يا الذي في عهدكم أعظم رساله تدخل العصر الجديد[2]
عاد للشعب اليمن وحدة مصيره
شيخنا ابن مقيت ويتمثل رجاله من تهامه لا الصعيد[3]
حل في باقم وقد سمى جباله باسم "أبواب الحديد"[4]
غُلقت في وجه ابن عايض[5] وغيره

وفي ظل التداعيات التي تلت تحقيق الوحدة وأمام مؤامرة الانفصال جرى

١- يا خليفه من وراء علي بن طالب: بمعنى إمام من نسل الإمام علي بن أبي طالب وفي هذا مغزى سياسي فأولاد علي يرون أحقيتهم بالخلافة.

٢- أعظم رسالة: يقصد تحقيق الوحدة اليمنية في ٢٢ مايو ١٩٩٠م.

٣- من تهامة لا الصعيد: إشارة إلى الامتداد التاريخي والقبلي لقبيلة خولان بن عامر ومنها جماعة.

٤- أبواب الحديد: اسم جبال باقم.

٥- ابن عايض: من أمراء المخلاف السليماني في عسير.

احتفال جماهيري حاشد في صعدة يندد بالانفصال ويؤيد وحدة اليمن وفي هذا المهرجان الذي أقيم في ٢٦ مايو ١٩٩٤م بساحة معسكر الجمهورية وفدت القبائل تعبر بالزوامل موقفها ومنها هذا الزامل عن قبيلة بني عوير – سحار، من كلمات صالح مقبل علي حنيش العويري.

سلام من رؤوس الجبال جاهز سلاحه والرجال

كلاً مدرب للقتال معظمه ثوار

يا من حضر في الاحتفال بلغ لريسنا المقال

وحدة ومن كان انفصالي نحرقه بالنار

وقد سبق هذا المهرجان مسيرة سلمية في ١٩٩٤/٤/٨م تؤيد الوحدة كان في مقدمتها قبائل سحار وفي هذه المسيرة أنشدت الزوامل كان من أهمها هذا الزامل:

سلام يا وحدة وطنا يحرم علينا ما انفصلنا

مادام صوت الشعب ظاهر ينبذ الأحقاد

مسئولنا فينا ومنا والمغرضين أدوا ثَمنّا

العيب من باع الوطن منهم وشل الزاد

ومن الزوامل المؤرخة للأحداث إلى الزوامل المعبرة عن الهموم والتطلعات والنقد الصريح الواضح لبعض الظواهر في المجتمع التي تتطلب معالجات سليمة، ومنها هذا الزامل الذي بدأه مرحب لقيادات الدولة وإشارة إلى إهمال المخلصين ومكافأة غيرهم، يقول علي بن علي الخوم في هذا الزامل:

مرحبا يا قادة النصر المؤزر يا مصابيح البلاد

واشتي أسألكم لماذا كرتنا اصفر[1] هل ظهر منا فساد

١– كرتنا اصفر: يعني لم نحظ بالاهتمام والقبول والرعاية.

أولنا مغرض[١] وصدقتم كلامه

كل صاحب حد كون له معسكر ومنحتوه اعتماد[٢]

والجماعي ذي رسم بالدم الاحمر حد "نقعه" و"الحماد"[٣]

واسئلوا ابن سعود من حرق خيامه[٤]

وعلى هذه النغمة تتوالى الزوامل المعبرة عن الهموم والتطلعات وفي هذا الزامل يشير الشاعر علي إبراهيم الشرعي بدور الرئيس القائد في تحقيق الوحدة والمكاسب ويطالب بمعالجة الفساد وإزالة بعض المظاهر السلبية ويستعرض نهاية الخونة والانفصاليين ويؤكد على التصدي للمفسدين الباقين الذين عبر عنهم بأنهم ألفين مطب للتنمية والبناء.

زامل الشاعر/ علي إبراهيم الشرعي، يقول:

يازعيم العرب الكل بك رحب كل شيبه وشب ياقائد الأمه

لليمن أنت أب وللدول مكسب سرت بين العرب مشهور في القمه

لامدحناك وجب تاريخكم يكتب قد صنعت العجب ياصاحب الحكمه

زلت منا التعب واصلحت ماتخرب والذي هو ذنب با يحمل الغمه

كل خاين هرب ذي انفصل واحرب وين سار الشنب هشم وذي حنبه

كلهم في نشب ما حصلوا مكسب غير حط الرتب ويطلبوا الرحمه

يا علي لا عتب أرجوك لا تغضب وابني اللي اخترب خفف من الأزمه

باقي ألفين مطب نريد أن تُشطب هم شويه طلب ما عندهم ذمه

وفي الشكوى من بعض القيادات المسئولة والمطالبة بإصلاح أوضاع

١- مغرض: عدو واشي نم بنا.

٢- منحتوه اعتماد: إشارة إلى سخاء الدولة في هباتها للمشايخ في اليمن.

٣- نقعه والحماد: مواضع في باقم في الحدود.

٤- حرق خيامه: إشارة إلى شيحاط الموقعة المشهورة.

المحافظة (اللواء) كما كان يسمى سابقاً يقول شاعر في أحد الأحداث هذا الزامل.

سلام ومن بعده شكانا من حكم في صعده شوانا
ما هو على دستور قانوني ولا ميثاق
عقالنا شدوا قوانا مثل اليمن يطلع لوانا
صدام ما هو ذي بزانا نسعفه لا ضاق

يقول معوض يحيى قريش في الحث على دعم ونصرة القضية الفلسطينية:

قم يا بريدي عشق الثالث مع الشاني وادعي لـ"همدان بن زيد" ورجال خولان[1]
و"جماعه"[2] الكرام يتعاونوا في نصرة الشعب الفلسطيني
باقي منبه واهل رازح قوم شجعاني[3] ورجال "حسان" والقلمه من الشاني[4]
و"سحار"[5] بالمقام وإذا قتل شارون يقتل كل صهيوني

وفي الأحداث التي سبقت موقعة شيحاط بين قبائل جماعة اليمنية و القبائل المحادة لها التابعة لابن سعود في ١٩٣٤م. قالت جموع جماعة في شيحاط:

طفناك يا حصن الحمادي مركز على ما في المرادي
والغيل جازع جال وادي غير يشتي القوم.

١- همدان بن زيد: القبيلة العربية المشهورة ومن بطونها (وايلة ودهمة) أولاد شاكر منازلهم في كتاف والصفراء ويطلق اليوم لقب همدان بن زيد على هاتين القبيلتين. خولان: خولان بن عامر بن الحاف بن قضاعة من بطونها جماعة بن سعد والربيعة ورازح.
٢- جُماعة: قبيلة مشهورة في شمال اليمن وهم من بطون خولان إلا أنها أضحت قبيلة مستقلة بينما اقتصر اسم خولان اليوم على مديريات حيدان وساقين والظاهر.
٣- منبه: قبيلة مشهورة في شمال غرب اليمن تطل على فيفا وبني مالك في إمارة عسير. رازح: رازح بن خولان في السفوح الغربية لصعدة غنية بخيراتها ذات مناظر خلابة.
٤- رجال حسان: المقصود بها قبائل وادي بدر وغمر شرق شمال رازح وشيخهم حسان. القلمة من الثاني: الشيء من بعضه.
٥- سحار: قبيلة الربيعة بن سعد من خولان والربيعة هو لقب صحار بن سعد بن خولان.

قومي جماعـــة في مــرادي لاودكــم نســير لعــادي

مافانقلونـــا مـــن وطـــن نقعه بلاد الحوم.

أو قول الشيخ/ صالح مهدي كباس في المفاوضات التي سبقت الاعتراف بالجمهورية في ١٩٧٠م يقول:

سلام يا صنعاء ومن فيــها مخيمــين يا قلعة الأحرار زالت كــل رجعيــه

قل للسديري[1] لايدبرشور في القفـلـ لو بايصف أجنيه من طعزه إلى الصفا[2]

ما احنا مميلكين .. عاد الحسن[3] في الجرف ما قد جز قعشته.

ويشارك الزامل في القضايا الاجتماعية والتنويه على الأخطاء والسلبيات في المجتمع والاعتراض على بعض أشكال العلاقات الاجتماعية، ومنها هذا الزامل الذي قال فيه أحدهم:

سلام مثـــل النـــو يســري ويقدمه حلفـــي ونصـــري

لانســـابنا مـــن وادعـــــه هم خيرة العقال

من ذا المواقف ضاق صــدري نشتي طرق للحــق تجــري

ما قد علم دعوى ونكـــري بين البــزي والخال.

وفي إحدى المشاكل القبلية جاءت جماعه من قطابر لحل مشكلة مع ألـت الربيع/ مجز ورحب بهم أهالي الت الربيع/ مجز بزامل ورد أهـالي قطـابر بجواب للزامل حدد شروط وحلول المشكلة.

الترحيب: محمد علي اللكوان "الت الربيع"

يا ضيف أرحب من لسن عـــارف قد ضاعت السوالف والظلم انتشــر

١– السديري: أمير نجران حينها.

٢– طعزه: اسم مركز حكومي سابقاً في نجران، وهو الآن اسم حي في الصعيد نجران.

٣– الحسن: الحسن بن يحيى حميد الدين إشارة إلى تواجده في جرف القوات بآل سالم.

هن افعل بدعه في مذهب مخـــالف | ما قتل المكالف من مذهـــب جماعـه
لا الموقف يشوف مختون وخـــالف | والشيخ والعارف ويســـنح للمطـــر
شوالحي منه لـــو هـــو بــالذلايف | والزوج المضمن في حكـــم الوداعـه

الجواب: علي بن علي الخوم عن "قطابر".

عزكم مـــادام غـبن الله راصـــف | يا رجـــال مكملـين
حكمنا ضيفان من حوزة مضيـــف | عندكـــم ومحكمـــين
والنسب كالجذع تتمايل خطوره
يا جَماعة مـــا عمدنـــا للمواقـــف | لو كلمة بميـــة يمـين
واعلموا أن الله قد خفـــف ثلاثـــة | في الخطأ دنيا وديـــن
طفل والنايم وذي فاقد شعوره

ويستخدم الزامل أيضاً في الأعراس والمناسبات حيث يغد الضيوف وهـم يرددون زامل مغين ويجيبهم المضيِّف قد يكون الزامل الأول مـن المضيـف للضيف كترحيب ويجيبهم الضيف بزامل آخر ومن هذه الزوامل ترحيب أهـل قرية حصن بني عوير لمحافظ صعدة السابق العميد/ علي بن علي القيسي عند زيارته الحصن ونزوله ضيفاً على آل جرمان من رموز وأعيان قبيلة سحار.

وهذا ترحيب باسم حصن بني عوير لـ"قائد بن أحمد العلابي".

مرحبا فوق النظر يشـــمل ضيوفنـــا | يعـــم المحـــافظ والقيـــادة في بلادنـــا
والشيخ والمدير | واهل الوجاهة كل واحد شل حصتـــه
والجندي المجهول له تقـــدور عندنـــا | واحنا نحيي كل مـــن شـــرف وزارنـــا
كبير أو صغير | وضيفنـــا في شـــرعنا نعلـــي مقامـــه

كما رحب أهالي الحصن بالمحافظ بزامل آخر يقول:

يا مرحبا ترحيب ما سيل المطر نـــزل	خص المحافظ ولكــــل أضيافنـــا شمــل
يقسم على الجميع	احنا نعـــز الضيـــف حيَّـــا الله مصالـــه
بضيوفنا الأمجاد تفخر ساحة الجبـــــل	تقدوركم مرفوع فوق الراس وان نـــزل
وقدركم صنيع	جِد المحافظ في اللواء تشهد له اعمالـــه

ورداً على زوامل الترحيب هذه جاء جواب الترحيب للأخ/ محمد أحمـــد الحاج العكواني، يقول:

الله يكثر خيركم يســيل كـــم المطـــر	يا مكرمي الضيفان في الأرياف والحضر
من عهد الأولين	انتم قبيلة والكرم هـــوه لكـــم عـــاده
والله يخلفنا عليكم بالمطر ويجود في الثمر	يا أهل الكرم والجود يادعيست الغـــدر
ما احنا مجاملين	انتم قبيله أهـــل للمعـــروف وامجـــاده

وفي مقصد جاءت به وايله لفرد من بني عوير عندما أصابوه وايله فـــي الفرع قال العويري:

مرحبا بـــالوايلي مـــا أغـــلاك كامـــة	في شـــروقه والغـــــروب
تاك ضيفتكــــــم ولاعـــد بـــه ملامــــه	رب غفـــار الذنــــــوب
والخطأ فيه القدا مثل الفريضه
يا قبـــــل همـــدان وقعـــت بالســـلامه	جـــل عـــلام الغيـــــو ب
البـــلاء لـــو راح ذي وانهـــا ندامــــه	نقـــص والثـــاني عيـــوب
تلحق أهل الحصن وسحار العريضه[1]

علي عيضه الصمي من حصن بني عوير قال زامل فـــي وســـاطة بيـــن الجرشة والحصن يقول:

---

١ – سحار العريضه: إشارة إلى قبيلة سحار الربيعة والتي تسمى القبيلة الكبيرة في التاريخ وتضم ثمان قُبل.

أنه من الدارين ينكر كل من طلـــب من قال في حدة قطوف الصب والصلـــب

والحق با يبين الصوح لاهل الحصن بنيـــت في صبابتـــه

احنا بنيناها لحفظ المـــال والعنـــب نحمي بهـــا الريحـــان والغربـــان والعقـــب

يعلم بها الوتين ما هي على شأنه ولا هي لأجـــل حجتـــه

وفي الخلاف القبلي الذي حدث بين بني عويـــر الشـــرقي مـــن ســـحار والجرشه من سفيان[1] وفدت الوساطات قال:

قد سمعنـــا كلمـــة المتوســـطينا وحكـــايتكم جميـــع

ما نفلت شي لنـــا بعـــد أولينـــا لـــو نقـــاتل ســـانضيع

أو نسبر مقبرة وسط المصامة[2]

بدكم منـــا بخمســـة واربعينـــا حالفين أعلـــى أم قطيـــع

وان قدو فاقـــه فـــهيا ياوثينـــا نرفـــض المصلـــح جميـــع

لا تقل عند العويري لك ملامه

وبعد فشل الصلح لم يتبق سوى الحرب التي استمرت فترة طويلة، وقـــال علي عيضة الصمي زامل فيها:

شيخ بـــاقي بـــانقدمك اليمينـــا والعـــوافي بـــــاتعود

ان ماحنـــا قـــاطعين وتابعينـــا بعـــد آباءنـــا والجـــدود

احلفوا والله يعوض من سواها

وان عجزتم فابشروا بمية يمينـــا[3] مننـــا تســـلي حمـــود

١- الجرشة: قرية بين قبيلة سفيان وبني عوير من سحار جرت بسببها معارك بين القبيلتين لفترة طويلة.

٢- المصامة: جبل في بني عوير الشرقي وسفيان.

٣- مثل هذا الزامل ينظمه الشاعر بإيعاز من المشائخ والعقال كيف يكون مضمونه لأنه يتضمن أعـــراف قبلية وأحكام الخلافات بين القبل.

وان تخالفنا فتعزينا السنينا — لو نوفي بالمهود

ما قطع شوكة ولا زد حد رعاها

وبعد قتل ٢ من الجرشة وفدت وساطات جديدة وقيل زامل:

مرحبا باكباد خولان ابن عامر — وكبار ابناء بكيل

انتو الزهية لنا يوم المحاضر — علكم منهج طويل

قدوة الدولة وللصاحب صيانه

بن عزيز دور لها والناس صابر — ما معه فيها دليل

قد طمر للشوط والدقة مشاطر — ساعلق رأس القتيل

ما دري والنار لاصي في الخزانه

فارس اليمن وشاعرها/

عمرو بن معد يكرب الزبيدي

حقائق وشواهد تدلل على انتسابه إلى خولان سعدة

عمرو بن معد يكرب الزَّبيدي "أبو ثور" صاحب السيف المشهور بالصمصامة، فارس وشاعر اليمن في الإسلام يُعود نسبه إلى وادي زُبيد – من مخلاف خولان بن عامر بن الحاف في صعدة. اشتهر ذكره وذاع صيته وله بطولات ومواقف في الجاهلية والإسلام وكان يعد من جملة فرسان العرب التسعة أو الأربعة. كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا نظر إلى عمرو بن معد يكرب الزبيدي قال "الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمراً" تعجباً من عظم خلقه.

أشار نشوان بن سعيد الحميري أن عمرو بن معد يكرب استطاع في الجاهلية أن يأسر عنترة بن شداد العبسي ودريد بن الصمة الجشمي والحارث بن ظالم المرئ وعامر بن الطفيل والعباس بن مرداس فمن عليهم وأطلقهم. وهذا مما لاشك فيك مبالغة من نشوان كون عمرو جرب مرارة اللقاء مع عنترة بحكم تجربته مع فرسان العرب آنذاك والذي دفعه إلى القول "لو سرت بظعينة وحدي على مياه معدٍّ كلها ما خفت أن أغلب عليها، ما لم يلقني حُرَّاها أو عبداها" يعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب، والعبدين أسود بني عبس "عنترة"، والسليك بن السُليكة هذا بالرغم من أن عمرو كان يعد بألف فارس وكانت فروسيته مضرب المثل حتى قيل "فارس ولا كعمرو" وتمثل بإقدامه أبو تمام فقال يمدح المعتصم.

إقدام عمروٍ في سماحة حاتمٍ في حلم أحنف في ذكاء إياسِ

نسبه ودوره في الفتوحات الإسلامية:

ينسب الكثير من المؤرخين وأصحاب التراجم والأدباء عمرو بن معد كرب الزُّبيدي إلى "زبيد" في تهامة اليمن وهو نسب خاطئ وقع فيه الكثيرون الذين لم يتحروا ويدققوا في نسبه والاعتماد على النقل خلف عن سلف مع أنهم يشيرون إلى أن مولده في "وادي زبُّيد" و"زبيد" ليست بواد كما أن "زبيد تهامة" لا يمكن أن تسمى بـ"زبيُّد" أو تنطق بها ولعلي أنتهز هذه الفرصة لأقدم لذوي الألباب حقائق لا تقبل الجدل تؤكد أن عمرو بن معد كرب من زُبيد خولان عامر صعدة ومن هذه الدلائل الأتي:

* وجود منطقة "وادي زُبيد" بهذا الاسم حتى الآن في خولان عامر – صعدة وهي منطقة واسعة تضم مدينة حيدان المعروفة ومناطق كثيرة مجاورة لها في السراة الخولانية وهي منطقة باردة يتميز سكانها بأجساد ضخمة وأجسام قوية مفتولة نتاج برودة المكان أما "زبيد" فمنطقة تهامية حارة تهلك الأجسام لا يمكن أن ينشأ فيها رجل بعظمة وخلقة عمرو بن معد كرب

الزُّبيدي.

ولو كان زبيدياً فعلاً لأطلق عليه "الزبيدي" وليس "الزُّبيدي" والذي يعكس حقيقة غابت عن المؤرخين وأصحاب التراجم.

* أشارت كتب التاريخ إلى نشوب حروب ومعارك بين زبُّيد وبني الحارث بن كعب من نجران وهو لقاء مستبعد بين زبيد وبني الحارث بن كعب لبعد المسافة وعدم وجود مبرر لهذه المواقع وهي أقرب بين زبُّيد وبني الحارث لقرب الدار من الدار.

* توجد في مقبرة ساقين – خولان عامر قبور عدة عليها أضرحة "نقوش" صخرية بيضاء من أحجار البلق كعادة أهل صعدة في دفن موتاهم وهذه الأحجار تشير صراحة إلى وجود أسر من ساقين لا تزال قائمة كآل عقبة يمتد نسبهم على الأضرحة إلى عمرو بن معد كرب الزبيدي وهذه الكتابات لها عدة قرون ولا تقبل الشك[1]، وكان إسلام عمرو بن معد كرب وارتداده عن الإسلام متزامناً مع قبيلته زبيد خولان عامر، وكان له نخل ومزارع في (تثليث) حسب ما ذكره المؤرخون وتثليث شمال بلاد صعدة وهي في عداد بلاد الدواسر اليوم.

* ومما يؤكد ذلك أن أخاه عبدالله بن معد كرب قتل ظلماً من بعض القبائل التي حاولت بوساطات تقديم "الدية" حسب ما رأته أقيال هذه القبائل فاندفعت أخته كبشة بنت معد كرب الزبيدي إلى نظم قصيدة وإرسالها إلى أخيها عمرو بن معد كرب تحرضه على الأخذ بالثأر وعدم قبول الدية وقد أورد أبو تمام هذه القصيدة في كتابه "الحماسة" حيث تقول:

وأرسل عبدالله إذ حان يومه إلى قومه لا تعقلوا لهم دمي

١- صحيفة الثورة: ١٩٩٤/١٠/٢١، موضوع للمؤلف بعنوان "ما حقيقة نسب فارس اليمن عمرو بن معد كرب الزبيُّدي".

ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبكـــــراً واترك في قبر بـــ"صعدة" مظلـــمِ

إلا أن هذه الحقيقة لم تفت على كاتب وشاعر عربي كبير معـــاصر هـــو الأستاذ/ سليمان العيسى الذي زار صعدة في ١٩٩٩م وأنشد قصيدة في افتتـــاح المكتبة العامة بصعدة، قال فيها:

صُعُدا.. في مستحيلات الـــذرا صُعُدا تســـبح بـــالغيم خطانـــا
اخترقـــها.. إنهـــا آكامنـــا نُسجت من صخرها أولى يدانـــا
هذه صعـــــدة كـــانت حلمـــاً فوق جفني فهي في جفني عيانـــا
أدنِ منايا "ابن معـــد كـــرب" تتصافح في الذرا السمر يدانـــا
ســـيفك الهـــدَّار في تاريخنـــا قـــد حملنـــاه كتابـــاً وبيانـــا

ومبعث العجب في قصيدة شاعرنا الكبير/ سليمان العيسي من فرط حبـــه وإلمامه بتاريخ اليمن قد استطاع الجزم بحقيقة موطن الشاعر "صعدة" والـــذي يعكس إلمام دقيق بتاريخ وأدب اليمن كفاه الالتباس الناتج عن طغيـــان شـــهرة "زبيد" على خمول شهرة "وادي زبُيِّـــد" فـــي التـــاريخ والأدب اليمنـــي. ولأن المؤرخين المتعاقبين وأصحاب التراجم خارج اليمن قد اعتمدوا فـــي التدويـــن على النقل من كتب اسلافهم من المؤرخين والأدباء وأصحاب التراجم.

أحاديث "الصمصامة" و"الميس":

وعمرو بن معد كرب الزبُيِّدي صاحب السيف الشهير بـــ"الصمصامة" من سيوف العرب المشهورة أسلم مع قومه زُبيد في السنة التاسعة للـــهجرة لكنـــه ارتد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فارتدت معه كثير من القبـــائل الخولانية ثم جدد إسلامه مع جموع خولان في عهد الخليفة الراشد/ أبو بكـــر الصديق الذي وجهه إلى الشام فشارك في اليرموك وأبلى بلاءً حسناً وقتل قـــائد الجيش الرومي فأصيب في إحدى عينيه وكان له مواقف مشرفة في "نـــهاوند" و"القادسية" والذي تمكن فيها من قطع خرطوم إحدى الفيلـــة بعـــد أن أجفلـــت

الخيول على التقدم فأثار ذلك فزع الفيلة وتراجعها وإرباك الفرس لتنطلق جيوش المسلمين وتحقق الانتصار الحاسم والفيصل الذي أسقط إمبراطورية فارس.

وقد اشتهر سيف عمرو "الصمصامة" في الإسلام ونسجت حوله الروايات لتدفع بالخليفة الراشد/ عمر بن الخطاب إلى طلب سيف عمرو الذي قام بإرساله إلا أن الخليفة أعاده إليه وأمر رسوله أن يقول لعمرو "يقول أمير المؤمنين لقد وجدت السيف دون ما ذكرلي" فقال عمرو لرسول أمير المؤمنين قل للخليفة "لقد أرسلت له بالسيف ولم أرسل له بالساعد".

وبرغم ما ذكر عن ضخامة خلقه وقوة ساعده وبأسه وشجاعته فقد كان عمرو بن معد كرب الزبيدي شاعراً لطيف الحديث والنظم حكيما سموحا ومن محاسن شعره معاتبته للأشعث بن قيس المرادي قصيدة قال فيها:

أعاذل شكتي بدني ورمحي وكل مقلص سلس الجياد
أعاذل إنما أفنى شبابي وأقرح عاتقي ثقل الزناد
وسيفي كان من عهد ابن صدٍ تخيره الفتى من قوم عاد
ورمحي العنبري تخال فيه سناناً مثل مقباس الزناد
تمناني ليقتلني أُبي وددت وأينما مني ودادي
ولو لاقيتني ومعي سلاحي تكشف شحم قلبك عن سواد
أريد حياته ويريد قتلي عذيرك يا خليلي من مرادِ

وقصيدة أخرى يلوم فيها أيضاً ابن اخته قيس بن مكشوح، قال فيها:

أمرتك يوم ذي صنعاء أمراً بيِّناً رشده
أمرتك باتقاء الله تأتيه وتتعده

ومن أشعاره في الجاهلية عينيته التي مطلعها:

أمن ريحانة الداعي السميعُ   يؤرقني وأصحابي هجوع

ومنها البيت السائر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعهُ   وجاوزهُ إلا ما تستطيعُ

وكان عمرو بن معد كرب الزبيدي أنيفاً شديد الاعتزاز بذاته فدخل في صراعات عديدة كان أهمها مع ابن أخته قيس بن مكشوح أو كما يذكره المؤرخون بقيس بن هبيرة المرادي وقد دعاه هذا الاعتزاز إلى رفض الوعيد والتهديد لدرجة أنه رد على وعيد الخليفة عمر بن الخطاب له بقوله:

أتوعدني كأنك ذو رعين   بأنعم عيشةً أو ذو نواس

فكم قد كان قبلك من مليكٍ   عظيم ظاهر الجبروت قاسِ

فأصبح أهله بادوا وأمسى   ينقل من أناسٍ في أناسِ

فلا يغررك ملكك كل ملكٍ   يصير مذلة بعد الشماسِ

(وبدت لميس كأنها)

من أروع ما قاله الشاعر الفارس عمرو بن معد كرب الزُبيدي قصيدته التي قالها بعد معركة بين "زُبيد" و"بني الحارث بن كعب" من نجران حيث قال:

ليس الجمال بمئزر   فاعلم وإن رديت بُردا

إن الجمال معادنٌ   ومناقبٌ أورثن حمدا

أعددت للحدثان سابغة   وعدَّاءً علندى

"نهداً" و"ذا شطب" يقد البيض والأبدان قدَّا

وعلمت أني يوم.. ذ ... اك مُنازلٍ "كعباً" و"نَهْدا"

قومٌ إذا لبسوا الحديد ... تنمروا حلقاً وقِدَّا

كل امرئ يجري إلى ... يوم الهياج بما استعدا

لما رأيت نساءنا ... يفحصن بالمعزاء شدَّا

وبدت لميسُ كأنها ... بدر السماء إذا تبدى

وبدت محاسنها التي ... تخفى وكان الأمرُ جدا

نازلت كبشهم ولم ... أرَ من نزال الكبش بدا

هم ينذرون دمي وأنذ ... ر إن لقيت بأن أشدا

كم من أخٍ لي صالح ... بوأته بيدي لحدا

ما إن جزعت ولا هلعت ... ولا يرد بكاي زندا

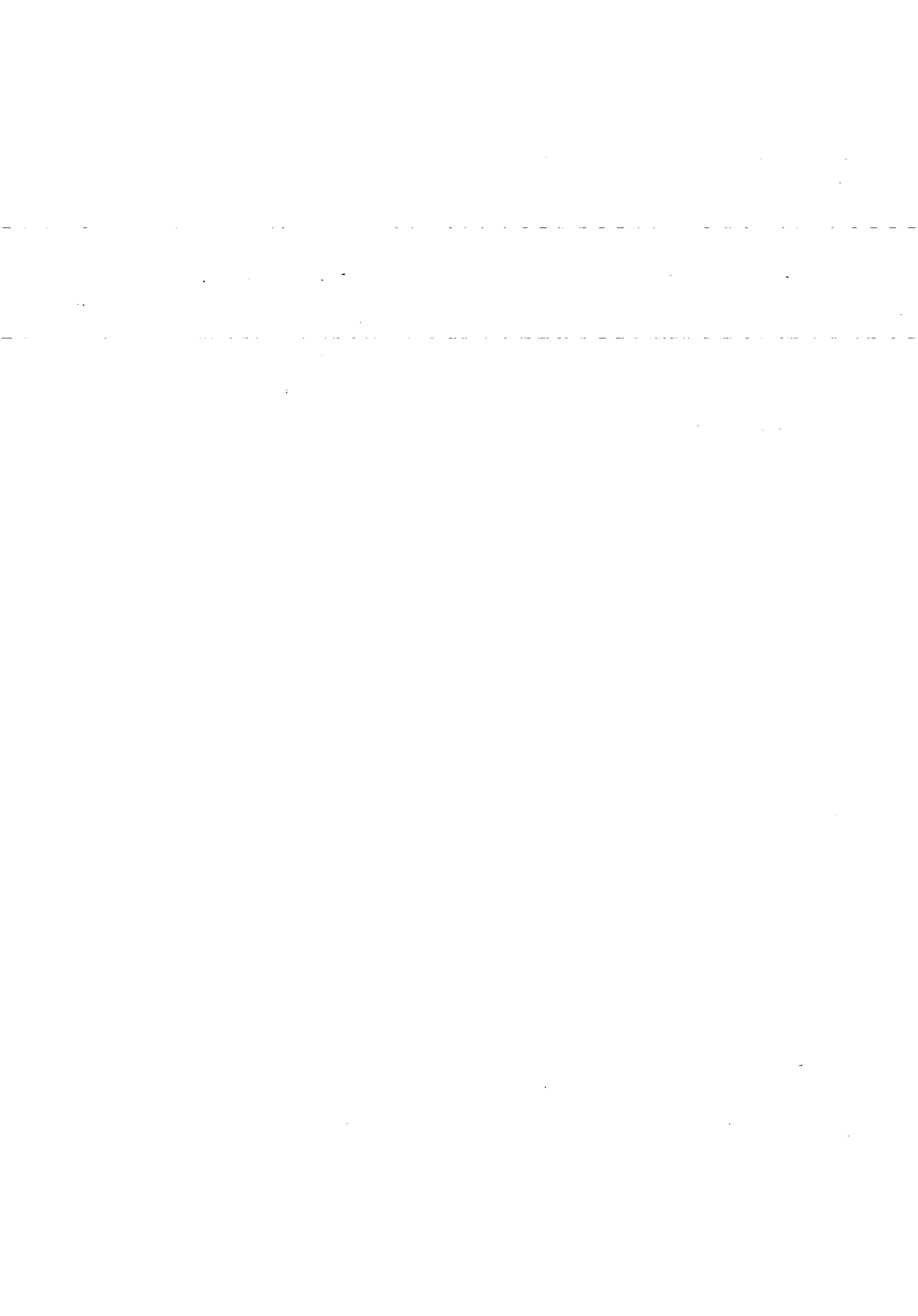
ألبسته أثوابه وخلقت ... يوم خلقت جلدا

أغنى غناء الذاهبين ... أعد للأعداء عدَّا

ذهب الذين أحبهم ... وبقيت مثل السيف فردا

ويعد الأدباء قصيدة عمرو بن معد كرب هذه من أجمل القصائد المذهبات في الشعر العربي.

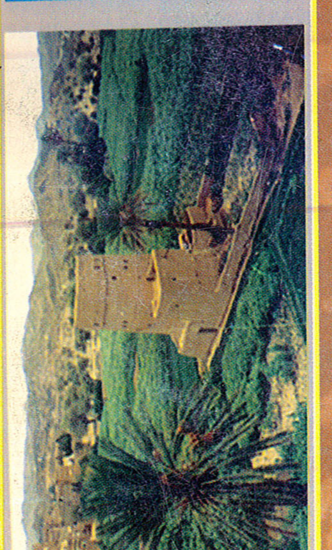
توفي عمرو بعد حياة حافلة بالمجد و السؤدد و البطولات على مقربة من الريّ سنة ٢١هـ وقيل قتل عطشاً في القادسية.



المحتويات









خالد أحمد صالح السفياني

- من مواليد ١٩٦٧م بالحيمة الخارجية- محافظة صنعاء.
- متزوج وله ولدان وبنتان.
- أكمل دراسته الثانوية بصنعاء في ١٩٨٤م والتحق بكلية الطيران والدفاع الجوي وفي عام ١٩٨٨م حصل على شهادة بكالوريوس في العلوم العسكرية بدرجة امتياز.
- عمل منذ تخرجه ركناً للتوجيه المعنوي والسياسي في عدد من الوحدات (اللواء الثاني عروبة، قوات اليرموك، اللواء ١٥مشاة، حرس الحدود)
- له ميول أدبية وتاريخية مبكرة منذ الدراسة الإعدادية والثانوية لفتت أنظار مدرسيه وقدم عدد من الأبحاث خلال دراسته الثانوية وفي ١٩٨٨م شرع في العمل الكتابي في مجلة الجيش وصحيفة ٢٦سبتمبر ومنذ ١٩٩٠م عمل مراسلاً لعدد من الصحف في محافظة صعدة في طليعتها (الثورة، الجمهورية، الوحدة، الميثاق)
- عضو نقابة الصحفيين اليمنيين منذ ١٩٩٩م.
- غزير الإنتاج لكتاباته مذاق خاص وتأثر كبير بالجوانب التاريخية والأدبية، ويعد هذا الكتاب باكورة مؤلفاته ويعول على نجاحه آمال في حث خطاه نحو إضافة المزيد إلى المكتبة اليمنية.



مركز عبادي للدراسات والنشر
ص.ب: 662 - صنعاء
ت: 219618 / فاكس : 219619
الجمهورية اليمنية